

محمود سليم الحوت

في طريق

الميثولوجيا عند العرب

وهو بحثٌ مُسَهَّبٌ في المعتقدات
والأساطير العربية قبل الإسلام

الطبعة الأولى

بيروت ١٩٥٥

محمود سليم الحوت

في طريق

الميثولوجيا عند العرب

وهو بحثٌ مُسَهَّبٌ في المعتقدات
والأساطير العربية قبل الإسلام

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

١٩٥٥ / ٦ / ٢٠٠٠



الأهداء

إلى استاذي العظيم الدكتور قسطنطين زريق ،
فهو جزءٌ زهيدٌ من فضلك عليّ ،
وبعضٌ من كلِّ ما أسديته إليّ ،
إنَّه منك وإليك ،

المؤلف



تعريف وتمهيد
بقلم
الدكتور مصطفى خالدي

عرفت المؤلف معرفة شخصية وثيقة قبل بضع سنوات على أثر صدور
أناسيده « المهزلة العربية » في بغداد ، واعتزاله تدريس الأدب العربي في
كلية الملكة عالية هناك ، وقدمه الى بيروت عام ١٩٥١
و كنت أعرفه قبل ذلك بزمان طويل في اكثر ما صدر عنه من نثر
وشعر ، لشهرته ككبريات الصحف والمجلات العربية من شرقية وغربية
ولد الاستاذ محمود الحوت عام ١٩١٦ في مدينة يافا لأب يبروتي
الأرومة والمنشأ من آل الحوت المعروفين بالعلم والفضل في مدينتنا بيروت
منذ مئات السنين ، وام فاضلة تنسب الى اسرة يافية كريمة من أعرق
اسر تلك المدينة الضائعة

وقد نشأ المؤلف في يافا الجميلة الزاهية بجذائنها وبياراتها ، ودرج على
مهادها ، وهو القائل فيها بعد ضياع وطنه القدسي العالي

ما تَعْنَى من الطيورِ الجريحِ لا ولا خَفَّ للسباقِ الكسحُ
فالزجاءُ الضحوكُ ما عاد في الافقِ على ربوةِ الأماني يلوحُ
أين رحبٌ من السهولِ فسيحُ وزواهِ من الفراديسِ فيحُ
أبكتها من الهضابِ الأعالي - ورثتها من الجبالِ السفوحُ
ثم اين الشواطئُ الطهرُ تغدو نشوةُ الروحِ فوقها وتروحُ
والبساتينُ مالهـا ؟ سل شذاها هل تحجزتْ يا شذى لا تفوحُ

والمروج المروج ما حلّ فيها - غير ريح من الصحارى تنوح
ليس يجدي السؤال فالنفس ضاقت - وتمنى الفراغ صدره رزح
أين « يافا » العروس يا ويح « يافا » - أسخني بكأؤها أم شحيح
أفقرت وهي قطعة من جنان - بعد ان حلّ عن حماها الزوج

وفي هذه العروس الضائعة يقول المؤلف أيضاً :-

يافا ، لقد حفّ دمعي فاشتجبت دماً متى أراك ؟ وهل في العمر من أمد ؟
أمسي وأصبح ، والذكرى مجددة - محولة في طوايا النفس للابد
كيف الشقيقات ؟ واسؤني لها مدناً كأنها قطع من جنة الخلد
ما حالها اليوم يا يافا وهل نعمت ؟ من بعد ان سلمت أمساً يداً بيد ؟
وكيف من قد تبقى في مراتبها - وقد تركناه فيها ترك ملتحد ؟
ما بال قلبي إذا ما سرت في بلد يصبح من وجده في الصدر وابلدي !
هما استقام له من عيشة رعد - وجدته هائلاً بالعيشة الرعد
تعبت لكتني ما زلت في تعبي أشكو الى الله لا أشكو الى أحد

وقد تلقى علومه الأولية في مدارس يافا الأهلية منها والأميرية ، وما
أن أتمّ دراسته الثانوية عام ١٩٣٣ ، حتى التحق بالجامعة الاميركية في
بيروت طالباً في الدائرة الاقتصادية ، غير انه لم يكمل سنتين طويلتين
حتى تحول الى دائرة الدراسات العربية والشرقية وتخرج فيها حاملاً
شهادة بكالوريوس علوم (B.A.) في الأدب العربي عام ١٩٣٧
وعاد الى بلده حيث باشر أعماله الحرة عاملاً كاملاً ...

واشتدت الأحوال السياسية ، كالعادة ، واضطر الى الاغتراب ،
فرجع الى بيروت ، ومنها قصد بغداد حيث انتدبته وزارة المعارف
العراقية مدرساً فيها ، الا أنه آثر الهدوء فطلب ان يرسل الى بلدة
فائية ، وعين على اثر ذلك مدرساً في متوسطة « غنة » القريبة من

الحدود السورية الشمالية الشرقية .

وقضى هناك سنة كاملة .

وحنّ الى طلب العلم من جديد ، فأمّ بيروت مرّة اخرى ، وأخذ يستعد لنيل شهادة استاذ في العلوم (M.A.) فحصل عليها في شهر حزيران من عام ١٩٤٠ .

ولم يكذّر يرجع الى وطنه ، ويستروح قليلاً حتى عين « مساعداً لمراقب البرامج العربية والنشر » في محطة اذاعة القدس ، حيث قضى في تلك المصلحة عاماً ونيّفاً .. وما كاد يستقيل ويخلد الى قليل من الراحة حتى استدعته ادارة المعارف العامة ، فأمضى بالقدس نحو ستة اشهر قبل ان تناط به وظيفة « مفتش معارف بلدية يافا » و « مساعد مفتش معارف اللواء الجنوبي » من فلسطين لمدارس المدينة ذاتها ، حيث بقي في هذا المنصب من اوائل عام ١٩٤٢ حتى انسحاب الحكومة المنتدبة على البلاد وتشريد أهلها عام ١٩٤٨ .

وكان أن عاد المؤلف ، مع جميع افراد أسرته ، الى بيروت ، مدينة آبائه وأجداده ، واستقرّوا فيها الى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .. الاّ انه لم يلبث ان غادرها وحده بعد ان انتدبته وزارة المعارف العراقية استاذاً في كليات بغداد العالية حيث قضى ثلاث سنوات محاضراً في الأدب العربي وتاريخه ، في كل من « الكلية التوجيهية » و « كلية الآداب والعلوم » و « كلية الملكة عالية » ... وكان قبل ذلك قد اتفق مبدئياً على الالتحاق بوزارة المعارف الاردنية في عمان لما له من وثيق الصداقات التي تربطه مع رجالات تلك الملكة الفتية .. خاصة وان جلالة المغفور له الملك عبد الله ، كان دائماً يصدر عن كرمه الهاشمي ، فيدعو المؤلف الى الاردن ، تارة شفاها وتارة اخرى بالشعر الأعجم الكريم . ومن اوائل هذا الشعر السامي قصيدة نشرتها جريدة الدفاع الغراء التي كانت تصدر آنذاك في مدينة يافا ، وذلك بعدد يوم

الأحد الواقع بتاريخ ٣٠ آب ١٩٤٢ . وقد جاء فيها :-

(ما كنت في ذكر وجدي غير محتسب^(١))
يقوله شاعر قد هيص من شمس
قُبَّ شَوَازِبَ في ركبٍ مشينٍ به
يتبعن للعرب رأساً غير منتكس
فهاجه الشعر من بعدٍ وعن كُتبٍ
فجاء بالدرِّ قولاً طَيَّبَ النَّفْسَ
يا شاعراً ما عرفناه لساعتنا
هلاً تَورُورُ بلادِ الأَينِثِ الكُنُسِ
فقسْطِيبُ ربَّاهَا والفلا مرحاً
قطرَحُ الأَينِ فيها لَسَتْ بِالْحَنَسِ
بعيدةً عن زحامِ الغَيرِ قد عَرُبَتْ
فيها المكارمُ تحيا لِنَسْنِ بالدُّرُسِ
ما كنتُ أَحسبُ أَنَّ القَوْلَ مُسْتَمَعٌ
حتى أَجَبْتَ كَلامَ الشاعِرِ لِلأَنِسِ^(٢)
عَبْرَ الجبالِ ، وَعَبْرَ الغُورِ تَسْمِعُنَا
ما هَاجَ مِنْكَ ضَمِيرَ الحَانِقِ اليَئِسِ
ما هَذه الدارُ إِلَّا بَعْضُ أرضِكمُ
لا تَيأسَنَّ لَذَكَرَى غَايِرِ طَمِسِ
مَنْ يَنْصُرُ اللهَ يَنْصُرْهُ بِلَا مَهْلٍ
فَمِنْ ما ثَرَّ اسلافٍ لَنَا اقْتَسَبِ
وغازر المؤلّف بغداد الى بيروت . وهنا تعاقد مع جامعته الاميركية
استاذاً للأدب العربي طوال العام الدراسي ١٩٥١/٥٢ في كليتها الاستعدادية .
وما كاد هذا العام ينقضي حتى استدعته جامعة تكساس في مدينة
اوستن من أعمال الولايات المتحدة الأميركية ، بالأشتراك مع وزارة
الخارجية الاميركية ، استاذاً زائراً ، فعادر بيروت ، طائراً ، الى اميركا
حيث أنشأ دائرة للدراسات العربية الشرقية في الجامعة المذكورة .

(١) . اشارة الى قصيدة المؤلف الاستاذ محمود الحوت التي يقول في مستهلها :

ما كنت في ذكر وجدي غير محتسب حتى بدا طيفها في هداة الفلج
فرعاً من النور وهاجاً كما سطعت في ليلة القدر بشرى فجرها القدسي
مرت على خاطري رؤيا مجنحة أسرى بها في خيالي شارد النعس

(٢) وهو يعني الاستاذ عبد المنعم الرفاعي ، رئيس الشريقات السنية آنذاك .

وكان الرفاعي قد بعث الى صديقه المؤلف بقصيدة على اثر مرور موكب سيد البلاد بوادي
الموجب ، تأسجاً بدوره على برمنوال احدى قصائد سمو الامير عبد الله (قبل التتويج) في تلك الرحلة .
قد اجاب الاستاذ الحوت بقصيدته على نفس القرار .

وفي أوائل عام ١٩٥٣ عاد الى بيروت حيث كان في ٢٠ ايلول ١٩٥١ قد تزوج من الآنسة المهذبة « نوال » كريمة ابن عمه « المغفور له » جميل سعد الدين الحوت ، ولم يستقر في العاصمة اللبنانية إلا بعد ايامه من رحلته الأميركية . وهو الآن يشغل منصباً رسمياً كبيراً للترجمة ، ويلقي محاضرات علم النفس على طالبات مدرسة التمريض الوطنية في بيروت ومهما كان تعريفني بالمؤلف ، فلن أتمكن من الإحاطة بنواحي شخصيته الثقافية كلها ، ولكنني أعلم انه كان محركاً ديناميكياً لذلك النشاط العجيب الغريب الذي كانت مدينة يافا تعيش به في السنوات القليلة التي سبقت عام ١٩٤٨ ، فقد أمثا للمحاضرة فيها وإلقاء طرائف من روائع الشعر ، عدد كبير من كتاب العالم العربي وشعرائه من أمثال عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، وتوفيق الحكيم من مصر ، وفؤاد الخطيب من الأردن ، و خليل مردم بك ، وعمر أبوريشة من سوريا ، وعبدالله الغلايلي وأمين نخلة ، وكرم ملحم كرم ، والحوماني ، والأخطل الصغير ، من لبنان ، واحمد الصافي النجفي ، ومحمد الجواهري من العراق وغيرهم كثير ، أضف الى هؤلاء كلهم أدباء فلسطين وشعراءها ، ورجال العلم فيها ، ومفكرها الذين كانوا يشتركون في حفلات المدينة الخطابية ومهرجاناتها الأدبية والشعرية التي كانت تقام على فترات قصيرة متوالية

وعلاوة على جهود المؤلف الصادقة في العمل على إظهار تلك الحفلات والمهرجانات بما تستحق من حلة قشبية وبهاء أخاذ ، وعلى قيامه بالتمهيد لها خير تمهيد ، وتقديمه الأدبي الرائع للكتاب والشعراء على أفضل وأكرم ما يكون التقديم ، فقد كان هو نفسه سكرتيراً لعدد من اللجان الثقافية في البلاد ، ومحاضراً في كل جمعية وناد ، ومشتوفاً بكل مهرجانات فكري عام ، وكل حفلة أدبية او شعرية كبرى ولطالما دعي الى إلقاء المحاضرات في طول البلاد وعرضها ، فهو تارة في حيفا ، وهو تارة في غزة ، واخرى في نابلس والقدس والخليل ، وعمّان وهو ما كلت

ليعتذر عن تلبية أية دعوة توجهها اليه اللجان الثقافية إلا إذا كان مدعواً حول ذلك التاريخ الى إلقاء محاضرة من محاضراته او مختارات من مختارات اناشيده واسعاره .

هذا ويعود نشاط المؤلف الادبي الى عهد بعيد .. الى ايام دراسته الثانوية الباكورة ، والى عهد طلبه العلم في جامعة بيروت الاميركية ، فقد كان من أبرز أعضاء جمعية العروة الوثقى العاملين النشيطين البنائين ، كما عمل آنذاك رئيساً للجنة التحضيرية الداعية لمؤتمر الطلبة العرب والممهدة الى عقده في القاهرة خلال صيف ١٩٣٧ ، لولا ان حالت دون ذلك ظروف محلية مصرية قاهرة .

والمؤلف ، أيا ن حلّ وارحل ، لم يكن يهدأ او يركن الى سكونية فقد تغنّت بغداد طوال نزوله فيها بأشعاره الوطنية ، وانشيده الحماسية ، واغانيه الوجدانية ، وهو كثيراً ما استترك في برامج اذاعتها ، وحاضر في أندية ، والقى فرائد القصائد ، وغدّى بها صحافتها ، الى جانب زاوية عنوانها « من عيون الشعر العربي » كانت تخصّه بها محطة الاذاعة العراقية ليلقيها على فترات من وراء مذياعها .

وقد ألجّ عليه أصدقاؤه الكثيرون في بغداد ، وحملوه على نشر ملحنته « المهزلة العربية » فصدرت عام ١٩٥١ ، وتخطفتها الايدي ، واذاغت المقطعات الطويلة منها محطات الاذاعة العربية في مختلف الاقطار وتناولتها صحف العالم العربي ومجلاته ، وكذلك الصحف العربية في المشرق والعالم الجديد ، بالتعليق والتقريظ ، وقد نفذت الطبعة الاولى من هذه الملحنة في ايام معدودات .

ولم أقل « حملوه » حملاً على نشرها ، بحاملة منيّ وعفواً ، فأنا أعرف عنه جيداً أنه أبعد الكتاب والشعراء عن الطنطنة ، ولهذا كثيراً ما كان يلجأ الى الاسماء المستعارة ، أو حتى الى نشر قصائده ورسائله وقصصه ومقالاته غفلاً من التوقيع . وزولاً عند ارادته فقد وقع كثير من الصحف ،

انتاجه المتعدد النواحي بأمثال هذه الاستعارات : « م » ، « م . ح » ، « فلسطين » ، « مجري » ، ربيع « ... » ، « نزيل بغداد » « بعيد » الى غير ذلك . وعلى كثرة ما انتج المؤلف ، فلم يصدر له على شكل مجموعة او كتاب ، الا ملحمة « المهزلة العربية » وهي أناشيد عربي من فلسطين ضلّ في الآفاق ، والا هذا المؤلف الذي بين يديك أيها القارئ الكريم ، وقد سبق ان نشرته له تباعاً بمجلة « الأديب » الغراء التي تصدر في بيروت والمؤلف ، كما أعلم ، علاوة على شعره الضخم ، ديوان من القصائد الوجدانية جاهز للطبع منذ سنوات ، اسمه « ربيع » والظاهر أن توالي الاحداث قد جال دون صدوره ، ولا أدري متى يدفع به الاستاذ محمود الى عالم النشر .

هذا وعهدي بالذين تتاح لهم الفرص فيزورون اوربا او العالم الجديد ، ان تأخذ بأبصارهم مظاهر الحياة ، وكل ما فيها من جديد بالنسبة اليهم . أما صاحبنا ، فعلاوة على تجواله في كل ناحية من نواحي الشرق العربي من جنوب مصر الى الاردن وسوريا كلها ولبنان الى العراق ، وزيارته الحاطقة لأوروبا ، فقد مكث نحو نصف عام في الولايات المتحدة الاميركية ، وطوف ما بين شماليها الى جنوبيها ، وراح في محاضراته العديدة ، باللغة الانجليزية ، يعرف ابناء « الغم سام » بماضي العرب المجيد وحاضرهم المتطلع الى المستقبل ، فألقى المحاضرات على منابر جامعة تكساس وفي صفوفها ، كما دعت له الاندية الكبرى وبعض الكنائس ، محاضراً في التاريخ والادب والاجتماع والدين والسياسة ، رامياً من وراء ذلك كله الى كشف ما ألقى على أبصار القوم هناك ، فحال دون رؤيتهم نور الحق الأبلج في كل ما يتعلق بقضايا الشرق العربي عامة ، وقضية وطنه البلد المقدس الذي ساهم في إضاعته نفر ضئيل من كبار ساستهم خاصة . هذا ، والمؤلف ان كان يأسى لشيء معين ، فلم يذكر قط بعد تشريده ثروة كبيرة أضاعها ، او عرضاً دنيواً زائلاً سقط من يديه ، وانما

يذكر ، والنعم يعتصر قلبه ، الأرض التي دب عليها ، والتي اقتلعوا جذور
شجرة أحلامه من أثمارها ، ويرمي بجباله الجريح الى معظم ما خطه
وسططره قلعه المغسوس بدم قلبه من نثر وشعر خلقتها وراءه في منزله
الجميل القائم في أروع أحياء « يافا » الخالدة ، وأضاعها فيما أضاع حتى
ذلك العام المشؤوم (١٩٤٨) .

وأخيراً حان لمؤلفه القيم « في طريق الميثولوجيا عند العرب » ان
يظهر الى عالم النشر مجموعاً في صورة كتاب كامل ، والواقع أنه لم يحل
دون ظهور هذا الكتاب عائق الاّ عنصر التواضع الذي يغلب على
المؤلف . لقد كان كثيراً ما يقول ان كتابه هذا عبارة عن رسالة
خاصة في موضوع محب اليه ، تقدم بها الى دائرة الدراسات العربية في
جامعة بيروت الاميركية لنيل شهادة استاذ في العلوم (M. A.) ليس الاّ ..
وكان الى ذلك يعتقد بان باحثاً اطول منه باعاً في مثل هذه الدراسات
لا بد وان يطلع علينا بكتاب في الموضوع نفسه أشمل وأعم .. وانتظر ،
وطال به الانتظار .. وبقي الحيز المعد في المكتبة العربية لمثل هذا
الكتاب شاغراً يترقب .

وكان ان دفعت بالاستاذ الحوت عوامل شتى الى نشر اولي الكتاب
في مجلة « الأديب » على دفعات ، وما كادت الابحاث تظهر حتى توالى
على ادارة المجلة ، وعلى المؤلف نفسه رسائل الثناء من كبار الباحثين
ورجال الفكر واللغة والأدب ، مؤيدين ومشجعين وحاضين على نشر
الكتاب كاملاً .

هذا بالاضافة الى الإلاح الشديد من مختلف الاصدقاء على إصداره
منذ زمن طويل .. وها هو ذا بين ايدي القراء بحثاً مستفيضاً في المعتقدات
والأساطير العربية قبل الاسلام ، لا نظن ان طالب الأدب العربي ، وخاصة
الجاهلي منه ، يستطيع الاستغناء عن أمثاله .

أما المثقفون من غير طلاب الأدب والحضارة العربية ، فهم أدري بأن

الثقافات الغربية والشرقية لا يمكن ان تقوم الا على اسس وجذور ضاربة الى الاعماق . ولهذا كان للميثولوجيا اليونانية والرومانية خطرهما ومؤثرتهما في حضارة الغرب اللغوية والأدبية والاجتماعية .

والأستاذ الحوت كان على علم بهذه الحقائق عندما أقدم على هذا الموضوع الشائك الخطير الشائق ، كما كان على معرفة اكيدة بأنه رائد مجاهر وفاتح آفاق ، ولهذا نراه يشير الى ذلك في مقدمته .. لا بل حتى في عنوان الكتاب الذي سماه « في طويق الميثولوجيا عند العرب » ولم يكتف بتسميته « الميثولوجيا عند العرب » وحسب .

وانهم ليسعدني ان يطلب إليّ تقديم المؤلف وكتابه القيم ، وإن كانا في غير حاجة الى تقديم او تعريف ، فصديقي الأستاذ محمود سليم الحوت كاتب معروف وشاعر كبير ، وأما كتابه فأتزكه للقراء الكرام يحكمون عليه بأنفسهم . وإنهم لأقدر مني على ذلك .

الدكتور طه خالدي

بيروت في ١/٦/٥٥

في طريق الميثولوجيا عند العرب

في طريق الميثولوجيا عند العرب ، رسالة كنت تقدمت بها الى دائرة الدروس العربية في جامعة بيروت الاميركية لنيل شهادة « استاذ في العلوم » وبعد الانتهاء من هذه المهمة العلمية ؛ بقيت هذه الرسالة مدة طويلة في منزل عن عالم النشر ، وانا انتظر ان يتناول هذا الموضوع اكثر من قلم فيتعب السبيل لمن يرغب في إرتياد تلك المجال من أدب العرب القديم .

واليوم ، وبعد سنوات عدة ، وجدت لازماً عليّ ان أدفع بها الى عالم النشر .

المقدمة

كنت ولا ازال ، اعتقد ان في الخزانة العربية خيراً معدداً للميثولوجيا لم يشغل بعد ، ولا اعلم سبباً لهذا النقص في الادب العربي الحديث ؟ ولعله اعتقاد عام ، يكاد يكون راسخاً ، باننا لم يكن عندنا ميثولوجيا خاصة ، كأن العرب ليسوا كغيرهم من الامم القديمة التي لعبت الالهة والشياطين دوراً هاماً في حضارتها الاولى ، ولقد قالوا : حتي نتوصل الى صميم حضارة ما ، يجب ان نكون على علم بالهتها^(١) ولعمري ان لهذا الاعتقاد اثرأ فعالا في حد الخلق في ادبنا المعاصر

(١) ص ٢٩ ، Hackin And Others : Asiatic Mythology .

وكبح الخيال عن الانطلاق في اجواء رجة فياضة بالالوهام والتصورات
يغرق فيها المبدع والمتذوق لهذا الابداع فيعيشان هنيهات سكرى ، يمتزج
فيها العقل بالعاطفة ، فتنعش الروح ، وهل من نتيجة للادب الحي اسمى
من الانتعاش الروحي ؟.

ان لمحة في الكتب الصفراء حملت شاعراً من شعرائنا الافذاذ الى عبقر
فقداد وفي جعبته ملحمة صغيرة ، لو تروى في اخراجها لجاءت اروع مما هي
عليه الآن من الادب المستحب الرفيع . وعديدة هي الموحيات في تراثنا
الادبي لو وجدت عبقرية هاضمة خالقة في آن واحد .

والكثير من الذين يرون ان العرب كانوا على شيء من البلوغ الى
هذه العوالم ، يعتقدون انهم استوردوها ، فيما كانوا يستوردون ،
من الامم المجاورة . نعم ، ان العرب لم يكونوا منعزلين عن
جيرانهم ، بل كانوا ذوي صلات وثيقة بالاطراف . والتاريخ يشهد
على ان المصريين القدماء ، والاكاديين قد اخترقوا بلاد العرب ، وما
زاد في احتكاكهم الخارجي نشوء المستعمرات الاجنبية في الجزيرة
على توالي الزمن ، وازدهار الطرق التجارية التي كانت تنقل مستوردات
الهند ، وافريقية الشرقية ، وبلاد اليمن الى العالم الغربي ، والامبراطورية
البيزنطية ^(١) فلا عجب اذا « كان الدخيل كثيراً في العربية قبل الاسلام .
لانه لا يحتمل ان يتصل العرب بسكان مصر ، والشام ، والعراق ،
وفارس كما كانوا متصلين ، ولا يدخل العربية كثير من اللغات المصرية ،
واليونانية ، والسريانية ، والعبرانية ، والفارسية ، ولو خفي على جامعي
العربية اصل كثير من كلماتها فحسبوها كلها من صميم العربية » ^(٢)
لقد احتك العرب بغيرهم من الشعوب ، ما في ذلك ريب . ولا شك
في اخذهم عنهم الكثير ، حتى عبدت آلهة اشورية في اليمن ، وأثرت

(١) من ١٩١ O'Leary : Arabia Before Muhammad

(٢) ص : د - هـ يعقوب صروف في مقدمته لكتاب : « فلسفة اللغة العربية وتطورها » لضموط

حضارة الفينيقيين واليونان في السنين ، كما ظهر انه كان للحضارة الاسورية والنبطية تأثير على الحجازيين .

حسن كل ذلك ، على أنه بدهي ايضاً ان يكون للعرب انفسهم تأثير على غيرهم من هذه الشعوب ، فالفرضية لا بد وان تكون « كبيع السوق خذ مني وهات » كما يقول جرير ! بما أدى بهومل Hommel الى القول ان من المحتمل الشديد ان يكون اليونان قد استعاروا ، منذ القدم ، عن طريق التجار العرب الجنوبيين آلهتهم Apollo وامه Leto و Dionysos و Hermes ^(١) . ونعلم ايضاً ان اليونان قد اخذوا الكثير من شعوب الهلال الخصيب من آلهة ومعتقدات .

فكيف إذاً نحل الميثولوجيا العربية الضم إذا استعارت من غيرها ، ولدى التحقيق لا نجد ميثولوجيا خاصة لشعب من الشعوب دون ان تكون قد أخذت الكثير من غيرها ؟ ولو اوغلنا في القدم متعمقين في اصل اللغات ^(٢) لوجدنا ان هذه الاساطير وما بها من اسماء ميثولوجية انما تنبثق في البدء من اصل واحد ، وتتفرع بانشقاق الشعوب ، وتختلف باختلاف طرق المعيشة التي اخذت اسبابها كل شعب في نطاقه على حدة . ولهذا نجد كثيراً من الشبه الاصيلي في ميثولوجيا الشعوب المتجاورة والمتباعدة منها .

فالفرضية اخذ وعطاء ، كما قلنا ، لا بل ان المفرقين في الشبهات يرون حتى الاديان السماوية ، في زعمهم ، سلسلة اعتمادات ، فاذا ما تداولوا قصص اقرآن التي تدور حول اشخاص توارثية وجدوا لها تتبعاً في التامود ، وفي احوال اخرى يرون امثال هذه الاساطير في الزندفستا Zendavesta ^(٣) او الوثيقة الاصلية لديانه زروستر Zoroaster ^(٤) .

(١) ص ٣٨٠ ، المجلد الأول Encyclopaedia of Islam

(٢) ص : ١٢٩ المجلد التاسع عشر Encyclopaedia Britannica

(٣) ص : ٣٣٨ Claude Reignier Conder : Syrian Stone-Lore

(٤) ص : ٩٦٧ المجلد الثامن والعشرون Encyclopaedia Britannica

ولعل امتناعنا عن البحث في الميثولوجيا العربية ناتج عن الظن بأن الميثولوجيا هي وقف على العلاقات بين الآلهة والابطال من زواج وحروب ، كما كان عند الاغريق حيث تشارك الآلهة البشر بالاحساس والمأكل والمشرب ، وحيث كثر تشبيه البشر بالآلهة في الشعر حتى زعموا انه كان لكثير من ابطال اليونان علاقة نسب بالآلهة ، وكذلك لغيرهم من الشعراء كهوميروس الذي اعجب به ارسطو فالصق نسبة بالآلهة (١)

على انه ، وان كان عند العرب ما يشبه ذلك ، كما سنرى ، فليس هذا كل ما تعطيه الميثولوجيا من معان . فهي علم يبحث في اساطير التكوين والآلهة والابطال ، وهي كلمة تطلق على هذه الاساطير نفسها . فعندما نتكلم عن الميثولوجيا اليونانية نعني بذلك اساطير البطولة اليونانية ، والمقدسة ، والساوية ، كما نعني بعلم الميثولوجيا تلك المحاولات التي رمت الى ايضاح هذه الخرافات (٢) وتعطي كلمة الميثولوجيا ، ايضاً ، معنى عرض الخرافة او تفسيرها ، وتطلق على القصة الخرافية نفسها او على مجموعة اساطير تتعلق بالمعتقدات الخرافية او الدينية لقطر من الأقطار او سعب من الشعوب ، او على تلك الناحية من العلوم التي تعني بالخرافات والأساطير (٣) . ولهذا قال احمد امين ان الخرافات كسد مأزب والخرورق وغيرها أصبحت موضوعاً لما يسمى علم الميثولوجيا (٤)

فاذا ما درسنا الميثولوجيا العربية فيما سنثبته من فصول ، لا نكون أبعدنا عن صميم الموضوع ، وبهذا نكون ان مهدنا الطريق الى باب لم يزل مغلقاً ، قد بلغنا الغاية التي بذلنا من اجلها هذا المجهود القليل

(١) من : ٢٢ ، ٢٨٦ ، ٩٠ هـ سليمان البستاني : الباذة هوميروس

(٢) من : ١٢٨ المجلد التاسع عشر Enc. Brit

(٣) من : ٨١٩ المجلد السادس Oxford Dictionary

(٤) من : ٤٧ ، ٤٨ احمد امين : فجر الاسلام

الباب الأول

رفض عبادة الأحجار في الجزيرة العربية

الفصل الأول في الاسلام

لم يبق الاسلام على اثر من عبادة الاحجار التي سادت اديان الجاهليين في بلاد العرب فقد كان الشرك بالله اول ما دعا محمد الى محاربته والقضاء عليه ولم يتساهل هذا الرسول العربي ، على ضعفه في بدء الدعوة مع قريش ، اشد القبائل مناهضة للدين الجديد ، في شيء من امور آلهتهم ، بل أخذ يسهف احلامهم ويعيب اديانهم ، بعد ان كذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ولما اشتد عليهم أمره وكادت تعاليمه تنتشر بين القبائل ، اجتمع رهط من اشراف قريش وبعثوا اليه فجاءهم ، وكان حريصاً على رشدكم فقالوا له « يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا والله ما نعلم رجلاً من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شئت الآباء ، وعبت الدين ، وشئت الآلهة وسفحت الاحلام وفرت الجماعة ، فما بقي امر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت اتنا جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت اتنا تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رؤياً تراه قد غلب عليك .. بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبوءك منه او نغذر فيك » فيجيبهم محمد بقوله

« ما بي ما تقولون . ما جئت بما جئتم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي وتصحتم اكم فان قبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم (١) »

وهنا يعلمون ان بينهم وبينه لصراع المستبيت فيجادلونه ويناضلون به سواء دفاعاً عما ورثوه من العادات المتأصلة والمعتقدات ، وذوداً عن حياض الآلهة ، او كما يرى نلدكه ، انفةً منهم عن الانصياع الى حاجكم فرد او حكومة منظمة ، ورغبةً في احتفاظهم بشؤون اقتصادية لها علاقة وثيقة بالمقامات الدينية بينهم (٢) .

وما زال هذا الصراع محتدماً حتى لانت قناتهم امام هذا الدين الجديد الذي حاربهم بالكلام والسيف .

وبدلاً من استراطهم على النبي - فيما بعد - ان يعبدوا آلهتهم العديدة علاوة على عبادة آله الواحد اساساً لدخولهم في الاسلام ، اخذوا يطلبون منه ان لا يهدم هذه الآلهة ، او فليبق عليها ولو مدة من الزمن فأبى بل وطلب من وفودهم ان يهدموها بانفسهم . رويوا ان ركب ثقيف قدموا يريدون البيعة والاسلام ، واشتروا ان لا يهدم لهم الطاغية - وهي آلات - ثلاث سنين فأبى عليهم ذلك ، فما برحوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ، فأبى عليهم ان لا يكسروا اوئاثهم بأيديهم . فقال لهم : اما كسروا ئاثكم فسنعفيكم منه (٣)

وبما يذكر أيضاً مع هذا الحديث ما رواه موسى بن عقبة قال :

(١) ص : ١٨٧ ، ١٨٨ محمد بن اسحاق - رواية ابن هشام : السيرة

(٢) ص : ٦٥٩ المجلد الاول : Enc. of Religion and Ethics

(٣) ص : ٩١٦ : السيرة

« ان وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلاً فلما قدموا انزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنا والحرم فحرم عليهم ذلك كله ، فسألوه عن الربة ما هو صانع بها ؟ قال : اهدموها ، قالوا : هيهات ! لو تعلم الربة أنك تريد ان تهدمها قتلت اهلها ! فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا ابن عبد ياليل ما اجهلك ! انما الربة حجر . فقالوا : انما لم نأتك يا ابن الخطاب ! ثم قالوا : يا رسول الله تول انت هدمها . اما نحن فانا لن نهدمها أبداً . فقال : سأبعث اليكم من يكفيكم هدمها (١) . ولما خرج الرسول من المدينة متوجهاً الى مكة قال العباس بن عبد المطلب : « يا صباح قريش ، والله لئن بغتها الرسول في بلادها فدخل مكة غنوة انه لهلك قريش آخر الدهر (٢) » . غير ان محمداً يدخل مكة فاتحاً في السنة الثامنة للهجرة ، ويقف على باب الكعبة ، ثم يقول من حديث له : « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب » ويتلو الآية : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (٣) ويخاطب قريشاً بقوله : « يا معشر قريش ويا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم ؟ » فيقولون : « خيرآ .. أخ كريم وابن أخ كريم » فيسرحهم ويقول : « اذهبوا فانتم الطلقاء » (٤) .

وهنا تتجلى سلطة النبي واتباعه ، بعد ان كان يستهزأ به وبدينه ، ويقال لتابعه وهو يعذب اشد العذاب : اما ان تموت او تكفر بمحمد (٥) .

(١) ص : ٣٣ المجلد الخامس ، ابن كثير : البداية والنهاية

(٢) ص : ١٦٣٠ ، ١٦٣١ المجلد الاول ، تاريخ الطبري

(٣) القرآن الكريم : سورة ٤٩ آية ١٣

(٤) ص : ١٦٤٢ المجلد الاول ، تاريخ الطبري

(٥) ص : ٢٠٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ : السيرة .

اما الآن فقد اصبح يفرض عليهم ما يشاء فرضاً .. ويدخل الكعبة والاصنام مصفوفة بها فيطعننها في عيونها وهو قاتل : جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً .. ويصلي الظهر يوم الفتح ، ثم يأمر بالاصنام التي كانت حول الكعبة كلها فتجمع ثم تكسر وتحرق . وفي ذلك يقول النبي ، فضالة بن عمير بن الملوح :

أولما رأيت محمداً وجنوده بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت نور الله أصبح بيننا . والشرك يغشى وجهه الاظلام (١)

وينادي في هذا اليوم مناد يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك في بيته صنماً الا كسره وأحرقه ، وثمته حرام (٢) » ومن المفيد ان نشير الى المبالغات والاساطير التي حيكت فيما بعد حول اعمال المسلمين الاول بآرباب العرب في الجاهلية وعبادتها . كأن يروى مثلاً عن ابي هريرة قوله : « لما بعث الرسول اصبح كل صنم منكساً فأقت الشياطين ابليس فقالوا ما على الأرض من صنم الا وقد اصبح منكساً ، قال ، هذا نبي قد بعث » (٣) .

ولقد يؤول ما عناه أبو هريرة ، ان ثبت هذا عنه ، بغير ما يفهم من كلمته مجردة ، فلا بأس عندئذ من تفسيره بان الاسلام قد نكس الاصنام ومحا اثرها بعد ذلك من اطراف الجزيرة بأسرها .

ومحدث ابن هشام عن يثق به في اسناد له يرجع الى ابن عباس ، قال : « دخل رسول الله (صلعم) مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها ، وحول البيت اصنام مشددة بالرصاص ، فجعل النبي (صلعم) يشير بقضيب في يده الى الاصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ، فما اشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لققاه ،

(١) ص : ٧٦ ، الأزرقى : اخبار مكة

(٢) ص : ٧٨ ، نفس المصدر .

(٣) ص : ٢٠ ، المجلد الثالث ، البداية والنهاية لابن كثير .

ولا اشار الى قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها ضم إلا وقع ، فقال تيم بن اسد الخزاعي في ذلك :

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب او العقاب^(١) .
وانه ما كان يزيد الرسول على ان يشير بالقضيب الى الضم فيقع لوجهه^(٢) .
وهذا قليل بالنسبة الى ما يروونه من اعمال الانبياء او حتى عن الأولياء والدرأويش .

ولما انتهى محمد من تحريق اصنام الكعبة وتكسيرها ، وتنظيف مكة منها ، بث السرايا الى اصنام القبائل الاخرى لهدمها ، فكان على رأس تلك السرايا عدد من مشاهير رجاله وقواده كالطفيل بن عمرو الدوسي ، وسعيد بن عبيد الأشهلي ، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، وعلي بن ابي طالب ، وخالد بن الوليد وغيرهم .

وما ذاع نبأ وفاة النبي حتى وقع نعيه كالصاعقة على رؤوس المسلمين وكاد يذهل أشدهم صلابه وبأساً . وناهيك بأبن الخطاب يقسم ان محمداً ما مات ! وعبثاً يحاول المغيرة اقناعه بالحقيقة المرة . ولما ألح المغيرة عليه قال ، : كذبت !^(٣) . غير ان أناة أبي بكر وحزمه وضعاً حداً لحدث عظيم في تاريخ الاسلام فقد فاجأ عمر ومستمعيه في المسجد بقوله : « إن من كان يعبد محمداً ، فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت^(٤) » وذكرهم بالآية التي كادوا ان ينسوها لهول الصدمة في تلك الآونة : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين »^(٥) .

(١) ص : ٨٢٤ ، ٨٢٥ السيرة .

(٢) ص : ٧٦ الازرقى .

(٣) ص ٤٧٨ محمد حسين هيكل : حياة محمد

(٤) ١٠١٢ ، السيرة

(٥) القرآن الكريم : سورة ٣ آية ١٣٨

وبالرغم من اتخاذ المسلمين الحيلة لكل طارئ فقد سرى الخبر بين القبائل سريان البرق ، وارتد كثير من الاعراب الى الطواغيت وعبادتهم الاولى ، وسمع مثل قولهم

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر ؟ (١)
حتى ان منهم من ارتد قبل وفاة الرسول ، وكان قد اسلم لغرض في نفسه ، فلما قضاه ارتد الى أهله مشركاً وقال
وكنت الى الأوثان أول راجع (٢)

غير ان أبا بكر ، البطل الأول في حروب الردة ، يتصدى لهؤلاء بعقيدة ثابتة ، وعزم لا يتزعزع ، فيقضي على هذه الفتنة ويعيد المرتدين الى حظيرة الاسلام ، ويمجى التاريخ

الفصل الثاني : قبل الاسلام

وليس الاسلام اول من دعا الى رفض هذه العبادة ، فقد كان في بلاد العرب المتحفظون ، وذلك بعد ان هاجر ابراهيم الى الحجاز كما تخبرنا الكتب المقدسة ، يقيمون الصلاة لاله واحد ، قال جرّان العود
وادركن اعجازاً من الليل بعدما اقام الصلاة العابد المتخف (٣)
ولا ننس ما كان منبئاً من التعاليم اليهودية والمسيحية ، تترك الديانتين اللتين وجدتاهما مكاناً في بلاد العرب قبل الاسلام باجيال كما كان هناك افراد لم يثبت أنهم دانوا بدين سماوي ، الا أنهم سفهوا عبادة الاحجار وكرهوا ما كان يصحبها من شعائر ومناسك

اولاً الحنيفية

الحنيفية أو دين ابراهيم عليه السلام والقليل معروف عن هذا النبي ،

(١) ص ١٨٧٥ ، المجلد الاول تاريخ الطبري

(٢) ص ١٥١٦ نفس المصدر

(٣) ابو سعد السكري ، ديوان جرّان العود - : صفحة ٢٢

حتى ان بعض الماديين من باحثي التاريخ يعتبرون ، على زعمهم ، ترجمته المذكورة في سفر التكوين في حكم الاسطورة ، فما أقاربه ، على رأيهم ، الا اسماء قبائل ليس إلا ، وما ابنائهم وآباؤهم من يعقوب الى نوح الا اسماء قصصية . اما اصله فقيل انه من الرافدين وفد من « أور » الى بلاد الكنعانيين ^(١) وقد دخل مدينة حران فسكنها مدة وتزوج بنت ملكها « سارة » ثم هبط بلاد الأردن . وهناك قدمت له سارة جاريتها هاجر لعله يأتي منها بولد ، اذ انها كبرت ولم ترزق البنين . فلما حملت هاجر ووضعت اسماعيل ، اغتبت سارة ودخلتها الغيرة ، وطلبت من زوجها ان يحول هاجر الى حيث شاء ، فاوحى اليه ان احمل هاجر واسماعيل الى ارض الحرم . فسار ابراهيم بزوجته وولده الى الحجاز ونزل قريباً من البيت ، والبيت كأنه ربوة من آثار الطوفان ^(٢) وأمر هاجر ان تتخذ عريشاً وقال : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع » ^(٣) ثم انصرف الى الشام ^(٤) . وتقيد القصة انه لم يكن بمكة بيت مشيد بعد ، ولم يرفع هو وابنه قواعد البيت الا لما زارها للمرة الثالثة ^(٥) وذلك بعد ثلاث وعشرين سنة من مفارقة اسماعيل ، فقد اشتاق اليه فسار حتى لقيه وهناك اوحى الله اليه ان ابن البيت المحرم ^(٦) فاطلع ولده اسماعيل على هذا الامر ، وقاما يحفران عن القواعد ويقولان : « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » ^(٧) وكان اسماعيل ينقل

(١) المجلد الاول ، صفحة ٩٠ The Jewish Encyclopaedia

(٢) علي بن حمزة الكسائي ، قصص الانبياء ، ج ١ صفحة ١٤١ - ١٤٣ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة ١٤ آية ٤٠ .

(٤) الأزرقي ، اخبار مكة ، صفحة ٢٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ صفحة ٢٧٨ - ٢٨٢ .

(٦) قصص الانبياء ج ١ صفحة ٢٤٤ - ١٤٥ .

(٧) القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٢١ .

الحجارة . و ابراهيم الشيخ يبني حتى ارتفع البناء (١) .

x هذا ولا تكاد توجد اسطورة تتحدث عن ابراهيم الا ومن اهم خطوطها محاربة الاصنام . فقد جاء انه وهو في الرابعة عشرة من عمره ترك اياه ، بل حاول ان يقتنيه بتوك عباد الاوثان . وبما يروى انه قام في احدى الليالي واضرم النار في البيت المحفوظة فيه ، وقد احترق اخوه ومات في محاولته انتقاذها واطفاء النار (٢) .

والآيات التي وردت في القرآن الكريم بهذا الشأن كثيرة ومفعمة بمحدث تلك الحملة الشعواء التي حملها ابراهيم على الاصنام دون ان يخشى غضب قومه وغضب البمرود الذي أمر بإلقائه في النار . . فلم تكن عليه إلا برداً وسلاماً . وفي « الأنعام » أخبار عن مجادلة ابراهيم اياه في اصنامهم وآلهته . ووصف لحيزة ابراهيم في معرفته ربه باديء ذي بدء ، ولما لم يقتنع بالكواكب ولا بالشمس والقمر وجه نفسه للذي فطر السموات والأرض ، وقال لقومه بعد ان حاجوه بالله ، كيف أخشى ما أشركتم ، ولا تخافون انكم أشركتم بالله (٣) وجاء في « الحج » : « وإذ يوانا ل ابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات » (٤) . مؤفين النذور ، مجتنبين الرجس من الاوثان حنفاء غير مشركين .

وكانت جرم يومئذ بواد قريب من مكة ، وقد نبش الطفل اسماعيل عين زمزم فلزمت الطير مكانها ، فجاءت هذه القبيلة الى هاجر ، وظلبوا

(١) اخبار مكة : صفحة ٦٦ .

(٢) The J. Encyc ، المجلد الأول ، صفحة ٨٥ .

(٣) تراجع القرآن الكريم سورة ٦ آية ٧٤ - ٨٤ .

(٤) القرآن الكريم سورة ٢٢ آية ٢٧ - ٣٠ .

عنها ان تسمح لهم بالاقامة في جوارها ، حتى شب إسماعيل وتزوج امرأة
 من جرحم ، قيل انه طلقها لفظاظتها حسب وصية ابيه إبراهيم ، وتزوج
 اخرى فاستقامت عنده ^(١) وهكذا يتكاثر ولد اسماعيل وينتشرون كما
 انتشر دين ابيه في الحجاز وغيره من اماكن الجزيرة ، كما يؤول من
 الأسطورة التي سردها الأذبي وتراجع الى محمد بن إسحاق قال : لما
 فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام جاء جبريل فقال طف
 به سبعا ، فطاف به سبعا هو وإسماعيل يستلمان الأركان كلها في كل
 طوف ، فلما أكمل سبعا هو وإسماعيل صليا خلف المقام ركعتين ، قال
 فقام معه جبريل فأراه المناسك كلها الصفا والمروة ومنا ومزدلفة وعرفة ،
 وبعد حسب ابليس ، وعرفان إبراهيم مناسكه كلها أمره ان يؤذن في
 الناس بالحج ، فقال إبراهيم « يا رب ما يبلغ صوتي » فقال الله تعالى
 « أذن وعلي البلاغ » « فعلا على المقام فأشرف به حتى صار ارفع
 الجبال وأطولها ، فجعلت له الأرض سهلا وجبلا وبرها وبحرها وإنسا
 وجنبا حتى أسمهم جميعا » وكان قد وضع إصبعه في أذنيه وأقبل بوجهه
 يمنا وشامنا وشرقا وغربا « وبدأ بشق اليمن فقال أيها الناس كتب
 عليكم الحج الى البيت العتيق ، فأجيبوا ربكم ، فأجابوه من تحت التخوم
 بالسبعة ، ومن بين المشرق والمغرب الى منقطع التراب من أقطار الأرض
 كلها لييك اللهم لييك ^(٢) »

وإن دل هذا الحديث على شيء فإنما يعبر عن انتشار هذا الدين
 الحنيف - كما يطلق عليه القرآن الكريم - دين إبراهيم الخليل فقد
 يظهر انه انتشر في تلك الأماكن من بلاد العرب وخصوصا بعد ان
 صاهر إسماعيل - كما يقولون - قبيلة جرحم ، وقد غلبت جرحم هذه
 على ولاية البيت بعد اسماعيل ، وظفت هنالك وبغت حتى ارسل الله

(١). تاريخ الطبري ١ / ٢٨٣ - ٢٨٤

(٢) اخبار مكة ، صفحة ٣٣ - ٣٤ .

العرف - وهو المطر الغزير - واجتمعت على إجلاء من بقي منهم خزاعة ، وكانت هذه تقيم في تهامة ، فخرج سيّد جرم يلتمس التوبة من الكعبة فلم تقبل . ولا تنفك الاسطورة عن جرم حتى تبيدها . يقول صاحب الكامل : « فلم تقبل توبته .. وخرج بمن بقي من جرم الى ارض جهينة فجاءهم سيل فذهب بهم اجمعين » (١) . وسيد جرم ذاك هو الذي تنسب له القصيدة :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
كما سنرى فيما بعد .

* * *

موت اسماعيل ويبقى الحج الى مكة ، والطواف بالبيت ، وتعظيم مكة . وتكرر الأيام ويعفى الزمن شيئاً فشيئاً على هذا الدين . وتأخذ بذور عبادة الاصنام تثبت بشدة بينهم ، فما نشر عمرو بن لحي اوثانه الا وهم متشيثون لقبولها آلهة . يقول ابن إسحق : « ويزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل انه لا يظن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا النسخ في البلاد الا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم ، فحيثما زلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسبوا من الحجارة واعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتسكفون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج مع ادخالهم فيه ما ليس منه » (٢) .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ج ٢ صفحة ٣٠

(٢) محمد بن اسحاق ، السيرة رواية ابن هشام : صفحة ٥١ - ٥٢ .

ثانياً اليهودية والنصرانية

اليهودية وكان غير المتحفين في بلاد العرب قبل الاسلام عدد كبير من اليهود والنصارى ، وان كانت الاكثرية عباد اوثان وكواكب ومن الصعب ان نتحقق تاريخياً من بدء وجود اليهود في الجزيرة العربية فالبعض من الثقافات يظن ان وجودهم باليمن يرجع الى ايام سليمان ، والبعض الى عهد سقوط اورشليم على يد نبوخذنصر^(١) ومن الجائز ان يكون نزوحهم الى الجنوب قد تزايد مباشرة بعد تخريب الهيكل الثاني بقليل ويظن نكلسن ان اقدم المستعمرات اليهودية في الحجاز يرجع الى زمن سقوط القدس بيد تيطس او هدریان^(٢) « وعلى كل فقد كان في القرون الاولى للميلاد مستعمرات يهودية في تباء وفي فذك وفي خيبر وفي وادي القرى وفي يثرب وهي اهمها وكان يهود يثرب ثلاث قبائل بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة »^(٣)

ولا سبيل الى القول انهم ما حملوا معهم توراتهم بتعاليمها ومعلوماتها في جانب اساطيرهم وخرافاتهم ، كما انهم ادخلوا على العربية كلمات ومصطلحات دينية جديدة. ولقد كانوا ايجابيين في الاعمال اليدوية فلم يحرثوا الارض ويزرعوا النخيل فحسب ، وانما كانوا مهرة في صنع الاسلحة والمصوغات وقد اندمجوا بالعرب - لا كما يظن البعض - واعتنقوا عاداتهم واتخذوا اسماءهم حتى ان اسماء التوراة لم تكن شائعة إلا بين نفر قليل ، كما كانت اسماء قبائلهم عربية محضة لا تفيد عن اصلهم شيئاً^(٤)

(١) المجلد الثاني Encyclopaedia Britannica : صفحة ٢٦٢

(٢) R. A. Nicholson A Literary History of the Arabs

صفحة ١٣٧

(٣) احمد امين ، فجر الاسلام ، صفحة ٢٧٠ .

(٤) المجلد ٢ صفحة ٤٢ The J. Enc.

ولما يجدر بالإشارة « ان اليهودية خلت بجزيرة العرب بعد ان تأثرت
بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً ، لانها ظلت قروناً تحت الحكم اليوناني
الروماني ، ولانها كانت منتشرة في الاسكندرية وعلى شواطئ البحر
الابيض حيث الثقافة اليونانية » (١)

وامتدت دياتهم - وان ندر امتدادهم بانفسهم - إلى ما وراء يثرب
فقد نهود الكثير من العرب ، قال اليعقوبي : « فاما من تهود منهم
قالين باسمها ... وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من
اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير ، وتهود قوم من بني الحارث
ابن كعب وقوم من غسان وقوم من جثلام » (٢) وقال ابن قتيبة :
« وكانت اليهودية في حمير وفي بني كنانة وبني الحارث بن كعب
وكندة » (٣)

ويرجع امتدادها وانتشارها بكثرة الى تهود الي كرب آخر ملوك
التبابعة ، وتهود حمير بعده ، وذلك لما اراد غزو المدينة منعه من ذلك
حبران عالمان من أهلها ، فأعجبه منهما علمهما وحكمتهما وتهود وسار إلى
مكة فاغراه نقر من هذيل بأموال بيت مكة ، فارسل الى الحبرين
يستشيرهما فنعاه وقالاه : « ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه
غيره ، ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً ،
وطلبنا منه تعظيم البيت ، فقال : ما يمنعكما انما ؟ فقالا : « اما والله
انه لبيت ايينا ابراهيم - وانه لكما اخبرناك ، ولكن اهله حالوا بيننا وبينه
بالاوثان التي نصبوها حوله ، وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس اهل
شرك ، فمثل بالنفر الهذليين ، وطاف بالبيت وكساه واوصى به ولاته
من جرمهم واخذ الحبرين معه الى اليمن ، ودعا قومه الى اعتناق اليهودية

(١) فجر الاسلام : صفحة ٢٩ .

(٢) ابن واضح اليعقوبي ، تاريخه ، ج ١ ، صفحة ٢٩٨ .

(٣) ابن قتيبة - كتاب المعارف ، صفحة ٢٩٩ .

فأعرضوا واحتكموا للنار - وهنا سرد خرافة - ومن ثم تهودت حمير ،
 وهدم الحبران بيتها « رثام » الذي كانت تعظمه بعد ان استشار الملك^(١)
 وقد ظل ملك اليمن في بني حمير يتوارثونه ويغتصبونه حتى كان
 امر ذي نواس الحميري ، وكان هذا متعصباً لليهودية التي لم تنتشر انتشارها
 التام الا على زمانة في القرن السادس للميلاد^(٢) .

النصرانية : ولم تكن المسيحية - باقل انتشاراً من اليهودية ، ويرى
 شيخو في كتابه « النصرانية وآدابها بين عرب الجزيرة » انها وجدت لها
 مكاناً في اكثر اصقاع البلاد العربية في مشارف الشام والحجاز واليمن
 والبحرين والعراق وغيرها . وقد تنصر عدد كبير من القبائل . يقول
 ابن واضح : « واما من تنصر من احياء العرب فقوم من قريش من
 بني أسد بن عبد العزى ، ومن تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة ، ومن
 ربيعة بنو تغلب ، ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ
 وغسان ولخم »^(٣) . ويقول ابن قتيبة : ان النصرانية كانت في ربيعة
 وغسان وبعض قضاة^(٤) .

وليس لنا ان نتبع سيرها في جميع الاماكن ، ولكن لا بأس
 من ذلك في نجران ، اهم موطن للنصرانية في بلاد العرب ،
 حيث كانت مدينة خصبة عامرة بالسكان يتولى امور النصرانية
 فيها رؤساء ثلاثة : السيد والعاقب والاسقف . وكان نصارى نجران ،
 كما يستظهر اوليري ، على مذهب اليعاقبة بما أدى الى اتصالهم بالحبشة
 « وهم كذلك » اكثر من اتصالهم بالرومان^(٥) وحيث اصطدمت

(١) السيرة صفحة ١٢ - ١٨ .

(٢) المجلد الثاني ، صفحة ٤٢ The J. Enc.

(٣) تاريخ ابن واضح الملقوني . ج ١ صفحة ٢٩٨ - ٢٩٩

(٤) كتاب المعارف ٢٩٩ .

(٥) فجر الاسلام صفحة ٣٠ .

النصرانية هناك في الجنوب مع اليهودية مجرب ضروس .

يرجع تنصر نجران الى رجل صالح من اتباع عيسى عليه السلام يقال له فيميون . كان سائحاً لا يعرف بقرية إلا غادوها ، وكان اولاً في قرية من قرى الشام يتعبد . وقد صحبه رجل من اهلها يقال له صالح ، يتبعه حتى وطأ بعض ارض العرب ، فعدوا عليها ، واختطفوها سيارة من الاعراب خرجت بها ، وباعتها بنجران واهل نجران يومئذ تعبد نخلة طويلة بين اظهرهم لها عيد كل سنة ... ويكمل ابن اسحاق حديثه باسطورة تفيد ان هذا الولي الصالح تظهر وصلى لربه ودعاه على هذه النخلة فعصفت بها ريح واقتلعتها .. وعند ذلك تبعه اهل نجران على دين ابن مريم (١) . وما زال الدين المسيحي آخذاً بالانتشار حتى كان ذو نواس ، فدعاهم الى لليهودية ، إلا ان النجرانيين أبوا واستعدوا للدفاع عن بلدهم ، ولكن ذا نواس دخلها بالمكر وواقع بهم وما لبث الخبر ان نفي الى قيصر الروم بواسطة رجل فر هارباً ، واستنصره على ذي نواس فامر قيصر نجاشي الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل ، وارسل جيشاً مع أرباط وأبرهة الأشرم فناجذوه القتال ، وظفروا ببلادهم ، وأتم الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اكثر من نصف قرن حتى مد الفرس سيطرتهم على تلك البلاد الى ان تقدم المسلمون وفتحوا نواحي اليمن فيما بعد (٢) فتكون النصرانية قد استمرت في نجران الى عهد عمر حيث ذهب اكثرهم الى العراق (٣) .

اما أبرهة المذكور فهو صاحب الفيل كما سيأتي معنا الحديث بعد ، وهو الذي بنى كنيسة بصنعاء سماها القليس ، وكتب الى النجاشي يقول : « اني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها احد قط ، ولست تاركاً العرب

(١) السيرة صفحة ٢٠ - ٢١ .

(٢) الاب لويس شيخو السوعي : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، « القسم الاول » ،

صفحة ٦٠ .

(٣) فجر الاسلام ، صفحة ٣١ .

حتى اصرف حجبهم عن بيتهم الذي يحجون اليه « (١)
 قديوم النصرانية في بلاد العرب كان من شأنه نشر تعاليمها بين الأعراب ،
 ومن الاخبار الادبية ما يفيد ان القسس والرهبان كانوا يؤمون الاسواق العربية
 في الجاهلية ويبشرون ويذكرون الحساب والعذاب والجنة والنار . وخير
 مثل نضربه هنا خطيب أباد وراهب نجران ، قس بن ساعدة ، فلا بد
 وان تكون النصرانية اذاً ؛ قد ادخلت على العربية الفاظاً وتراكيب لم
 تكن تعرفها العرب ، وفوق هذا فان النصرانية كانت من قبل دخولها
 جزيرة العرب تحمل في ثناياها شيئاً من الثقافة اليونانية كما هو شأن اليهودية (٢)

ثالثاً المتألهون وغيرهم

من أميز صفات العربي شعوره بالحرية والافتقار وقد ساعده على ذلك
 طبيعة بلاده التكر منذ أن دب على سطحها فهو ممتنع منذ الأزل ،
 صعب التأياد لا يعترف بملك ولا يخضع لسلطة . وهو أقرب الى البداوة ،
 ينظر الى الأشياء نظرة مادية ، ولا يميل بطبيعته كثيراً الى الدين .
 متعلق بحريته تعلقاً يقرب من العبادة . معتز بقبيلته ومفاخرها ، ولعل
 أوامر القبيلة أشد العلاقات التي تربط بين أفرادها متانة وقوة .
 اما انه لا يميل الى دين فالأخبار ، ودراسة نفسيته ، يؤيدان ذلك ،
 والقول ينطبق على عربي الجاهلية ، وإن كان أحياناً شديد التعظيم لآلهته
 المنصوبة حول الكعبة ، وفي غيرها من البيوت والأماكن المقدسة ، فقد
 كان ينكر هذه الآلهة لأسباب تافهة ، ويرتد عن عبادتها ، ولا بأس
 من أكلها اذا كانت مصنوعة من مادة غذائية ! كما فعل بنو حنيفة
 باللهم ، وكان مصنوعاً من حيس فقال تميمي

أكلت ربها حنيفة من جوع قديم بها ومن إغواز

(١) الكلبي ، ابو هشام - كتاب الاصنام ، صفحة ٤٦ - ٤٧ .

(٢) فجر الاسلام ، صفحة : ٣٢ .

وقال آخر :

أكلت حنيفة ربهما زمن التقم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة^(١)

وهذا كناني يقبل على صنم قبيلته فتتفر أبله من منظر الدماء المراقبة عليه فيرميه بحجر ويقول : لا بارك الله فيك إلهاً انقرت علي ابلي^(٢) وذلك آخر يقتل أبوه فيستشير الصنم مستقساً بالقداح فيخرج الناهي عن الأخذ بالتأثر فيضرب بالقداح وجه الصنم ، وينصرف ليفتك بأعدائه^(٣) . وذلك ثالث كان يأتي لصنمه بالطعام ويضعه عند رأسه ، فمر يوماً ثعلبان فأكلا الطعام وعصلا على رأس الصنم ، فغضب الرجل وضرب الصنم فكسره وقال :

لقد خاب قوم أملوك لشدة ارادوا نزالا ان تكون تحارب
فلا أنت تغني عن أمور كثيرة ولا أنت دفاع إذا حل نائب
أوب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالث عليه الثعالب!^(٤)
وغير هؤلاء كثير .

وتكثر الأحاديث عن تأله ونقض عنه في الجاهلية عبادة الأصنام فكان على دين أو شبه دين ، وهو وإن لم يدرك دعوة النبي إلا أنه بقي على أصل فطرته ناظراً بعين بصيرة . وربما كان مثل هذا نفر على معرفة بالحنيفية وشيء من تعاليم اليهودية والنصرانية . وليس هذا ببعيد لوقوع الاحتكاك بين هذه العناصر قبل الإسلام . ومن الأحاديث التي تروى عن مثل هؤلاء القوم قول ابن إسحاق : اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعتكفون عنده ويدورون به ، وكان ذلك العيد لهم كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة

(١) كتاب المعارف ، صفحة ٢٦٩ .

(٢) كتاب الاصنام ، صفحة ٤٧ .

(٣) نفس المصدر صفحة ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ .

(٤) الدميري - حياة الحيوان الكبرى ج ١ صفحة ١٦٠ .

وهم ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش بن رثاب . وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل . وقال بعضهم لبعض « تعلموا ! والله ما قومكم على شيء . لقد اخطأوا دين ابيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لانفسكم ديناً فانكم والله ما انتم على شيء » وتفرقوا في البلدان ، اما ورقة فقد تنصر ، واما عبيد الله فقد اقام على ما هو من الالتباس حتى اسلم ، ثم تنصر لما هاجر مع المسلمين الى الحبشة ، وكذلك تنصر عثمان بعد قدومه على ملك الروم ، واما زيد فوقف لا يدخل في يهودية ولا نصرانية ، بل فارق دين قومه وعاب ما هم عليه ، واعتزل الاوثان والميتة والدم والذبايح التي تذبح على الاوثان ، ونهى عن قتل المؤودة وروث اسماء بنت ابي بكر انها رأت زيدا وهو شيخ كبير مسنداً ظهره الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بيده ما اصبح منكم احد على دين ابراهيم غيري اللهم لو اني اعلم اي الوجوه احب اليك عبدتك به ، ولكن لا اعلمه ، ثم يسجد على راحته وتنسب لزيد هذا ابيات في عزله اللات والعزى وغيرهما من الاصنام ، واكثرها يشير الى عدم اشراكه بالله ، ولما قتل رثاب ورقة بن نوفل بايات مثلها ^(١) وعلى شاكلة هذا نفر عدد كبير من رجال الجاهلية لا هم بالمتحفين تمام التحنف ، ولا هم بنصارى او يهود ولعل امية بن ابي الصلت وعبد المطلب بن هاشم حد النبي خير مثال لاولئك الجاهليين الذين لا ميزة لهم الا اقرارهم ، كما تفيد الاخبار ، بوجوده ، مع شيء ليس بالقليل من التشويش في العقيدة والاضطراب

وكان عبد المطلب سيد قريش حينما هاجم ابرهة الاشرم مكة لهدم البيت وقد مثل امام ابرهة - وكان قد اصاب له مائتي بغير - فسأله ابرهة عن حاجته ، فقال رد بعيري فقال ابرهة اتكلمني في اهلك

وفترك بيتاً هو دينك ودين آبائك ؟ قد جئت لهدمه ! فاجابه عبد
المطلب : انا رب الابل ، والبيت رب يمينه ! فقال الحبشي ما كان
ليمنع مني ! وامر برد ابله ، فرجع بها عبد المطلب ، وطلب من
قومه الخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال ، وذهب مع نفر
من قريش الى الكعبة ، واخذ بحلقة بابها يدعو الله ويستنصره على ابرهة (١)

(١) الكامل في التاريخ ج ١ صفحة ٣٢٠ - ٣٢٤

الباب الثاني الهة العرب

الفصل الأول : صنم . وثن . نصب

كل ما اتخذ من دون الله الها فهو صنم . تعريف عام نأخذه من كتب التفسير والمعاجم وغيرها . وقد ندر ذكر هذه الكلمة في الشعر الجاهلي ، ويصعب التحقيق في اسباب ذلك لما نقرأه من تعظيم العرب للأصنام ، وانتشارها بين القبائل . روي عن الحسن قال : لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ^(١) . وعلى الرغم من ذلك نرى البعض يعزو ندورة ذكرها الى ترفع العرب عن ذلك ، فالصنم عند هذا البعض لا يدل على معنى محترم في نظر الاعراب ^(٢) . فاذا صح هذا القول فانه ينطبق على ما ورد في القليل النادر من اشعارهم ، وقد قيل هذا النادر في ظروف تحكي الظروف التي ادت الى نكول بعضهم عن عبادتها كما ورد معنا في الباب السابق . اما في غيرها فلا يذكر اسم « الطاغية » او « الربة » مثلاً ، الا بالتبجيل والتعظيم والرهبة في كثير من الاحيان .

ولا ترد كلمة « صنم » في القرآن الكريم الاعلى صيغة الجمع في خمس آيات : واحدة في الحديث عن قوم موسى حينما اتوا على قوم يعكفون

(١) لسان العرب لابن منظور ص ٢٤١ ج ١٥

(٢) Enc. of Islam ص ١٤٧ ج ٤

على اصنام . والاربع الاخر في الاحاديث عن ابراهيم وابيه وقومه ^(١) .
 اما الصنم فيقول ابن الكلبي : ما كان معمولا من خشب او ذهب
 او فضة على صورة انسان ^(٢) . وقيل ما اتخذوه من آلهة ، فاذا كان
 له صورة فهو صنم ^(٣) . وقال بعضهم : اذا كان ما يعبدونه حجراً على
 غير صورة فهو نصب ، وان كان تمثالاً سمي صنماً ووثناً ^(٤) .
 والكلمة ، كما وردت في المعاجم العربية ، يقال انها معرب « شمن »
 ولا يدري صاحب التاج عن اي لسان ^(٥) . على ان بعض علماء اللغة
 من الاوروبيين يرجع كلمة « شمن » - الكلمة التي عربت عنها كلمة
 صنم العربية - الى Selem بمعنى صورة في العبرية و S-l-m اسم اله ورد
 ذكره في نقوش آرامية ببناء ^(٦) .

وكثيراً ما خلطوا بين تعريف الوثن والصنم ، وان قيل ان الوثن
 هو الصنم الصغير . وفي التاج سمي وثناً لانتصابه وثباته على حالة واحدة
 من وثن بالمكان ، اقام به فهو واثن ^(٧) . وذكر ان الوثن ما لا صورة
 له ^(٨) . وقال ابن الاثير : الفرق بين الوثن والصنم ان الوثن كل ما له
 جثة معمولة من جواهر الارض او من الخشب والحجارة كصورة الآدمي
 تعمل وتنصب فتعبد ، والصنم الصورة بلا جثة ^(٩) . وفي كتاب الاضنام

(١) القرآن الكريم : راجع سورة الاعراف ، آية ١٣٤ وسورة الانعام ، آية ٧٤ وسورة
 الشراء ، آية ٧١ وسورة ابراهيم ، آية ٣٨ وسورة الانبياء ، آية ٥٨ .

(٢) كتاب الاضنام للكلبي ص ٥٣

(٣) لسان العرب ص ٢٤١ ج ١

(٤) اديان العرب في الجاهلية لمحمد نيمان الجارم ص ١٣٢

(٥) تاج العروس للزبيدي ص ٣٧١ ج ٨

(٦) ص ١٤٧ ج ٤ Enc. of Islam

(٧) ص ٣٥٨ ج ٩ تاج العروس

(٨) ص ٣٧١ ج ٨ نفس المصدر

(٩) ص ٣٣٣ ج ١٧ لسان العرب

ان الفرق بين الصنم والوثن هو ان الاول مصنوع من خشب او معدن ،
والثاني من حجارة ، وكلاهما على صورة انسان (١) وقال السهيلي
يقال لكل صنم من حجر او غيره صنم ، ولا يقال وثن الا لما كان من
غير الصخر كالنحاس وغيره (٢) وهذا يخالف ما يرى « نلكه » من ان
الوثن لا تعني شيئاً سوى حجر (٣) وبهذا يوافق الزبيدي في قوله ان
الوثن ما لا صورة له كما ذكرنا ويستخلص « كرنكو » جملة من امثال
هذه الاقوال المتضاربة فيقول ان الصنم شيء يعبد من دون الله ، له شكل ،
مصنوع من حجر او خشب او معدن ، ويميز عن الوثن بان هذا ليس
له جثة وانما يذكر مرادفاً لما عليه رسم او صورة (٤)

وكصم لم ترد وثن في القرآن الكريم الا على صيغة الجمع كقوله
تعالى « فاجتنبوا الرجس من الاوثان » ، « انما تعبدون من دون الله
اوثاناً » وقال تعالى « انما اتخذتم من دون الله اوثاناً » (٥) ولم يرد
لها ذكر في غير هذه الآيات الثلاث والظاهر ان معناها في هذه الآيات
هو نفس المعنى الذي تعطينا آياه كلمة الاصنام في الآيات الاخرى
اما الانصاب فحجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويدبح
لغير الله ، والنصب كل ما نصب فعبد من دون الله ، وقد ورد في
بيت للاعشى

وذا النصب المنسوب لا تنسكته لعافية والله ربك فاعبدا
وقال الفراء كأن النصب الآلهة التي كانت تعبد من احجار (٦)
وفي كتاب الاصنام ومن لم يقدر على صنم ، ولا على بناء بيت ، نصب

(١) ص ٥٣ كتاب الاصنام

(٢) ص ١٣٢ اديان العرب في الجاهلية .

(٣) ص ٦٦٦ ج ١ Enc. of Religion and Ethics

(٤) ص ١٤٧ ج ٤ نفس المصدر .

(٥) القرآن الكريم ص ٣٢ آية ٣١ ، ص ٢٩ آية ١٦ ، ص ٢٩ آية ٢٤ .

(٦) ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ج ٣ لبان العرب .

حجراً امام الحرم ، او امام غيره بما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الانصاب ^(١) وقال « وكانت للعرب حجارة غيرا منصوبة يطوفون بها ويعترون عندها يسمونها الانصاب » ^(٢) وقال فكان الرجل ، اذا سافر فنزل منزلاً ، اخذ اربعة اخبجار ، فنظر الى احسنها فاتخذها رباً ، وجعل ثلاث اثافي لقدره ، واذا ارتحل تركه ، فاذا نزل منزلاً آخر ، فعل مثل ذلك ^(٣) هذه هي الانصاب ، فاذا كانت تماثيل دعوها الاصنام والاوئان ^(٤) ولعل اقوال ابن الكلبي اوضح ما ذكره الاقدمون عن الانصاب والاصنام والاوئان

ولقد جاء ذكر الانصاب في الآية « يا ايها الذين آمنوا انما الحمر والميسر الخ » ^(٥) وفي قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم الخ » ^(٦) وفي غيرها ^(٧)

وكان للعرب بيوت مقدسة يطوفون بها سنأتي على ذكرها فيما بعد والبيت عموماً ما يبات فيه . وتعرف الكعبة ^(٨) بالبيت الحرام . والبيت العتيق والبيت المعمور والكعبة في اللغة الغرفة ، او البيت المربع . فويل المرتفع ومنه كعب ثدي الجارية اذا علا في صدرها وارتفع . فويل سميت كعبة لانها مكعبة على خلق الكعب ، جمعها كعبات وكان هذا بيتاً لربيعة ذكره الاسود بن جعفر قال

اهل الحورتق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سنداد ^(٩) وسنرجع الى الكلام عن الكعبة في باب اساطير الاولين

(١ و ٢ و ٣ و ٤) ص ٣٣ ، ٤٢ كتاب الاصنام

(٥) القرآن الكريم ص ٥ آية ٩٢ .

(٦) القرآن الكريم ص ٥ آية ٤ .

(٧) القرآن الكريم ص ٧٠ آية ٤٣

(٨) وردت هذه الكلمة في آيتين فقط : ص ٩٦ آية ٩٦ ، ص ٩٨ آية ٩٨ .

(٩) راجع معجم البلدان لياقوت ص ٢٧٨ ، ٢٨١ ج ٤ .

الفصل الثاني : كثرة الآلهة

لا شك في كثرة اصنام العرب وانصابهم التي انتشرت بينهم في عصور الجاهلية ، غير انه من الصعب جداً حصر عدد الآلهة الحجرية ومقدار ذبوعها بين مختلف القبائل . فالانخبار الواردة لا ترسم لنا خطة معينة عن كثرة الآلهة : عددهم وتوزيعهم . فالجارم يقول : « وقد كانت للقبيلة اكثر من صنم ، وكان منها عند الكعبة كثير » ويقول ايضاً : « ليس في الاستطاعة حصر اصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العدد (١) » وهو يعتمد في كلامه على ما سبقه من كتب السير والادب والتفسير ، فهو في الكتاب جميعه عبارة عن مردد اصداء لا يختلف في النقل والانشاء عن الألوسي في « احوال العرب » وإن كانت فوائد الجمع والحصر في الكتابين ظاهرة بيّنة .

اما الاب شيخو فلا يرى هذه الكثرة مطلقاً ، فهو يقول في كتابه : النصرانية وآدابها بين العرب في الجاهلية : واذا اضفت الى الاصنام المذكورة في اليعقوبي اسماء آلهة اخرى ورد ذكرها في المعاجم والتواريخ والشروح بلغ بك العدد الى نحو ثلاثين صنماً . فأين هذا وما زعم ابن اسحاق وابن هشام ان في الكعبة كان عدد الاصنام - ٣٦٠ - على عدد ايام السنة (٢) :

ولا يقيد المستشرق نلذكه نفسه بحصر اصنام العرب الجاهليين غير انه يعترف بأن قائمة طويلة يمكن اعدادها لهذه المؤلفات (٣) وكذلك الاب لامنس يقول : « ولم يكن هذا العدد بالقليل (٤) » ويقول ايضاً : « ظلت الحجارة العديدة مدة طويلة تحتل فناء الكعبة اي الساحة المحيطة

(١) اديان العرب في الجاهلية صفحة ١٥٥ .

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٦ .

(٣) ص ٦٥٩ ج ١ Enc. of Rel. and Eth .

(٤) مجلة المشرق ٣٧ ص ٢٢٣ .

بها ، على انها لم تبلغ ذاك العدد الكبير الذي ترقى به الاسطورة الى ٣٦٠ يحطمها النبي يوم الفتح ^(١) . « واما زيدان فيقول « ولو جمعت اصنام العرب ل زاد عددها على مئة صنم ^(٢) »

ويجب على الباحث في مثل هذا الموضوع ان يفرق بين نوعين من الاحجار المؤهلة الاول بدوي والثاني حضري ، كما كان عبادهما في الجاهلية بدوياً وحضراً ثم بين آلهة القبائل وآلهة المنازل

يقول ابن الكلبي « فكان الرجل اذا سافر فنزل منزلاً اخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها فاتخذها رباً ، وجعل ثلاث اثافي ل قدره ، واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ^(٣) » ويقول غيره : « كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادي يا اهل الرجال ان ربكم قد هلك فالتمسوا رباً ، قال فخرجنا كل صعب وذلول فيينا نحن كذلك نطلبه اذا نحن بناد ينادي انا قد وجدنا ربكم او شبهه ، واذا حجر فتحرنا عليه الجزور ^(٤) » وعن ابي رجاء العطاردي قال « كنا في الجاهلية اذا لم نجد حجراً جمعنا حثيثة من التراب ، وجئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا بها ^(٥) »

ونحن نخشى ان تكون هذه الروايات وامثالها سبباً في اعتقاد الكثيرين بتضخم العدد الذي ارتقت اليه آلهة العرب ... وهناك روايات تفيد انه « كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه . فاذا اراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنعه في منزله ان يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان اول ما يضع اذا دخل منزله ان يتمسح به ايضاً ^(٦) » ويفهم

(١) ٢٢١ نفس المصدر .

(٢) انساب العرب القدماء لزيدان ص ٣٩

(٣) ص ٣٣ كتاب الأصنام .

(٤) بلوغ الارب ص ٢١١ ج ٢

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ص ١٨٨ ج ٢

(٦) ص ٣٣ كتاب الاصنام .

من ابن هشام ان الاشراف كانوا يتخذون في دورهم اصناماً آلهة يعظمونها
ويطهرونها (١) .

وفي مثل هذه الروايات ايضاً سبب آخر يدعو خطأ الى الاعتقاد
بكثرة الآلهة فهل من الضروري ان يكون عند كل شريف ، لا بل
في كل منزل صنم معبود يخالف في كنهه ومميزاته صنم الشريف الآخر
او الجيران الآخرين ؟ الا يجوز ان يكون للحي او للقبيلة
إله - كالغزى او هبل مثلاً ، يعبد وتجرى له طقوسه العامة
ثم تكون هنالك اشكال ورموز عند هذا وذاك من الافراد والمنازل ؟
ولا يرى الاب لامنس وجوداً للآلهة المنزلية كما يفهمها و « لهوزن »
كتابه « بقايا الوثنية العربية » Reste Arabischen Heidentums الا في
الاساطير المعروفة في السيرة وغيرها ، وهي عنده اخبار تكتنف صحتها
بكثير من الشك ، لا بل يميل الى نفي هذا النوع من الآلهة نفيًا باتاً .
فها نقرأ له : « اما الحقيقة فهي ان الاشراف كان من حقهم لا امتلاك
الآلهة المنزلية بل المحافظة على البيت او الحجر المؤله . وهم يحرسونه لا في
المنزل او المضرب بل في القبة الخاصة بل وهي قبة القبيلة . وكانت هذه
القبة تضرب الى جانب خيمة السيد (٢) ... » ثم يقول : « ونتيجة
اخرى لهذا الأمر انه ليس في القبيلة المجتمعة من اصل واحد الا بيت
واحد او قبة واحدة ، واذن فمن الاعتبار ان تتكلم عن الآلهة المنزلية
او عن العبادة الفردية . فان عربي الجاهلية لم يعرف الا العبادة الشاملة ،
تلك الشعائر التي تقوم بها القبيلة بكاملها في ظروف خاصة ومظاهر قليلة ،
كانت كافية لاستنفاد جلده القوي . وكان اذا خاف تأثيراً سيئاً من بعض
القوات الالابشرية لجأ الى التائم ، وهي افضل وانجع في نظره من وجود
تماثيل الآلهة في خبائه او داره (٣) » .

(١) ص ٣٠٣ السيرة .

(٢) و٣) ص ٢١٨ - ٢٢٠ ج ٢ مجلة الشرق ١٩٣٧

ذلك رأي لامنس ، على انه ، بناء على ما ذكرنا سابقاً ، لا يسعنا ان نأخذ به على علاته ، وننفي وجود « الآلهة المنزلية » نفيّاً باتاً لمجرد القول ان العربي كان قليل الجلد التقوي ، ولجرد الظن بان روايات السيرة عن هذه الآلهة مشكوك فيها .

ولعل الاصنام الكثيرة التي يحدثون عنها إنما كانت مجرد تماثيل يلبس بها البدو والحضر أكثر من كونها رموزاً لآلهة معينة . روى الأزرق لبعضهم قوله : « وقد كنت ارى قبل ذلك الاصنام يطاف بها فيشترها اهل البدو فيخرجون بها الى بيوتهم ^(١) » وفي المصدر نفسه نقراً : « وكان ابو تجارة يعملها في الجاهلية ويبيعها . ولم يكن في قريش رجل بمكة الا وفي بيته صنم ^(٢) » . فان دلت هذه الاقوال وغيرها على كثرة هذه الاصنام او التماثيل ، فلا تدل على اختلاف وتنوع كثير في الآلهة التي يرمزون اليها .

الفصل الثالث : وثنية الجزيرة

بعيد ذاك الزمن الذي آله عرب الجاهلية فيه الاحجار واتخذوا من منحوتاتها اصناماً آلهة . وأبعد منه ذلك الذي يظن ان الانسان قد عرف فيه هذا النوع من العبادة ، فالقرآن الكريم يحدثنا ان قوم نوح أشركوا بالله وعبدوا الأصنام ، فأوحى اليه بالنبوة ، وودعوتهم الى عبادة الله ففعل . غير ان قومه - شأن غيرهم - لم يزدادوا الا اعتواً : « واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكباراً ^(٣) » . ويصر نوح على هديهم ، ثم يخرج عن هذا الاصرار ويدعو عليهم ربه : « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً ^(٤) »

(٢٠١) اخبار مكة ص ٧٨

(٣) القرآن الكريم : س ٧١ آية ٦

(٤) القرآن الكريم : س ٧١ آية ٢٧-٢٨

عندئذ يوحى الله اليه صنع الفلك ، فقد صمم الخالق على اغراق الارض .. وتبتدى قصة الطوفان .

ولنوح مكانة في القرآن ، وذكر طويل يسرد بكثرة مع عاد وثمود ، وله سورة باسمه ، ولربما كان اوسع ما في القرآن عنه في سورة هود . والظاهر ان اهم النقاط التي تدور حوله في الاساطير العربية كلها ، إنما يستند الى مرجع في التوراة . ونوح كما يعتبره العرب هو احد مشاهير الانبياء الخمسة ، اولى العزم من الرسل الذين جاءوا لانقاذ الجنس البشري من شروره وآثامه .

واذا جارينا قولهم ان نوحاً هو النسل التاسع فقط من ذرية الانسان التي تبتدى بآدم ، وانه الاب الثاني للجنس البشري ^(١) ، أمكن تصور الزمن الذي يرجع اليه ضلال الانسان .

وهل رضى الانسان الى جيروت الخالق بعد ذلك الطوفان الذي مسح الارض وسوء بين الجبل والسهل ؟! يدور الفلك دورته واذا يهود يرسل الى قومه : « تلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد ^(٢) » . « قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ^(٣) » . فعاد - كما يقولون - اول من عبد الاصنام بعد الطوفان ، فكانت اصنامهم ثلاثة : صدا ، وصمودا ، وهرا ^(٤) .

وما لنا ولعاد الذين طفوا في البلاد فسيأتي حديثهم بعد - مطولا - في الاساطير . اما هنا فلسنا نتعرض في بحثنا وثنية العرب القدماء الا الى اولئك الجاهليين الذين سكنوا الحجاز ونجداً وغيرها من مناطق الشمال

(١) Enc. J. ص ٣١٨ ، ٣١٩ ج ٩ وراجع ايضا تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢ - ١٠

(٢) القرآن الكريم : ج ١١ آية ٦٢

(٣) القرآن الكريم : ج ١١ آية ٥٦

(٤) ص ١٢١ ج ١ البداية والنهاية . وفي السمودي صمودا وصدا والهبا ص ٢٩٥ ج ٣

مروج الذهب .

اما الحضارة الجنوبية فلها ثقافتها ، فهي مختلفة كل الاختلاف بمناحي حياتها عن مناحي حياة اهل الشمال . وبكفي ان تكون اللغة والدين في اليمن غيرهما في الحجاز ونجد وسواهما من مساكن العرب في المناطق الشمالية . اقول نترك حضارة الجنوب ونتقدم لدرس وثنية الشمال ، تلك الوثنية التي لم تدرس حق دراستها ، ولم يكشف القناع بعد عن كثير من وجوها . لقد كانت لهم آلهة ، غير اننا لا نعرف الكثير عنها ، والاب لامنس يقول : « بالرغم من عدم وجود ميثولوجيا حقيقية ، تحاكي اليونانية فالوثنية العربية نوع من المعابد Pantheon تتمثل فيه آلهة وآلهات لم تدرس علاقاتها دراسة كافية (١) » .

اما انعدام تكوين فكرة واضحة عن هذه الآلهة والآلهات العربية فقد يرجع الى أحد سببين او الى كليهما معاً : الاول ، قلة اهتمام العرب انفسهم بهذه الشؤون ، وقديماً عرف البدوي بضعف الايمان ، وعندما تمسكه بالدين وطوقه . وقد حكى عنهم الكتاب قال : « الاعراب اسد كفرأ ونفاقاً (٢) » . والثاني قلة المصادر وندرة الابحاث ، اذ ان هنالك نقفاً تستمد بما كتبه اليونان عرضاً عن العرب الجاهليين ، واسماء ذكرتها النقوش السامية واليونانية . مع شيء ضئيل جداً من الشرح والتفصيل . وكل ما في هذا وذاك متصل بعرب المناطق الشمالية القصوى ... وهنالك شيء اوسع من ذلك - وهو في حد ذاته ضئيل ايضاً - نراه في الشعر العربي القديم . وانقرآن مصدر هام لمثل هذه الدراسات . ثم لا ننس ما جمعه بعض الرواة من بتايا الوثنية العربية من قصص تتعلق بالاخلاق ، والعادات ، والأساطير . ولا حاجة بنا الى القول ان اكثر ما كتب من ابحاث في هذا الموضوع - ان لم نقل كله - انما هو ترجيع اصداء من اهم ميزاته ، وخير ما فيه ، توجيه الباحث الى مراجع هذه الاصداء .

(٢) H. Lammens : Islam : Beliefs and Institutions ص ١٨

(٣) القرآن الكريم سورة آية ٩٨

هذا ، وربما اتصل بالسبب الثاني سبب آخر لا ينفصل عنه ، وهو موقف النبي والمسلمين الاوائل من هذه العبادة المحجرة . وقد مر بنا تفصيل ذلك في الباب الاول .

والحقيقة اننا لا نعلم تمام العلم بدء عبادة الاحجار في بلاد العرب ، حتى ولا اصل هذه العبادة ، ويصعب جداً على الباحث حصر ذلك الزمن حتى ولو على وجه التقريب . وهو ان تساءل عن المرجع الذي انبثقت عنه هذه العبادة ، وجب عليه تتبع المشاكل السامية الاولى التي تضاربت حولها الآراء ، ولم يبت فيها على كثرة البحوث التي تناولت الكشف عن حقائقها . ولا تغالي اذا قلنا ان مثل هذه التحقيقات تتصل بالتنقيب عن الانسان الاول : موطنه وتزوجه التدريجي منه الى غيره من المناطق المجاورة او البعيدة .

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى ان هنالك نظريات حول الوطن الأصلي للشعوب السامية ، فالبعض يظن ان البلاد العربية هي نفس هذا الوطن ، والبعض يرجعه الى بلاد ما بين النهرين وغيرها من المناطق الشمالية المحصنة ، وآخرون اقوال اخرى ولكل آراؤه وبراهينه . والذي يظهر ان الجميع بعيدون عن القول الفصل . وعلى هذا القول تتوقف امور خطيرة الشأن في وضعية ديانات هذه الشعوب ، ومعتقداتها وما يتعلق بذلك من خرافات واساطير .

ونحن نعلم قبل كل شيء ان العرب كانوا على اتصال دائم بين حولهم ، وكان لهذا الاتصال سبل عديدة يذكرون منها : التجارة ، وانشاء المدن المتاخمة لفارس والروم ، والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب تدعو الى دينها ونشر تعاليمها ^(١) وهنالك سبل اخرى لا مجال الى ذكرها . فعلى نوع من هذا الاتصال القديم تبني كتب الادب والسير والتواريخ قصة دخول الوثنية الى بلاد العرب .

غير ان هناك روايات تفيد ان تأليه الأحجار ، او تقديسها يرجع الى ما قبل اسطورة « عمرو بن لحي » الذي - كما يقولون - نشر عبادة الاصنام في بلاد العرب بعد جلبها من الشام وجدة .

فالعرب طبقاً لقانون التضخم ، أخذوا ينزحون عن مكة وما جاورها من الاماكن وينفسحون في البلاد ، ولما كانوا يعظمون مكة والكعبة اوجب عليهم شعورهم الديني ان يأخذوا في ارتحالهم - كما ذكر الكلبي - اثرًا من آثار الحرم وما جاوره من الاماكن المقدسة ، وليكن حجراً من احجاره . فحيثما حلوا وضعوه وطافوه به كطوافهم بالكعبة تيمناً بها .. ويطول بهم الزمن فينسبون ما كانوا عليه ، وتبقى الحجارة - ولا سيما اذا كانت جميلة الشكل ملونة - فيما بينهم محبوبة مقدسة .. ثم ترقى الى التأليه فالعبادة . وهنا يصيرون الى ما كانت عليه الامم من قبلهم ^(١) . ومن هذا يظهر ان الوثنية فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبده من حجارة الحرم في اسفارهم ، ولما هو - كما تخبر الاسطورة - اول من وضع لهم انواع عبادتها ، ويثبّن لهم ضروب التقرب اليها ، واول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل اهلها على تعظيمها كما سنرى . وما دام لعمر بن لحي هذا ، تلك الالهية في هذا الموضوع فلنساءل هل كان ذلك الرجل شخصية تاريخية ؟ فاذا وجد وقاتل جرهما ونقام من بلاد مكة وتولى حجابة البيت - كما يقولون - ففي اي زمن عاش ؟ والجواب على السؤال الاخير يلقي قسماً من نور على اقدمية عبادة الاصنام التي انتشرت بين عرب الجاهلية في بلاد العرب .

تحدثنا الاساطير ان مؤسس مكة هو مضاض بن عمرو الجرهمي الذي تزوج بابنة اسماعيل ، وفي نفس الوقت بنى الحرم الذي اعطى مكة سيادتها على المدن العربية ^(٢) . والجرهمي نسبة الى قبيلة جرهم التي كانت

(١) راجع كتاب الاصنام ص ٦ ، والسيرة ص ٥١-٥٢ ، واخبار مكة ص ٧٢ .

Ameer Ali : The Spirit of Islam (XIV) (٢)

غزالة يومئذ. بواد قريب من مكة ، والتي تزوج منها اسماعيل^(١) . وازدهر الحليفان - الاسماعيليون والجرهميون - فيما بعد في الحجاز ، وتزايدوا حتى دهمهم نبوخذ نصر البابلي الذي لم ينجح من ملوك بابل سواء في محاولتهم غزو قلب الجزيرة وجرحه جرحاً خطيراً^(٢) .

وكانت جرهم تطيع ولد اسماعيل تعظيماً لهم ومعرفة بقدرهم . ولما بدأ الاسماعيليون ينتشرون في البلاد اخذوا يسلمون الملك لجرهم لاداصر الخوالة بين الشعبين^(٣) . وقد مرّ معنا كيف ان جرهما طغت وبغت حتى فسقت في الحرم ، وكيف اهلكوا بالرعاف ، واجلي من تبقى منهم بعد ان هاجتهم خزاعة^(٤) .

وقبيلة خزاعة هذه نسبة الى حارثة بن عمرو الملقب بخزاعة ، وقد هاجرت الى الشمال وافتتحت الحرم بعد خراب سد مأرب وقصة سيل العرم الذي كان - على رأي باقوت - في ملك « حبشان ؟ » حيث خرب الامكنة المعمورة ، واكثر بلاد كهلان وعامة بلاد حمير^(٥) .

فانهيار السد ، كما نرى ، هو سبب تفرق السكان الى انحاء الجزيرة على ان هناك من المؤرخين من يظن ان بين الاسباب التي بعثت على هذه الهجرة ما اصاب اليمن من السقوط والضعف في التجارة على اثر النشاط التجاري الذي قام به الرومان في البحر الاحمر ما بين القرن الثالث والرابع للميلاد^(٦) .

ويرى « جروهمن » بعد ذكره آراء الثقات ، ان دمار السد النهائي قد وقع ما بين عام ٥٤٢ - حيث خرب لأول مرة - وعام ٥٧٠

(١) تاريخ الطبري ص ٢٨٣ ج ١.

(٢) Ameer Ali XIV

(٣) تاريخ ابن واضح البقولي ص ٢٥٤ ج ١

(٤) راجع الطبري ص ١١٣١-١١٣٤ ج ١

(٥) معجم البلدان ص ٣٨٣-٣٨٥ ج ٤

(٦) راجع فجر الاسلام ص ٦ - ٧

للميلاد ، ويقول انه لا يعين للحادث تاريخاً مضبوطاً لان المعلومات
الضرورية لذلك ناقصة (١) .

وقد سكنت خزاعة المذكورة تهامة ، قبل ان أجلت جرم من ديار
مكة - كما ذكرنا - وكان الذي تزعم نزاعهم مع جرم - على رأي
الكلبي - صاحبنا عمرو بن لحي ، يقول : « وكانت ام عمرو بن لحي
فهيذة بنت عمرو بن الحارث - ويقال قعدة بنت مضاض الجرهمي ؟ -
وكان الحارث هو الذي يلي امر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن لحي ، نازعه
في الولاية ، وقاتل جرهما ببني اسماعيل فظفر بهم واجلهم عن الكعبة ،
ونفاهم من بلاد مكة ، وتولى حجابة اليبس بعدهم (٢) » . ولا يرى ابو
الفرج اشتراك الاسماعيليين في هذا النزاع . يقول : « فلما حازت خزاعة
امر مكة وصاروا اهلها جاءهم بنو اسماعيل ، وقد كانوا اعتزلوا حرب
جرم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك » فسألوهم السكني معهم وجولهم
فأذنوا لهم (٣) .

ومن المفيد ان نذكر ان لحياً « ابا عمرو » هو ربيعة بن حارثة
ابن عمرو بن عامر (٤) . وبذلك يكون عمرو بن لحي خفيد خزاعة ، وعليه فلا يكون
تولية البيت قد حدث - ان حدث - الا بعد نصف قرن ، على وجه
التقريب ، من خراب سد مأرب بالسيل العرم .

ومن الاساطير التي تهم عمراً بإفساد الحنيقية وجلب الاصنام الى الكعبة
نقهم انه فعل ذلك بعد ان ساد مكة وصار كاهناً له رئي من الجن .
وبعد هذا كله ، ونحت هذه الاضواء جميعها ، هل يمكننا حصر الزمن
الذي احضر به هذا الكاهن الاصنام الى مكة وبث شعائر الوثنية بين القبائل ؟

(١) ص ٢٤١ ج ٣ Enc. of Islam

(٢) كتاب الاصنام ص ٨ .

(٣) الاثني لأبي الفرج الأصبهاني ص ١١٠ ج ١٣ .

(٤) كتاب الاصنام ص ٥٤ .

يؤكد الشهرستاني ان عمرو بن لحي قد اتى بهبل الى مكة في زمن سابور ذي الاكتاف الذي - على رأي الطبري - قد هادن قسطنطين ملك الروم باني مدينة قسطنطينية^(١) . وهذا يعني في النصف الاول من القرن الثالث للميلاد^(٢) .

وليس ببعيد - ما يذكره المسعودي - ان تلي قبيلة خزاعة امر البيت ثلاثية سنة ويستقيم الامر لقصي^(٣) ولكن بعيد جداً ان يكون عمرو بن لحي - كما يقول - قد عمر ثلاثية وخمساً وأربعين^(٤) . فلو فرضنا ان عمراً قد حق له حجابة البيت وهو في العقد الخامس من عمره لما ترك الخزاعي نصيباً في هذه الحجابة حتى عهد قصي .

ويتفق النسابون على ان قصياً هذا هو الجد الخامس للتي العربي^(٥) فلا يستبعد ان يكون قد ولد في اواخر القرن الرابع للميلاد ، او سنة ٤٠٠ م على وجه التقريب^(٦) .

فكيف نوفق بين هذا التاريخ القريب من الحقيقة وبين قول من يرى ان قصة السيل وقعت حوالي منتصف القرن الثالث م . او حوالي القرن السادس م . ، تلك الحادثة التي هاجرت بعدها خزاعة واستطعت مكة ووليت البيت ما يقرب من الثلاثة قرون اي الى زمن قصي ؟ فلو اخذنا برأي « جروهم » السابق لكان خراب سد مأرب قد حدث بعد مولد قصي بما يقارب القرن والنصف ... وبهذا نقلب كل ما جاء به المؤرخون العرب عن تاريخ ما قبل الاسلام رأساً على عقب . اما اذا فرضنا ان هجرة اليمن بعد خراب السد وبعد النشاط الروماني التجاري

(١) اقرأ اخباره في الطبري ص ٨٣٦ - ٨٤٦ ج ١ .

(٢) ص ٣٣٦ ج ١ Enc. of Islam . راجع ايضاً تاريخ ابي الفدا ص ٨٠ ج ١ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ص ١١٩ ج ٣ .

(٤) نفس المصدر ص ١١٥ ج ٣ .

(٥) راجع اول مقالة قصي في Enc. of Islam .

(٦) انظر حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ٦٧ .

في البحر الأحمر ما بين القرن الثالث والرابع للميلاد، كان بين مولد قضي واحتلال خزاة لمكة نحو نصف قرن أو أقل ، وهنا تقترب من رواية الشهرستاني الذي يقول أن عمرو بن لحي كان معاصراً لسابور ذي الاكتاف ، وذلك في النصف الاول من القرن الثالث للميلاد وهذا ما نراه اقرب الى الصواب في بحث وثنية هذا الكاهن الذي لم تكذ شخصيته تتخلص من ضباب الاساطير .

الفصل الرابع : أصنام عمرو بن لحي

وللأصنام التي استحضرها عمرو بن لحي من جدة ، والشام او العراق اسطورتان طريقتان ، نلخص الاولى فيما يلي :

كان ود وسواع ويعوق ونسر قوماً صالحين ، ماتوا في شهر !.. فجزع عليهم ذوو قرابتهم ، فقال رجل من بني قابيل : يا قوم هل لكم ان اعمل لكم خمسة اصنام على صورهم ؟ غير اني لا اقدر ان اجعل فيها ارواحاً ! قالوا : نعم ! فنجحت لهم خمسة اصنام على صورهم ونصبها لهم .. على عهد يردى بن مهلايل ^(١) !! فكان الرجل يأتي اخاه من هذه الاصنام وعمه وابن عمه ، فيعظمه ويسعى حوله حتي ذهب ذلك القرن الاول ! .

ثم جاء قرن آخر ، فعظموهم اشد من تعظيمهم في القرن الاول ! . ثم جاء القرن الثالث فقالوا : ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله . فعبدوهم ، وعظم أمرهم واشتد كفرهم ، فبعث الله اليهم ادريس نبياً ، فدعاهم فكذبوه ، ورفع الله اليه .

ولم يزل أمرهم يشتد حتى ادرك نوح « فليلاحظ اذاً ، ان عبادة الاصنام تمتد الى ابعد من نوح ، فبعثه الله نبياً ، وهو يونس بن اربعائة وثمانين سنة ! فدعاهم الى الله مائة وعشرين عاماً ، فقصوه وكذبوه ،

(١) ابن قتيان بن أنوش بن شيت بن آدم II .

فأمره الله ان يصنع الفلك ، ففرغ منها وركبها وهو ابن ستائة سنة ، فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها ! وأهبط هذه الاصنام من جبل « نوذ »^(١) وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من ارض الى ارض حتى قذفها الى ارض « جدة » ثم نضب الماء وبقيت على الشط فسفت عليها الريح حتى وارتها! وكان للكهنة الخزاعي « عمرو بن لحي » رأي من الجن جاءه مرة وقال له : عجل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة !.

قال : جبر .. ولا اقامة !

فقال الرئي : إيت ضف « جدة » تجد فيها اصناماً معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها فنجب !
فأتى شط جدة فاستنارها ثم حملها حتى ورد تهامة . وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة !

وأجابته القبائل كلها ، فدفع الى كلب « ودأ » حيث أقر بدومة الجندل والى هذيل « سواعا » . وهي أول من اتخذ الاصنام من ولد اسماعيل وغيرهم فكان لهم برهاط من أرض ينبع . وإلى مذحج وأهل جرش « يغوث » وكان باكمة في اليمن يقال لها مذحج . والى همدان « يعوق » فكان بقرية لهم يقال لها خيوان على ليلتين مما يلي مكة . والى حمير « نسرا » فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع .

ولم تزل هذه الاصنام تعبد حتى بعث الله النبي فأمر بهدمها^(٢) .

اما الاسطورة الثانية فتتلخص بان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض اموره ، فلما قدم مأب من ارض البلقاء - وبها يومئذ العماليق - رأهم يعبدون الاصنام ، فقال لهم ما هذه الاصنام التي اراكم

(١) و « نوذ » الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند ... وهو اخصب جبل في الارض !!

ص ٩١٣ ج ٤ معجم البلدان

(٢) راجع ص ٩ - ١١ ، ٥٩ - ٥١ كتاب الاصنام ، ص ١٤ تاريخ ابن خلدون : ج ١

تعبدها؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها ونستطيرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ! فقال : أفلا تعطوني منها صنماً فأسير به الى ارض العرب فيعبده ؟! فأعطوه صنماً يقال له هبل ! فقدم به مكة ونصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه . ومنهم من يقول انه احضر « هبل » من هيت من ارض الجزيرة فنصبه في بطن الكعبة ^(١) . وهيت هذه بلدة تاريخية تقع « على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار » ^(٢) . وهي اليوم بلدة عامرة بالسكان ارضها معدنية يكثر فيها القار .

ومن الممكن ان تكون رواية احضار هبل من مآب او هيت صحيحة بالنسبة الى كون هبل غريباً في الاصل عن العرب ، وإن كانت عناصر الرواية خرافية محضة .

هذا ، وفي الاسطورة الاولى خيال بديع يحاول ان يضع تعليلاً جميلاً لميل الانسان الى تجسيد ما يحب ، وإشارة الى تقديس الموتى منذ القدم .. وعلى مر الزمن تذهب العلل ويبقى المجدد رمزاً مقدساً تحف به الأساطير والخرافات .. وتقدم له شعائر وطقوس مختلفة تجاري العقلية الفطرية التي ترقى به حتى تجعله إلهاً معبوداً .

ويرى المحرّفون فجوة عظيمة بين الحوادث في اسطورة آلهة قوم نوح المذكورة فيطربونها بحرف هذه الآلهة رأساً من الهند الى شطّ جده .. وتغطيتها بالرمال آلافاً من السنين حتى يكتشفها جني فيدل كاهنه الخزايعي عليها ، فيستثيرها هذا ويستحضرها .. ثم ينشرها بين قبائل العرب .

وفي الأسطورة الثانية محاولة لكشف القناع عن أصل دخول كثير من أصنام العرب ومعبوداتها الجاهلية الى بلاد العرب . وفيها بنفس الوقت ، بذور لحقيقة اولئك الأقوام التي حفّت بالجزيرة العربية من الشمال ، وتأثير خرافاتهم بمعتقدات العرب ، بعض النظر عن نمو تلك

(١) تراجع السيرة ص ٥١ ، كتاب الأصنام ص ٨ وأخبار مكة ص ٨

(٢) ص ٩٩٧ ج ٤ معجم البلدان

البذور في أرض خصبة بالأساطير ، مجذبة من الحقائق التاريخية .

الفصل الخامس : آلهة مختلفة

اساف ونائلة : ويمكن الاستنتاج من بعض ما بين أيدينا من المصادر انه كان لجرم مجسمات مؤلهة سبقت ما أحضره الخزاعي الكاهن من آلهة وما ابتدعه من عقائد .

فهناك صنما إساف ونائلة . والرواية تقول ان اسافاً ونائلة من جرم ، أقبلا حجاجاً ، وكان يتعشقا في بلاد اليمن ، فدخلوا الكعبة ، ووجدوا غفلة من الناس ، وخلوة في البيت ، فقبر بها فسيخا حجرين . ثم أخرجا فوضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بها . فلما طال مكثها ، وعبدت الأصنام ، عبدا معها وكان أحدهما يبلصق الكعبة والآخر في موضع زمزم ، فنقلت قريش الذي كان يبلصق الكعبة الى الآخر ، فكانوا ينحرون عندهما . وقد عبدتها خزاعة وقريش ومن حج البيت ، بعد ، من العرب (١) .

وهما ، وإن أخذنا ونصبا حول الكعبة في زمان ابن لحي ، إلا ان ذلك كان قبل ان يقدم جهل وغيره من الأصنام (٢) .

ومن للروايات ما لا يخلو من حمل اساف ونائلة من البلقاء كغيرهما من الأصنام قال زيدان : « ذكروا أنها صنمان .. حملها عمرو بن لحي ايضاً من البلقاء فوضعها على بئر زمزم بالكعبة ، ثم وضع احدهما على الصفا والآخر على المروة . فربما كان هذان وهبل مثلثاً وثنياً ، ومثلثات الوثنية كانت شائعة عند الوثنيين في الازمنة القديمة . والغالب في هذه المثلثات ان يكون كل منها مؤلفاً من رجل وامرأة وغلّام . وأمثلة

(١) ص ٩ ، ٢٩ كتاب الأصنام .

(٢) تاريخ ابن خلدون ص ١٥ ج ١ .

هذه المثلثات كثيرة عند المصريين القدماء والكلدانيين وغيرهم ^(١) .
والظاهر انهم كانوا يتناقلون قصتها في الجاهلية ، فقد سمعت عائشة
تقول « ما زلنا نسبح ان اسافا ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرحم ،
احدنا في الكعبة فمسخها الله حجرين ^(٢) » ويفهم من الازرقى انهما كانا
يلبسان ثياباً فكلها بليت اخلفوا لها ثياباً جدداً ^(٣)

ومن قبيل حديث اساف ونائلة ما ذكروا من ان رجلاً يقال له
اجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى ، وكان لها
حاضنة يقال لها العوجاء ، يجتمعان في منزلها ، ولما شعروا بهم فروا
فتبعوهم وقتلوا سلمى على الجبل المسمى باسمها وأجأ على الجبل المسمى
باسمها ، والعوجاء على هضبة بين الجبلين فسمي المكان بها ^(٤)

والخلاصة انها تمثالان حجريان جرهميان ، تحاول القصة خلق تعليل
لوجودهما ولما كانا رجلاً وامرأة ، برز العشق موضوعاً لحبك العلاقات
بينها حتى كان منها ما جعل الحرافقة تسميها حجرتين في ذلك المكان
الرهيب ، حرمة له ، وموعظة للناس . وما أشبه هذه القصة بنجر حديث
سمعان عن رجل وامرأة وجدا صريعين في مزار ينسبونه الى وليٍّ ، يقع
في مكان مرتفع على ساطيء فلسطين شمالي يافا وقد كانا في حالة
اهتمتها بانها احداثا نكراً في حرم ذلك المزار ، وحيكت على الأثر
روايات تتمخض بالشعور الديني نحو الاولياء وكراماتهم بما يظهر ما
لهؤلاء ومزاراتهم من الرهبة والاحترام في نفوس العامة

غزالا مكة

واذا كان اساف ونائلة تمثالين او صنمين من حجر على صورة انسانين

(١) ص ٤٠ زيدان - انساب العرب القدماء

(٢) ص ٥٤ السيرة .

(٣) ص ٧٥ اخبار مكة .

(٤) ص ١٤٣ ج ١ معجم البلدان ، ص ١٩١ ج ٢ البداية والنهاية .

فقد كان جرهم ايضاً تمثالا غزالين من ذهب .. ولسنا نعرف من طبيعة هذين الغزالين وشعائرها شيئاً ، وكل ما جاء في « السيرة » و « اخبار مكة » - والاخير اوسع - ان عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بعد ان نفت خزاعة جرهما عن مكة خرج بفزالي الكعبة وكانا من ذهب . ثم قام هو وبعض ولده في ليلة مظلمة ، وحفر في موضع زمزم الذي كان قد نصب مأوّه ؟ ! ثم دفن الغزالين مع ما دفن ^(١) ، الى ان كان من امر عبد المطاب وحفره زمزم حيث وجد الغزالين ووجد في البئر ايضاً اسيفاً وادراعاً . ولما طالبت قريش بهذا الكنز لتحصل على نصيبها منه ، ضربوا بالقداح امام هبل - كما سنرى بعد - فخرج قدحا الغزالين للكعبة ، وقدحا الاسيف والادراع لعبد المطلب الذي زين بالجميع باب الكعبة ، فكان اول ذهب حليت به الكعبة فيما يزعمون ^(٢)

آلهة على شاكلة الحيوان

ويستدرجنا بحث الغزالين الى التساؤل عما كان بينهما من التشابه وبين العجل الذهبي الذي عبد الاسرائيليون به « يهوه » في معابد فلسطين الشمالية ، وبالافعى النحاسية التي كانوا يضحون لها ، والتي يقال انها من صنع موسى نفسه ^(٣) ، والى القول انه كان للعرب مؤلمات تحمل اسماء حيوانات وان كانت هذه الاسماء قليلة العدد . ترى في التاج ان « الاشهل » صنم . ومنه بنو عبد الاشهل لحى من العرب ، فهل يمكن الاستنتاج من « عبد الاسد » انه كان هنالك بينهم إله باسم هذا الحيوان؟ ومن هذا القبيل ثرى في المعاجم ان « العوف » من اسماء الاسد لانه

(١) ص ٥١ - ٥٣ اخبار مكة .

(٢) ص ٩٤ السيرة .

(٣) ص ١٣٩ ج ٧ - Enc. of Religion and Eth .

يتعوف بالليل بمعنى يظوف ويفترس . والعوف الذئب ايضاً . وفي الفيروزآبادي : العوف صنم . وله معان اخرى منها قولهم : والعوف طائر ، والديك ، والحظ وغير ذلك . يقول نلدكه : ولعوف خاصة معنى التفاؤل ، ومن الممكن ان لا يكون اسم هذا الاله من الطائر وانما من الفال المتعلق به ، وفي هذه الحالة يكون « عوف » مرادفاً « لسعد » (١) .

اصنام نوح

اما اصنام قوم نوح (٢) فكان منها ما هو على صورة الحيوان ، قال زيدان : وكان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويفوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر (٣) . وقد عرف الاخير بصيغته الارامية « نشرا » واعتبره التلمود وبعض الوثائق السريانية إلهاً عربياً (٤) . ويؤخذ من كتاب الأصنام - كما ذكرنا - انه كان معبود حمير . ولم يسمع ابن الكلبي أن حمير سمى به ، لا بل انه لم يسمع له ذكراً في أشعارها ولا أشعار احد من العرب . (٥) ويقول ياقوت ان الأخطل ذكره في ابيات منها :

أما ودماء مائزات تخالها على قنّة العزى وبالنسر عندما (٦)

وكان بموضع من أرض سبأ لم تزل تعبد حمير ومن والها حتى هوّدهم ذو نواس (٧) .

(١) ص ٦٦٣ ج ١ نفس المصدر .

(٢) القرآن الكريم ص ٧١ آية ٢٢ - ٢٣ .

(٣) ص ٣٩ انساب العرب .

(٤) ص ٦٦٤ ج ١ Enc. of Religion and Eth.

(٥) ص ١١ كتاب الأصنام .

(٦) ص ٧٨١ ج ٤ معجم البلدان .

(٧) ص ٢٦٨ ج ٣ نفس المصدر .

وفي معرض القول عن « يغوث » يقول زيدان : « جاء في تفسير الزمخشري انه على صورة اسد ، وان عمرو بن لحي نقله من جدة على ساحل البحر الى مكة . فإذا كان مجلوباً من الخارج فالغالب انه من الحبشة أو مصر لأن جدة محطة المسافرين من إحداهما الى الحجاز . وقد وجدنا بين آلهة المصريين صنماً على صورة اسد او لبوءة يسمونها « تغوث » ، ولا يخفى ما بين هذه اللفظة ولفظ « يغوث » من المشاكلة الصورية اذا اعتبرنا ان العرب كانوا يكتبون بلا نقط فاذا كتبوا « يعوب » التبس عليهم بين ان تقرأ « يغوث » او « تغوث » أو « تعوث » . وكثير ما وقع لهم ذلك حتى بعد تدوين التاريخ في إبان التمدن الاسلامي . فامبراطور الروم الذي حاربه هارون الرشيد يسميه بعض المؤرخين « يعفور » والبعض الآخر « نففور » والآخر « تقفور » وهو الصواب لأن اسمه الروماني « Nicephorus » . ألا يعقل ان يحدث مثل هذا الالتباس في عصر الجاهلية ؟ وعلى هذا المبدأ تحول اسم قاين الى قابيل وشاول الى طالوت وجليات الى جالوت وقورح الى قارون^(١) .

اليعوب : واليعوب صنم جديدة طيء . عبده بعد ان أخذت منهم بنو اسد صنمهم الأول ، وبذلك يقول عبيد :

فتبدلوا اليعوب بعد إلههم صنماً . ففروا يا جديلا وأعذبوا

ويعلق محقق كتاب الأصنام على المعبود هذا في ذيل الصفحة ٦٣ بقوله : « ربما كان هذا الصنم على هيئة الفرس . لأن اليعوب في اللغة الفرس السريع الطويل ، او الجواد السهل في عدوه ، او البعيد القدر في الجري . وبه سموا أفراساً مشهورة كما ترى في كتاب أنساب الحيل لابن الكلبي » .

(١) ص ٤١ انساب العرب .

آلهة الاماكن

ذو الشرى - وكان للعرب أصنام سميت باسماء اماكن معينة أهمها
اثنان : ذو الشرى وذو الخصة .

ولا ندرى تماماً الى اي مكان انتسب الاله الاول ، فالمواضع التي
كان لها « الشرى » اسماً ، كثيرة ، من بينها ما ذكره ياقوت في معجم
البلدان قال : « والشرى موضع عند مكة في شعر مليح الهذلي » ،
وفي الصفحة نفسها : « والشرى وأد من عرفة على ايلة بين كبكب
ونعمان » (١) .

وتزداد الصعوبة في معرفة اي الاماكن الذي اعطى الاله اسمه ، حينما
نعلم ان عبادة هذا الاله ترجع الى عهد جد قديم ، اقدم بكثير من
زمن اولئك الذين عبدوه من بني الحارث بن يشكر . جاء في كتاب
الأصنام : وكان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد صنم يقال
له ذو الشرى ، وله يقول احد الغطاريق :

إذن حللنا حول ما دون ذي الشرى وشجّ العدى منا خميس عرمرم (٢)

ويظهر ان المواضع التي جلت هذا الاسم كانت على العموم خصبة ،
وأشبه بالواحات ، ومثل هذه المواضع في بلاد جدباء كالبلاد العربية ،
لا يستبعد ان يصبح مركز عبادة . وقد ذكر ابن هشام في سرده قصة
اسلام الطفيل بن عمرو ، ان ذا الشرى كان صنماً لدوس ، وكان الحنا
حماً حموه له ، وبه وشل من ماء يهبط من جبل (٣) . وعلى ما يظهر
من القصة انهم يغسلون في ذلك الحنا الحمي . فالطفيل عندما جاء من
عند رسول الله مسلماً ، وأنته صاحبه ، قال لها : إليك غني فلست

(١) ص ٢٦٨ ج ٣ معجم البلدان

(٢) ص ٣٧-٣٨ كتاب الأصنام

(٣) ص ٢٥٣ البيرة

منك ولست مني ، ، لقد فرق بيني وبينك الاسلام ، فطلبت منه ان
تتبع دينه فقال لها اذاً اذهبي الى حنا ذي الشرى فتطهري منه . فقالت
بأي انت وامي ، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟ فقال : لا ،
أنا ضامن لذلك فذهبت واغتسلت . ثم جاءت ، ففرض عليها الاسلام
فأسلمت (١) .

وغريب عنا اسم الاله الحقيقي ومميزاته الاصلية بالنسبة الى ما بين
ايدينا من المصادر ، أما ان يكون ذات الاله « اله الشمس » الذي
عبدته النبطيون فذلك محتمل . واذا اعتبر ذو الشرى Dusares الاله
الرئيسي عندهم (٢) ، فانه لم يحتل بين العرب الجاهلين المتأخرين مكانة
رفيعة . وذكر شيخو ذا الشرى قال : وكان النبطيون يعبدون الشمس
عبادة خاصة ، وكان لهم في عاصمتهم سلع Petra معبد كبير
لاكرامها ، وانما كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو الشرى اي
الاله المنير . وقد ورد اسمه مراراً في كتابات عيون موسى ،
ومدائن صالح وطور سينا . اما كون ذي الشرى يراد به الشمس
فالأمر واضح من قول استرابون الذي يؤكد ان النبطيين يعبدونها ،
وكانوا جعلوا عيدها في ٢٥ كانون اول كما أفادنا القديس ابيفانيوس في
كتابه عهد الهرطقة . وزاد مكسيموس الصوري ان النبطيين كانوا
اتخذوا صنماً لذي الشرى وهو حجر اسود مكعب علوه أربعة اقدام
وعرضه قدمان (٣) .

وبما ذكره نذكره عنه قوله : وقد أشارت النقوش النبطية ، ونقوش
الشعوب المجاورة الى هذا الاله ، والى وجود اسماء تنسب اليه أمثال
عبد ذي الشرى وتيم ذي الشرى . كما كان الاسم « عبد ذي الشرى »

(١) راجع القصة مطولة في « السيرة » ص ٢٥٢-٢٥٥

(٢) ص ٩٦٥ ج ١ Enc. of Islam

(٣) ص ٩ النمرانية وآدابها بين عرب الجاهلية « القم الأول » .

معروفاً بين الدوسيين . وقد ذكر بعض مؤلفي اليونان شيئاً عن هذا الاله ، غير ان أهم المعلومات عنه ما وجد في البطرا عاصمة دولة الأنباط ، فقد كان يعبد على شكل حجر أسود خام ذي اربعة أضلاع ، يبلغ طوله اربعة أقدام وعرضه قدمين ، وكان دماء ضحاياه تصب عليه او أمامه ، وكانت تحته قاعدة ذهبية كما كان يتألق معبده كله بالذهب وبالهبات التي كانت تنذر له ^(١) .

ذو الخلصة : وبما يستشف من الحديث عن ذي الخلصة انه كان ذا مكانة رفيعة تسبو على مكانة ذي الشرى في البلاد العربية ، ولربما كان هنالك شيء من المنافسة بينه وبين أرفع بيت ديني ، وهو حرم مكة . فقد كان يحج اليه ويهدى له . وفي تاج العروس ان بيته كان يدعى الكعبة البانية ، ويقال له الكعبة الشامية ايضاً لجعلهم بابه مقابل الشام ، وفي بعض الأصول كان يدعى كعبة اليامة ^(٢) . وقد خصه النبي بمحدث ماله ان طائفة من العرب يرتدون الى جاهليتهم في عبادة الأوثان فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة . قال : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس حول ذي الخلصة » ^(٣) .

وقد تضاربت آراء الأقدمين فيه اسماً ومكاناً : فقائل يقول انه بيت الحثعم ، وكان فيه صنم يدعى الخلصة ^(٤) . وقيل ذو الخلصة الصنم نفسه ^(٥) . ومنهم من يقول انه كان بنبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة ^(٦) في المنطقة التي تدعى اليوم العسير ^(٧) . والأزرقى يقول

(١) ص ٦٦٣ ج ١ Enc. of Rel. and Eth.

(٢) ص ٣٨٩ ج ٤ تاج العروس للزبيدي .

(٣) ص ٢٧١ ج ٢ مسند ابن حنبل .

(٤) ص ٢٩٥ ج ٨ لسان العرب لابن منظور .

(٥) ص ٣٨٩ ج ٤ تاج العروس .

(٦) ص ٣٤ - ٣٥ كتاب الأصنام .

(٧) ص ٦٦٣ ج ١ Enc. of Rel. and Eth.

ابن عمرو بن لحي نصب الخلصة بأسفل مكة ^(١) وهو لا يضيف للخلصة « ذا » ولا يعين المكان اتمام التعيين وفي ياقوت ان الخلصة من قرى مكة بوادي مر الظهران ^(٢) والظهران واد قرب مكة و « مر » قرية عنده تضاف اليه فيقال مر الظهران ^(٣). وقد لاحظ الزبيدي هذا التضارب فقال - بعد ان ذكر الحديث النبوي المتقدم - أن الذي يظهر من سياقه هو ان الصنم المذكور فيه هو غير الذي هدمه جرير ، لأن دوساً رهط أبي هريرة من الأزد ، وخشم وبجيلة من بني قيس ، فالأنساب مختلفة ، والبلاد مختلفة ثم يرى الصحة في ذي الخلصة انه الصنم الذي نصبه ابن لحي - أسفل مكة ^(٤)

ولم يشر أحد الى إمكانية وجود صنين او اكثر لهذا الاله يتجسد بها في اكثر من مكان ، وليس ذلك ببعيد التصور فتكون عندئذ عبادته سائدة في غير مكان واحد

والقول في أننا لا نعرف مميزات ذي الشرى الحقيقية ينطبق على هذا الاله الذي كان على رأي ابن الكلبي يتمثل بمرورة بيضاء منقوشة عليها كهية التاج ^(٥). ونرى من المحتمل ان تكون هذه المرورة التي كانت بقبالة من نوع ، إن لم تكن نفس التي نصبها عمرو بن لحي بأسفل مكة ، « فكانوا يلبسونها القلايد ، ويهدون اليها الشعير والجنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام » ^(٦) ومر معنا انهم كانوا يضربون عنده بالقداح ، وان رجلاً « يقال انه امرؤ القيس » كسر قداحه وضرب بها وجهه ، فلم يزل لا يستقسم عنده بشيء حتى

(١) ص ٧٨ اخبار مكة .

(٢) ص ٤٦٣ ج ٢ معجم البلدان .

(٣) ص ٥٨١ ج ٣ نفس المصدر .

(٤) ص ٣٨٩ ج ٤ تاج العروس .

(٥) ص ٣٤ كتاب الأصنام .

(٦) ص ٧٨ اخبار مكة .

جاء الاسلام ، فأرسل النبي جرير بن عبد الله اليه فساز بفتيان بني أحس من بجيلة فقتل سدنته ، وحارب قبائله وظفر بهم ، ثم هدم بنيانه وأضرَم فيه النار ، فقالت امرأة من خثعم

وبنو امامة بالولية صرّعوا ثملاً يعالج كلهم انبوبا
جاءوا ليضتهم فلاقوا دونها اسداً تقب الى السيوف قينبا -
قسم المذلة بين نسوة خثعم فتیان أحس قسمة تشعيباً^(١)

ذو الكفين وذو الرجل وهما كما يظهران من اسميهما لا ينتسبان الى أمكنة كالذين سبقا ، وإنما ينتسبان الى أعضاء في جسم الانساب وذو الكفين صنم كان لدوس ثم لبني منهج بن دوس ، حرقه الطفيل بن عمرو الدوسي وهو يقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا اكبر من ميلادكا
اني حشوت النار في فؤادكا^(٢)

وأما « ذو الرجل » فلا يزيد الزبيدي فيه على ان يقول وهو صنم حجازي^(٣) وقد ذكر شيخو مع ذي الشرى وذو الخلصة « ذات السلام »^(٤). ولقد سمى العرب آلهتها ايضاً - ولا ندري لم ؟ - باسماء معنوية كمناة ، ومناف ، وجد ، وسعد ، وكسرى ، ورضا ، وود وود وهذا ، كما وصفه من رأى خالد بن الوليد يكسره بعد غزوة تبوك « كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، قد ذبر عليه حلتان ، متزرجة بحلة ، مرتد باخرى عليه سيف قد تقلده وقد تتكّب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ، وبوفضة فيها نبل »^(٥)

(١) ص ٣٦ كتاب الأصنام .

(٢) ص ٣٧ نفس المصدر

(٣) ص ٣٤٠ ج ٧ تاج العروس

(٤) ص ١٢ الصرائية وآدابها

(٥) ص ٥٦ كتاب الاصنام

والباحث لأول وهلة يرى ان هذا الاله العربي قريب الشبه من اروس Eros اليوناني . فهذا - وإن لم يذكره هوميروس - كان إله الحب في الميثولوجيا اليونانية وهو من اقدم واجل الالهة اليونانية ، على ان قوته لا يمكن ان يقاومها الابطال ولا الالهة . ومن غريب الاتفاق انه كان يتنكب السهام والقوس ايضاً ^(١) . وهل الود في العربية غير الحب ؟! فمن اسم الاله وملاحه « كاعظم ما يكون الرجال » ، وتقلده السهام والقوس تبرز لنا وجوه الشبه القريب بين الالهين . وقد ذكره النابغة الذبياني في قصيدته الميمية « بانت سعاد » المعدودة في نظره « اكمل من يمشي على قدم » والتي بعد ان ينسب بها يقول لها :

حياك « ود » فانا لا يحل لنا هو النساء وان الدين قد عزمنا ^(٢) .
ويرى زيدان به شهباً لملك من ملوك الفراعنة ، او إله من آلهة المصريين او الفينيقين ، ثم يقول : ولا يمكننا الجزم في ذلك ، وإنما يظهر من وصفه انه إله غريب ^(٣) .

الفصل السادس : أشهر الآلهة

وآلهة العرب الجاهلين كثيرة ، ولا يمكننا ان نعدد جميعها هنا ، ففي ابن الكلبي ، وابن هشام ، وياقوت ، وغيرهم من كتب السير والتفاسير والتاريخ والأدب واللغة ومختلف المعاجم . . . ثم في وهوزن والالوسي وأجارم وغيرهم من المحدثين غنى عما يمكننا ذكره ورسم صفاته وميزاته في هذا الباب ، على انه لا يمكننا ان نمر مر الكرام ، ونجتاوز ثم نقض الطرف عن اربعة هي ، على ما بين ايدينا من المصادر أشهر

(١) ص ٧٥٣ ج ٩ Enc. Brit

(٢) في « العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهلين » - حياك ودني - غير ان نلذكه يرى انها في الاصل - حياك ود - (ص ٦٦٢ ج ١ Enc. of Rel. and Eth.) . وكذلك ياقوت في معجم البلدان ص ٩١٣ ج ٤ يرويها حياك ود ، والكلبي في ص ١٠ من كتاب الامنام .

(٣) ص ٤١ انساب العرب

مؤلفات العرب على الإطلاق ، وبالأربعة هذه نعني مناة واللات والعزى
- وظالما ذكرت معاً - ثم هبل ونبدأ باقدمها وهي
مناة : يجتهد ياقوت في معرفة اشتقاق هذا الاسم فيقول : ولعله يكون
المنا وهو القدر في قولهم

ولا تقولن لشيء سوف أفعله حتى تبين ما ينبي لك الماني
أي ما يقدر عليك . قال ويجوز ان يكون من المنا وهو
الموت ، او من مناه الله مجها أي ابتلاه ، وموت الرجل ومنيته إذا
اختبرته ، أي انه الحبيب ^(١) وفي نفس الوقت يعترف ياقوت بأنه لم
يقف على احد يقول في اشتقاقه شيئاً

وغريب هذا الشبه بين مناة العربية وبين الكلمتين مناتا Menata
الآرامية ومنوت Manot العبرية . وهو كالشبه بين الماني الواردة في البيت
الذي سرده ياقوت وماني Meni إله القدر او إله الموت ^(٢) وهو
اغلب الظن معبود كنعاني وفي اللغة نجد ان منية تعني الموت
او الأجل

ومناة على رأي ابن الكلبي ، اقدم الاصنام كلها . وكان منصوباً
على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة ^(٣) . ولربما
كان قدم رفعها الهة سبياً في عدم معرفة كنهها وتفصيل شعائرها ، وتلمس
صفاتها الحقيقية وقد ذكرت مناة على صيغة الجمع في نقوش الحجر
النبطية ^(٤) وكان آخر العهد بدولة الانباط سنة ١٠٦ م وذلك بعد
ان جرد عليهم الامبراطور الروماني تراجان حملة عجز النبطيون عن الوقوف
في وجهها فغلبتهم على مدينتهم وذهبت بعصيتهم فانحلوا واختلطوا بغيرهم

(١) معجم البلدان لياقوت ص ٦٥٢ ج ٤ .

(٢) Enc. of Islam ٣ ج ٢٣١ ص ١٣

(١) كتاب الاصنام ص ١٣

(٢) Enc. of Islam ٣ ج ٣٣١ ص ١٣

من الشعوب المجاورة (١) .

وكان الهذليون يعبدون مناة بججر اسود على رأي بوهل (٢) » وكانت العرب جميعاً تعظمه (٣) . « ولم يكن احد اسد اعظماً له من الاوس والخزرج (٤) » تخصه بالهدية والزيارة كما كانت تخص قريش العزى وثقيف اللات (٥) . ولم يزل على ذلك حتى خرج الرسول من المدينة سنة ٨ للهجرة (عام الفتح) ... فلما سار من المدينة ، اربع او خمس ليال ، بعث علياً (وهناك روايات تنسب هدمها الى ابي سفيان بن حرب ، او سعد بن زيد الأشهلي) . فهدمها (٦) واخذ ما كان لها ، وكان فيما اخذه سفيان اهداها لمناة الجارث بن ابي شمر الغساني - وهو من الملوك الغسانيين الذين اعترف نلدكه بوجودهم ، توفي سنة ٥٦٩ م - احدهما يسمى مخدماً والآخر رسوباً . وقد ذكرهما علقمة في شعره فقال :

مظاهر سربالي حديد عليها عقيلاسيوف : مخدّم ورسوب
على انه يقال ان علياً وجدتهما في الفلّس صنم طيء (٧) . ويقول ابن الكلبي : إن مناة التي ذكرها القرآن في سورة النجم (٨) - ولم يذكرها في غيرها - هي لهذيل وخزاعة ، فهل يستنتج من تعداد القبائل جميعها في الحديث عن مناة هذه ، انه كان لها اكثر من رمز ؟ ذلك محتمل . على ان انتشار الاسماء المركبة منها « كزيد مناة » ، و « عبد مناة » ، بين مختلف القبائل ، وما سبق من ان العرب جميعاً كانت تعظمها ، من شأنه ان يدعو الى الظن ان هذه الالهة التي اعتبرت احدى بنات الله ،

(١) العرب قبل الاسلام ص ٨٦ .

(٢) ص ٣٣١ ج ٣ Enc. of Islam .

(٣ و٤) كتاب الاصنام ص ١٣ .

(٥) نفس المصدر ص ٢٧ .

(٦) البيرة ص ٥٥ وتاريخ الطبري ج ١ ص ١٦٤٩ .

(٧) العرب قبل الاسلام ص ١٨٦ .

(٨) القرآن الكريم ص ٥٣ آية ٢٠ .

قد عمت قسماً كبيراً من بلاد العرب .

اللات : إلهة عربية أخرى ، قديمة وهي أحدث - على رأي ابن الكلبي - من مناة ^(١) . ترجع الى عهد الحجر وبطرا ، كما انها ذكرت في نقوش الانباط والتدميريين . ومعنى اللات الألهة وقيل انها اسم للشمس ^(٢) . ويقول نلدكه ان اليلات Alilat التي يذكرها هيرودتس يجب ان تكون قد احتلت مكانة سامية في ديانة اولئك العرب الذين سكنوا شبه جزيرة سيناء ومن جاورهم . وقد ظهرت اسماء مركبة منها بين الانباط والتدميريين ، كما انها دُعيت في احدى النقوش النبطية العديدة بام الآلهة The Mother of the gods ^(٣) . ويرى نلدكه ايضاً ما يرى ولهوزن ان اللات هي نفس « اله الشمس » النبطي الذي كان يقدس عندهم تقديساً خاصاً . اما ما يراه العرب من ان اللات نسبة الى صخره كان يهودي بحتاً عندها السويق ، فسميت صخرة اللات ^(٤) ، فلا يخرج عن كونه حديث خرافة ، وضعوه لعجزهم عن معرفة اصلها وكيفية دخولها بينهم ، وتوغلها في الجزيرة حتى وجدت لها مكاناً في نواحي الطائف ، ولرغبتهم في ايجاد تغليل لوجوها .

وقريب من هذا التعليل اجتهد ياقوت في وضع الجوازات في معجمه كقوله : يجوز ان يكون اللات من لاته يليته ، اذا صرفه عن الشيء كأنهم يريدون ان يصرف عنهم الشر ^(٥) .

ولا أدري أكان جهلاً منهم ظنهم بانهم لم يتصلوا فيمن جاورهم ولم يتأثروا بهم ولم يأخذوا الشيء الكثير من معتقداتهم وبالعكس ، ام

(١) كتاب الاصنام ص ١٦ .

(٢) ص ١٨ ج ٣ Enc. of Islam .

(٣) ص ٦٦١ ج ١ Enc. of Rel. and Ethics .

(٤) كتاب الاصنام ص ١٦ واخبار مكة ص ٧٩ .

(٥) معجم البلدان ص ٣٣٤ ج ٤ .

تجاهلاً ؟ اننا نقرأ في تواريتهم ما يدل على انهم عرفوا جيرانهم . ولا نرى سبباً لذلك - ان كان جهلاً - سوى عدم تسجيل تاريخ جامع لاحوال العرب او حقائق ثابتة عنهم - على الاقل - في الجاهلية ، بما ادى الى ضياع الكثير من اخبارهم وخصوصاً حوادث القرون الخمسة الاولى للميلاد . فلا أرى في اللات مثلاً إلا انها غريبة عن العرب أصلاً . دخلت الجزيرة العربية من الشمال فيما دخلها بواسطة القوافل التجارية وغيرها . وهي إلهة نبطية بلا زيب . اما ان يكون الانباط عرباً او آراميين ، فذلك ما تتركه لبحاث التاريخ القديم ، فاذا كانوا عرباً فهي من العرب والى العرب ، وتبقى في الاصل غريبة عن الحجاز ، جاءت في التالي من المناطق الشمالية .

والمعروف ان اللات قد عبدت بصخرة مربعة بالطائف ، وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش والعرب جميعاً تعظمها ، ولقد سموا بها « زيب اللات » و « تيم اللات » (١) . وهي التي تذكر مع العزى وتضاف اليها مناة كما جاء في القرآن .

وكنا ذكرنا كيف ان وفد ثقيف سألوا النبي ان يدع لهم الطاغية (اللات) لا يهدمها فابى . وقد ارسل محمد ابا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدمها ، فقدم الطائف واراد المغيرة ان يقدم ابا سفيان فابى وقال : ادخل انت على قومك ، فدخل المغيرة ثم ذهب الى اللات فعلاها وحطمها بمعوله ، وجمع ما عليها من الذهب والخلي (٢) .

ومن لطيف ما يروى في حادث هدمها ان عامة ثقيف ما كانوا يرون انها مهدومة ويظنون انها ممتنعة . فلما قام المغيرة لهدمها ، اخذ المعول وقال لاصحابه لاضحككم من ثقيف : وضرب بالمعول ثم سقط يركض برجله ، فارتج اهل الطائف بصيحة واحدة وفرخوا ، وقالوا ابعذ الله

(١) كتاب الأصنام ص ١٦ .

(٢) السيرة ص ٩١٧ .

المغيرة ، قتلته الربة ثم قالوا هازئين لاصحابه من شاء فليقترب ، فقام عندئذ المغيرة وقال والله يا معشر ثقيف انما هي لكاع حجارة ومدر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه ، ثم انه ضرب الباب فكسره ، وعلا سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوّوها بالارض غير ان سادنها لم يئأس من انتقام الربة ، وجعل يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ! فلما سمع المغيرة قال لخالد دعني احفر اسامها ، فحفروه حتى اخرجوا تراها ثم رجعوا الى رسول الله فقسم اموالها بين المسلمين (١)

وما ذكره الاب شيخو عن اللات قوله « واليوم قد اجمع الاثريون على ان اللات هي الزهرة ، ولنا على ذلك شهادة هيروdotس المؤرخ قال في تاريخه ان العرب يعبدون الزهرة السماوية وهم يدعونها أليتا Alitta وقد اصلح اسمها في محل آخر فدعاها الألات Alilat وهو اختصار الألاهت كما اختصروا الاسم الكريم الاله فقالوا الله ثم اختصروا الألات فقالوا اللات وكانت اللات معبودة في كثير من جهات الجزيرة ليس الطائف كما زعم كتبة العرب فان الاثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر اللات ولا سيما في بلاد النبط في حجر وصلخد والبصرى حيث كان لها هيكل وفي انحاء حوران وحتى في تدمر وتدعى هناك باللقاب تدل على مقامها كاللات العظمى وام الآلهة وكانوا يضيفون إلى اسمها اسم المكان الذي تكرم فيه فيقولون لات صلخد ولات حبران النح

قال « ودخل اسمها بين اهل المدر ، وبين سكنى حوران المتكلمين باليونانية فنقلوا اسمها الى اليونانية على صورة « اثيني » وهي عند اليونان آلهة الحكمة ، لكن صورها واوصافها في الكتابات القديمة تثبت على

كونها الزهرة . وما يدل على انتشار عبادتها بين العرب كثرة الاسماء المركبة من اسمها كوهيلات ، وتم اللات ، وعمرو اللات ، وزيد اللات وغيرها مما وجد في الآثار والاعلام القديمة « (١) والاب شيخو مؤمن بان اللات هذه هي نفس مناة ، ومناة ، هي اسم من اسماء العزى . وما العزى إلا الزهرة التي عرفت باسماء أخرى على مقتضى احوال ظهورها بعد غروب الشمس وقبل طلوعها ، غير اننا لا نرى ان اللات ومناة والعزى انما هي اسماء مختلفة للآلهة واحدة . بل انها ثلاثة اسماء لثلاث آلهات في بلاد العرب على الأقل .

العزى : من حديث ذكره ابو الفرج (٢) يحلف فيه المنذر الرابع ملك الحيرة باللات والعزى ، نعلم ان العزى — تلك التي اهدى لها النبي شاة غفراء وهو على دين قومه (٣) — كانت تعبد أيضاً بين اللخمين . اولئك الذين كانوا لعبة في ايدي ملوك فارس على الضفة الشمالية الشرقية من بلاد العرب ، كما كان ملوك غسان لعبة بايدي الابطرة الرومان في مشارق الشام . وما يروى عن العداء بين الغساسنة واللخمين ، ما ذكره مؤرخ سرياني قديم من ان المنذر ذاك قد ضحى للعزى ابن الحارث الجفني ملك غسان وقد وقع الولد بيده اسيراً ، كما ضحى اربعمائة راهبة اسيرة كن متنسكات في بعض اديرة العراق (٤) . ذلك خبر مؤلم ، إن صح ، علمنا ما كان يصحب عبادة « كوكب الحسن » من القساوة . غير ان هذه القساوة — على ما يظهر — لم تدخل قلب بلاد العرب ، وان كان الكثير من ميزات هذه الآلهة القاسية القلب منسياً او غير معروف لدينا . فهم ان تحدثوا عنها قالوا : والعزى تأنيث الاعز ، مثل الكبرى

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ١٠

(٢) الاغانى ص ٢١ ج ٢

(٣) الاصنام ص ١٢

(٤) ص ١٠٦٩ ج ٤ Enc. of Islam

تأنيث الاكبر . والاعز بمعنى العزيز ، والعزى بمعنى العريضة ^(١) . وهي
 احدث من اللات ومناة ، وذلك ان العرب - على رأي ابن الكلبي -
 سميت بها قبل العزى . « وكانت بواد من نخلة الشامية ، يقال له حراض
 بازاء الغبير عن يمين المصعد الى العراق من مكة فوق ذات عرق الى
 البستان بتسعة اميال » . وكانت اعظم الاصنام عند قريش التي حمت لها
 شعباً من وادي حراض يقال له سقام يضاؤون به حرم الكعبة ^(٢) . ونخلة
 الشامية هذه كانت واديين لهذيل على ليلتين من مكة ، وهما ما عناهما
 كثير بقوله :

حلفت برب الموضعين عشية ^(٣)

وقد اوردهما حسان بن ثابت في شعره قال :

وان الذي بالجزع من بطن نخلة

ومن دانها فل عن الحق معزل

وهو في هذه الشهادة انما يعني العزى نفسها ^(٤) .

وكانت العزى تعبد بثلاث شجرات سمرات بنخلة حيث كان يشتي الرب
 لحر تهامة بعد ان يكون قد اصطاف في اللات لبرد الطائف ^(٥) . ولم
 تقتصر عبادتها تمثيلها بالثلاث سمرات ، ولكن كان لها صنم ايضاً معبود
 ويبيت بحمي تقدم له ضروب الشعائر ^(٦) . وفي حديث مسير خالد بن الوليد
 لها يقول ابن الكلبي انه قطع الشجر وهدم البيت وكسر الوثن ^(٧)

(١) معجم البلدان ص ٦٦٥ ج ٣

(٢) الاصنام ص ١٧ - ١٩ .

(٣) معجم البلدان ص ٧٦٩ ج ٤

(٤) اخبار مكة ص ٨٢ .

(٥) نفس المصدر ص ٧٩ -

(٦) تفسير الطبري ص ٣١ - ٣٢ ج ٢٧ .

(٧) الاصنام ص ٢٧ .

والظاهر ان عبادة العزى اخذت تضاعف في اواخر العصر الجاهلي ، على ان
 مبهم من كان لا يزال شديد الكلف بها . من حديث ذلك ان سعيد
 ابن العاص حينما مرض مرضه الاخير الذي مات فيه ، دخل عليه ابو لهب
 يعود فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا احية ؟ امن الموت تبكي
 ولا بد منه ؟ قال لا ، ولكني اخاف ان لا تعبد العزى بعدي ! فقال ابو
 لهب : والله ما عبدت في حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك !
 فقال ابو احية : الآن علمت ان لي خليفة !^(١) . ويدعي ابن الكلبي
 ان قريشاً كانت حينما تطوف بالكعبة تقول :
 واللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ، فانهن الغرائق العلى ،
 وان شفاعتهم لترجي^(٢) .

ويلاحظ الشبه بين هذا الاهلال وبين ما ورد في سورة النجم ، كما
 يلاحظ الجمع بين الالهات الثلاث تلك . وان كثرة الجمع بين العزى
 واللات كقول زيد بن عمرو عزلت اللات والعزى الخ ... وكقول
 قريش في امرأة أصيب بصرها ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا
 وبیت الله ما تضران « اللات والعزى » ! وقول كعب بن مالك :

وتسمى اللات والعزى وود ونسلبها القلايد والشنوفا^(٣)

والأيمان باللات والعزى ، مجموعتين ، كثيرة ، وفي أحد يقبل ابو
 سفيان يحمل اللات والعزى^(٤) . والعرب اجمالاً لم يكونوا يرون في بقية
 الاصنام ما يرون في بنات الله اللواتي يشفعن اليهم - على رأيهم - عنده .
 وحديث بنات الله يجرنا الى تلخيص القول في قصة الغرائق التي لها
 وثيق الصلة بالالهات الثلاث :

(١) نفس المصدر ص ٢٣

(٢) نفس المصدر ص ١٩

(٣) السيرة ص ١٤٥ ، ٢٠٦ ، ٨٧١

(٤) تاريخ الطبري ص ١٢٩٥ ج ١

حديث الغرائيق : لقد شق على محمد في بدء دعوته إعراض قومه عنه وإيقاعهم بمن يقدرون عليهم من المسلمين شر العذاب ، ورفضهم ما جاءهم به من عند الله ، فتمنى في نفسه ان لا ينزل عليه الله شيئاً ينفّرهم عنه ، لرغبته في التقريب بينه وبينهم ولحرصه على إيمانهم . وكانت ذات يوم جالساً في ناد من انديتهم وقد نزلت عليه سورة « والنجم إذا هوى » فأخذ يقرأها عليهم حتى بلغ قوله تعالى « أفأرىتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى » ... وكان تمنّيه لا يزال عالقاً في نفسه فجزى على لسانه « تلك الغرائيق العلى وان شفاعتهم لتتجى » فتهللت وجوه قريش بشراً وإعجبهم ما ذكر به آلهتهم ومضى الرسول يقرأ حتى اتم السورة . وسجد في النهاية وسجد المسلمون معه وكذلك جميع المشركين من قريش إلا الوليد بن المغيرة فقد كان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، غير انه رفع الى جبهته تراباً وسجد عليه ثم تفرّق الناس وخرجت قريش مسرورة بما ذكر محمد عن آلهتهم أحسن الذكر : ألم يزعم انها الغرائيق العلى وان شفاعتهم لتتجى ؟

وتبلغ السجدة من بأرض الحبشة من اصحاب الرسول ويقال بينهم اسلمت قريش فنض منهم رجال وتخلّف آخرون . ثم يأتي جبريل الى النبي ويقول ما صنعت يا محمد ؟ . لقد تلوت على الناس ما لم آتاك به ! فيجزع الرسول ، ولكن الله كان به رحيماً ، وانزل عليه الآية تلو الاخرى فاسخاً ما أجرى الشيطان على لسانه ، فتقول قريش ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتنا عند الله فقير ما جاء به . ثم تعود لمناواته وايداء اصحابه ، ويعود النبي سيرته الاولى من ذكر آلهتهم بالشّر (١) .

هذا هو ملخص حديث الغرائيق اما أن يكون موضوعاً اوله اصل

(١) راجع تفسير الطبري م ١٧ ص ١١٩ - ١٢٢ ، وتفسير القرآن للنيسابوري م ١٧

من الصحة، فشيء بتركه للقدماء والمحدثين من مؤيديه ومناهضيه^(١)، ويجسن مراجعة حججهم في الفصل السادس من كتاب حياة محمد^(٢) .
ورجوعاً الى حديث العزى نقول انه كان لها على ما يظهر تمثال او رمز تحمله قريش في حروبها . وقد ذكرنا كيف اقبل ابو سفيان في احد يحمل اللات والعزى . وفي احد ايضاً كان يقول : ألا لنا العزى ولا عزى لكم . فيجيبه المسلمون : الله مولانا ولا مولى لكم^(٣) . فهي من الألهات التي كانت تشترك في الحروب وان كان هذا الاشتراك قاصراً على اثاره حمية عبادها . ولامنس ، في حديثه عن الحجارة المؤهلة ، يرى غير ما يرى وهوزن الذي يقول : « تنتقل القبائل البدوية ولكن لا ينتقل موضوع عبادتها الخ » ويعتمد الاب لامنس على امثال ما ذكر آنفاً وعلى اقرار وهوزن نفسه بوجود « بعض الاشياء المقدسة التي تنتقل زمن الحرب » . ومن قول الاب لامنس في هذا الحديث : وقد لا اخطيء القصد اذا رأيت اشارة الى شيء من هذه العادة في بيت للكميت يقول :

وقد آلت قبائل لا تولى مناة ظهورها متحرفينا^(٤)

وبشاء التاريخ ان يكون خالد المشرك الذي اشترك في احد جنباً الى جنب مع ابي سفيان ، هو نفس خالد المؤمن الذي مسح معالم العزى . تلك التي كان ابوه الوليد - بشهادة خالد نفسه - يأتيها بنحير ما له من الأبل والغنم فيذبجها لها ويقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف اليهم مسروراً^(٥) . ومن حديث هدمها انه لما كان عام الفتح « ٨ هـ » دعا النبي خالداً لهدمها فانطلق الى بطن نخلة فعصد الشجرات الثلاث ، وقد

(١) حياة محمد ص ١٢٣ - ١٣١

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٤١٨ .

(٣) مجلة المشرق ٣٦ - ١٥ ص ٦٠٢ ، ١٠٠ .

(٤) اخبار مكة ص ٨١

ورأى في الاخيرة منها حبشية نافثة شعرها واضعة يديها على عاتقها وهي تصرف
باسنانها ، وخلفها ديبية السلمي سادنها يثورها على خالد ويقول :
اعزائي شدي شدة لا تكذبي على خالد ، ألقى الحمار وشمري
فانك ان لم تقتلي اليوم خالداً تبوئي بذل عاجلاً وتنصري
ويشعر ظهر خالد ثم يقدم مشجعاً نفسه بتريده :
يا عز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك
ثم يضربها فيفلق رأسها ويقتل سادنها ويهدم البيت ويكسر الصنم ثم
يرجع الى النبي ويخبره بما فعل فيقول النبي : تلك العزى ولا عزى بعدها
للعرب ، اما انها لن تعبد بعد اليوم (١) .

هكذا كانت نهاية العزى في بلاد العرب ، اصابها ما اصاب غيرها
من الآلهة الكثيرة ، وتلاشى الروايات عنها دون ان تترك ولو شيئاً
ضئيلاً عن اصلها وخواصها . وقد لاحظ بعض المستشرقين ضالة الحقائق
التاريخية في حياة العرب الجاهلية . ويقول اوليري في هذا المعنى : انه
لا يلاحظ في ما كتبه العرب تأخر المواد نسبياً فحسب ، حيث تلاشى
كل شيء حقيقي يذكر عن العادات الوثنية ، ولكن هذه الكتابات
التي حفظت لنا كانت قد نعتت وحررت في طريقة لتطابق ما ورد
في القرآن (٢) .

هذه ، وبما يلاحظ ان العزى قديمة العهد وان كانت كما يذكر الرواة
احدث من مائة واللات . فقد ذكرنا انها عبدت في الحيرة وان المنذر
(في النصف الاول من القرن السادس) كان يضحي لها اسراه . وقبل
هذا الزمن بقرن تقريباً ذكرها شاعر سرياني يدعى اسحاق الانطاقي ،
وبذلك نعلم منه انها عبدت بين عرب ذلك الحين . وكان قد ذكرها
في شعره على انها الزهرة نفسها Venus ... ويقولون انها وردت في

(١) كتاب الاصنام ص ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ص ١٩٢ O'Leary : Arabia Before Muhammad.

مؤلفات كتاب يونانيين عاشوا في القرن الرابع . وهي بلا شك ترجع الى ما قبل ذلك بكثير ، ومصدر ذلك نقوشات وجدت في شبه جزيرة سينا اشارت الى سادن لهذه الالهة ، كما اشار غيرها الى الاسم عبد العزى وذلك حوالي القرن الثاني للميلاد ^(١) . وقد عرفت الزهرة باسماء اخرى حسب ظهورها بعد غروب الشمس او قبل شروقها . فكانوا يدعون نجمة السماء « عتر » ، وهي ايضاً « استار » Astarté او « عترتا » Atargatis . اما نجمة الصبح فشاع اسمها العزى اي الالهة السامية . وجاء ذكرها باسم كوكب الحسن في شعر اسحاق الانطاكي ، وصرح بانها هي الزهرة ... ومن اسماء الزهرة ايضاً « كبر » كما ذكر الكاتب اليوناني افثيموس قائلاً انها من معبودات العرب ^(٢) .

هبل : ويرجع بنا الى حديث احضار الاصنام من الشام « مآب » او العراق « هيت » . وهو على رأي يعقوبي اول صنم وضع بمكة ^(٣) . ويقوت على عادته يحاول محاولات عقبة في استخراج اسمه من معان واشتاقات لا تجدي ^(٤) ، وذلك لجهله بانه اسم لمسمى غريب لا يحتاج الى تأويل . وهبل هذا هو الذي كان يخاطبه ابو سفيان بن حرب في معركة احد سنة (٣) هـ . بقوله : ... اعل هبل ! اعل هبل ! فيجيبه اصحاب النبي : الله اعلى واجل ^(٥) .

وهو على ما يروي ابن الكلبي اعظم الاصنام التي نصبها قريش في جوف الكعبة ، وكان فيها بلغه من عقيق احمر على صورة انسان ، مكسور اليد اليمنى ، ادرسته قريش كذلك فجعلت له يداً من ذهب ^(٦) . ولهذا

(١) من ٦٦٠ ج ١ Enc. of Rel. and Ethics

(٢) النصرانية وآدابها ٩ - ١١

(٣) تاريخ ابن واضح يعقوبي ج ١ ص ٢٩٥

(٤) معجم البلدان ج ٤ ص ٩٤٩

(٥) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٤١٧ - ١٤١٨

(٦) الاصنام ص ٢٧ و ٢٨

يقول فنسك Wensink انه يمكننا ان ندعوه « إله مكة والكعبة »^(١) . وكان هبل موضوعاً على يبر في جوف الكعبة^(٢) ، وكانت هذه الير فيما زعم الازرقى تسمى الاخف وكانت العرب كما يقول تسميها الاخشف^(٣) ، وكان لهبل خزانة للقربان كما كان قربانه مئة بعير ، فاذا جاءوه بالقربان ضربوا القداح وقالوا :

انا اختلفنا فهب السراحا
ثلاثة يا هبل فصاحا
المئة والعذرة والنكاحا
والمرء في المرضى والصاحا
ان لم تقله فمر القداحا^(٤)

وسنرجع الى حديث القداح في الكلام عن المقامات الدينية فيما بعد . اما شعائره الأخرى فلا تقدم الينا معلوماتنا الحاضرة منها شيئاً ، وهو في الاصل اقرب الى ان يكون مؤلفاً آرامياً . والغريب انه لم يذكر في خلاف الروايات العربية الضئيلة الا في نقش نبطي ذكره على ما يقال مع ذي الشرى ومناة^(٥) . ويظهر لزيدان ان هبل من آلهة الفينيقيين او الكنعانيين ، وهو يرى ادلة على ذلك فيما يلي :

- ١ - قول العرب انه جاءهم من مؤاب بارض البلقاء .
- ٢ - ان لفظ هبل لا اشتاق له في العربية من معناه ، فهو غير مشتق من لفظ عربي ، وعندنا انه عبراني او فينيقي اصله « هبل » وهو اسم اكبر اصنام الفينيقيين او الكنعانيين ومن جاورهم ... وكان للفينيقيين

(١) ج ٢ ص ٥٩٦ Enc. of Islam .

(٢) السيرة ص ٥٤ .

(٣) اخبار مكة ص ٧٣ .

(٤) نفس المصدر ص ٧٤ .

(٥) ج ٢ ص ٣٢٧ Enc. of Islam .

عشرات الآلهة يميزون منها اثنين ، أحدهما ذكر « هبل » والثاني أنثى « عشتروت » . ومعنى بل في لسانهم السيد او الاله ، والهاء في العبرانية ادات التعريف مثل إل العربية ، فبإضافة هذه الأدوات الى بل يريدون الاله الاكبر . والظاهر انه حمل الى مكة بأسمه العبراني ، واما العين الزائدة فيسهل اهمالها بالتخفيف ثم ضياعها بالاستعمال وخصوصاً في لفظ بل ، لان الكلدانيين كانوا يلفظونه « بل » باهمال العين ، وهو اسم هذا الاله عندهم . وربما كان الموابيون يلفظونها هبل فتقلها عمرو بن لحي كما كان يسميها .

٣ - ان اساليب عبادة العرب هبل تشبه اساليب عبادة الموابيين هبل فقد كان الموابيون ينصبون هذا الصنم على التلال المرتفعة او سقوف البيوت ويدبحون له الذبائح من الحيوانات والادميين ويحرقون له المحرقات ويستخيرونه ويفضلونه على سائر آلهتهم ، وكذلك كان يفعل العرب هبل . وكما ان هبل اكبر اصنام العرب الموابيين ومن جرى مجراهم ، فهبل اكبر اصنام العرب ، وكانوا ينصبونه فوق الكعبة (١) .

وعلى شهرة هبل الواسعة ، لا توجد لدينا فكرة واضحة عنه ، ولعل ذلك راجع الى قلة الاخبار عنه وعن غيره من الآلهة ، بينما هذه القلة نفسها انما تبدىء في قسمها الاعظم بانتهاء عصور الوثنية ، اي في الوقت الذي لم يكن للرواة العرب انفسهم علم كاف بهذا الموضوع .

(١) انساب العرب القدماء من ٧١ - ٧٣ .

الباب الثالث عبادة النجوم

الفصل الاول : الصابئة - معرفة العرب بالنجوم

قديمة جداً هذه الفرقة التي آمنت بالله مخالقي ، واعترفت بالعجز عن الوصول الى جلاله الا بواسطة روحانية لا جسمية . والصابئون هم بالحقيقة - على رأي البيروني - المتخلفون من اسرى بابل الذين نقلهم مجتصر من بيت المقدس اليها . ولقد اعتادوا ارض بابل فأثروا المقام بها . ولما لم يكونوا من دينهم بكان معتمد ، سمعوا اقاول المجوس ، وصبوا الى بعضها ، فامتزجت مذاهبهم من المجوسية واليهودية ، وانتشروا في بلاد الرافدين ، على ان اكثريتهم سكنت سواد العراق (١) .

وقد دعا الباحث ذكر هذه الفرقة بين اولي الكتاب ، الى تقسيمها قسمين : مؤمن وكافر ، غير ان الكثير من اصحاب هذا التقسيم لم يروا ما رأى المستشرق كارادي فو من ان القسم الاول انما هو - على ما يظهر - مسيحيو يوحنا المبدعان في العراق ، وان الاسم نفسه صابئة مشتق من اصل عبري يقابل معناه كلمة Baptists اولئك الذين يمارسون « المعمودية » بالنفطيس . وهو يرى ايضاً ان الصابئة الوثنيين - الذين لم يعرفوا هذا الطقس الديني مطلقاً - قد يمكن ان يكونوا اتخذوا اسم

(١) ص ٣١٨ - الآثار الباقية عن القرون الخالية

« الصابئة » ليحفظوا بتسامح القرآن مع اولى الكتاب ^(١) . وليلاحظ ان البيروني قد سبق دي فو الى هذا الرأي الاخير فقال : « وقد يقع الاسم على الحرائية ... وهذا الاسم اشهر بهم من غيرهم ، وان كانوا تسموا به في الدولة العباسية في سنة ثمان وعشرين ومائتين ليعدوا في جملة من يؤخذ منه ويرعى له الذمة ، وكانوا قبلها يسمون الحنفاء والوثنية والحرائية ^(٢) » .

اما الشهرستاني فيقول في الملل والنحل : « وفي اللغة صبا الرجل اذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن نهج الانبياء قيل لهم صابئة ^(٣) » .

ويتحقق لبن العبري من مذهب الصابئة ، فيرى ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها ، وقبلتهم القطب الشمالي ^(٤)

وبما يجدر بالذكر ان مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين . ويفهم بالروحانيين ملائكة السماء . وهم يعتقدون ان للعالم فاطراً وپروت من الواجب عليهم معرفة العجز عن الوصول الى جلاله . فيتقربون اليه بالموسطات لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرأ وفعلاً وحالة ^(٥) .

فبالجوهر ، يعني ان الروحانيات من حيث جوهرها قد جبلت على الطهارة وفطرت على التقديس ، يتقرب اليها ويتشكل عليها . فهي اربابهم موآلتهم ووسائلهم وشفعائهم عند الله . وهورب الارباب وإله الآلهة ^(٦)

(١) من ٢١ م ٤ Enc. of Islam

(٢) من ٣١٨ الآثار الباقية

(٣) من ٩٥ ج ٢ - الملل والنحل

(٤) من ٢٦٦ تاريخ مختصر الدول لابن العبري

(٥) من ٩٥ - ٩٦ ج ٢ الملل والنحل

(٦) من ٩٦ ج ٢ نفس المصدر

وبالفعل ، قالوا ان الروحانيات هم المتوسطون في تصريف الامور ، يستمدون القوة من الله ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية . ومن هذه الروحانيات مدبرات الكواكب السبع السيارة . فالكواكب عندهم هياكل الروحانيات ، لكل روحاني هيكل ، ولكل هيكل فلك ، وتكون نسبة الروحاني الى ذلك الهيكل « اي الكوكب » الذي اختص به ، كنسبة الروح الى الجسد (١) .

واما حالة ، فاحوال الروحانيات في جوار رب الارباب لا يعصون الله ما امرهم (٢) .

وما دام لا يد للانسان من متوسط ، ولا بد للمتوسط من ان يرى فيُتوجه اليه ، لذلك فزعوا الى الهياكل (يعني السيارات السبع) يتعرفون على منازلها ومطالعها ومغارها وكل ما يتعلق بها من صفات وحرركات ، وسموها ارباباً آلهة ... فكانوا يتقربون اليها تقرباً من الروحانيات ، ويتقربون الى الروحانيات تقرباً الى الله ، لاعتقادهم بان الكواكب هياكل او ابدان الروحانيات (٣) . ولما كانت الهياكل تأفل فلا يرونها احياناً ، لذلك اتخذوا اشخاصاً اصناماً على مثال الهياكل (الكواكب) السبعة ... اذ لا بد لهم من صور واشخاص موجودة قائمة نصب اعينهم ليقدموا لها العبادات (٤) .

وهذا ما دعا البعض الى ان يفرق بين من عبد النجوم مباشرة وبين الذين عبدوا الاصنام التي تمثلها ، والحقيقة انه لا فرق بينها .. والظاهر انهم كانوا مع الكواكب السبع (الشمس والقمر والزهرة والمشتري والمريخ وعطارد وزحل) يعظمون للبروج الاثني عشر . فقد كانوا يعيدون لحول السيارة بيوتها ، وكذلك كلما استهل الهلال ، وحلّت

(١) ص ٩٧ ج ٢ نفس المصدر

(٢) ص ٩٨ ج ٢ نفس المصدر

(٣) ص ١٤٦ - ١٤٧ ج ٢ نفس المصدر

(٤) ص ١٤٨ ج ٢ نفس المصدر

الشمس برجاً من الابراج المذكورة (١)

معرفة العرب بالنجوم والظاهر ايضاً ان الصابئين قد نقلوا عن اساتذتهم الكلدانيين علوم الفلك فقد مر معنا ان مذهبهم كان عين مذهب الكلدانيين القدماء ، اولئك « الذين كانت لهم عناية بأرصاد الكواكب ، وتحقيق بعلم اسرار الفلك ، ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها (٢) »

ولما كان عرب الجاهلية على اتصال بسكان المناطق المتاخمة ، فليس بعيداً ان يكون شيء من علوم الفلك قد تسرب اليهم عن طريق الصابئة ، وهم من عرفهم العرب منذ القدم ، وكانت لهم فيما بعد نفس المنزلة التي كانت لأولي الكتاب ، كما انه ليس عجيبياً ان يندس شيء من عبادة النجوم بين تلك العلوم المنسربة

ونرى من البدهي ان معرفة العرب للنجوم لم تكن منقولة بكاملها عن الصابئة او غيرهم ، فقد كان لهم مذهبهم في الصور الفلكية ومواضعها من فلك البروج (٣) ويغالي ابن قتيبة فيزعم « ان العرب اعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها (٤) » ويجاربه بهذا الرأي ابن رشيقي الذي يقول ان العرب اعلم الناس بمنازل القمر وانوائها (٥) والبيروني ، بعد ان يرد على ابن قتيبة باسلوبه العلمي الرصين ، يعترف بانه كان لهم

(١) ص ١٢ ابن العبري و ص ٢٢٤ ج ٢ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب

(٢) ص ٨٢ ابن العبري

ويرى صروف في كتابه (بساط علم الفلك) ان اسماء البروج قد اقتبسها العرب عن اليونان ، واليونان عن الكلدان . ويقول : « ولو اكتفى العرب باسماء القديمة على ما كان يعرف اصحاب الأنواء ، ما وجدنا شيئاً من المشابهة بين اسماءهم واسماء الصور الساقية المعروفة في وقتنا هذا »

ص ١٠٤

(٣) ص ٣٨ عجائب المخلوقات للقرظيني .

(٤) ص ٢٣٨ البيروني

(٥) ص ١٩٦ ج ٢ المدة لابن رشيقي

ما لم يكن اغيهم ، وهو تخليد ما عرفوه او جدسوه حقاً كان او باطلاً بالاشعار والاراجيز والاسجاع المتوارثة (١) .

فاين ، إذن ، هذه الاشعار والاراجيز والاسجاع ؟ هذه الوثائق التي خلدت - على رأي ابي الريحان - ما عرفه العرب وما توصلوا اليه من علم الفلك والنجوم ؟ لقد ضاعت فيما ضاع من الآثار ، ولم يبق منها الا القليل القليل ، ومن هذا القليل نتأكد من انه كان للعرب اقوال في الكواكب ومطالعها ومساقطها وصورها واسماؤها وانوائها وما فيها من الامطار والرياح والحر والبرد ، وامارات خصب الزمان وجذبه . وهم - على رأي القزويني - في اقوالهم اقرب الى الصدق من غيرهم (٢) . ولا عجب إن مارسوا هذه الامور ، فطبيعتهم الصحراوية مكشوفة الى النجوم التي يمتدون بها في اسفارهم وحلهم وترحالهم ، ولقد جاء في الكتاب : « وبالنجم هم يمتدون (٣) » .

ومن ميزاتهم انهم اشتقوا اسماء الكواكب السبعة وغيرها من صفاتها كما نجد ذلك في معاجم اللغة (٤) . فالحنس الجوارى الكنس التي ذكرت في القرآن (٥) - وهي السيارة عدا النيرين - انما سميت خنسا لانها تسير في البروج والمنازل كسير الشمس والقمر ، ثم تحنس اي ترجع ، بينما يرى اخدها في آخر البروج ، واذا به يكر راجعاً الى الاول ، وسميت كنساً لانها تكنس اي تستتر كما تكنس الظباء (٦) .

ولا ندري ما الذي ادى بالعرب وغيرهم الى تسمية الكواكب باسماء

(١) ص ٢٣٩ البيروني

(٢) ص ٤٢ القزويني

(٣) القرآن الكريم سورة ١٦ آية ١٦

(٤) راجع ص ٣٨ - ص ٣٩ ، نهاية الأرب في فنون الادب لنوري

(٥) راجع القرآن الكريم ص ٨١ آية ١٦

(٦) ص ٩٥ ادب الكاتب و ص ٣٨٩ انوار التنزيل واسرار التأويل لبضوي

الحيوانات وغيرها من الاشياء الارضية ، فاننا لا نرى ثمة جملاً ولا ناقة ولا رجلاً ولا امرأة مهما أمعنا النظر في ليلة ظلماء او قمرء ؟! يقول القزويني انهم سموها بهذه الاسماء لمعرفتها ومعرفة خواصها (١) . ولربما كان ذلك راجعاً ايضاً الى ميل الانسان منذ البدء الى تشخيص ما فوق حواسه الخمس واحلاله محل الموجودات من انسان وحيوان ونبات وجماد ، تلك الاشياء التي تحفه من كل جانب . وقد مر معنا ان الصابئة انما شخصوا آلهتهم لتكون بينهم ونصب اعينهم حتى يتمكنوا من ان يقدموا لها ضروب العبادات . وكذلك القول في اصنام العرب . فلا بأس اذن من ان تكون تسمية الامم القديمة مجاميع الكواكب نوعاً من التشخيص المعنوي حتى يتمكنوا من تصورها في عقولهم .

ويظهر ان لصفات الكواكب المزعومة عند العرب اثرأ في اشتقاق اسم ذاك الفرقد وتلك الكوكبة . ولنأخذ « الثريا » مثلاً : زعموا ان في الطر عند نوّها الثروة (٢) . فليس بعيداً ، اذن ، ان تكون مشتقة من الثراء ... وفي لسان العرب : « والثريا من الكواكب سميت لغزارة نوّها (٣) » .. وفي العمدة لابن رشيّق : « سميت بهذا لان مطرّها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى (٤) » .

وللنوء شبه صلة بعبادة العرب للنجوم وتعظيمها . وایمانهم بالانواء دعاهم الى الاعتقاد باثرها في تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم .. وقد نسبوا ذلك الى الكواكب ، وقالوا ان التأثيرات متعلقة باجرام الكواكب وطلوعها وسقوطها (٥) . ومن امثالهم « أخطأ نوؤك » يضرب لمن طلب حاجته فلم يقدر

(١) ص ٢٩ القزويني

(٢) ص ٣٥ - ٣٦ القزويني

(٣) ص ١٢١ ج ٨ لسان العرب

(٤) ص ١٩٩ ج ٢ العمدة لابن رشيّق

(٥) ص ٣٣٨ البيروني

عليها . والنوء النجم يطلع او يسقط فيمطر ، فيقال مطرنا بنوء كذا ^(١) .
 « فالنجم اذا سقط فما بين سقوته الى سقوط التالي له هو نوء ، وذلك
 في ثلاثة عشر يوماً ، فما كان في هذه الثلاثة عشر يوماً من مطر او
 ريح او حر او برد فهو في نوء ذلك النجم الساقط ^(٢) » ، فان سقط
 ولم يكن مطر قيل خوى نجم كذا وكذا ^(٣) . ومنهم من يقول ان
 النوء على الحقيقة للطلع من الكواكب لا للغارب ^(٤) ومنهم من سمي
 تأثير الطلوع بارحاً وتأثير السقوط نوءاً . ولقد رجز بعضهم حساب
 النوء فقال :

والدهر ، فاعلم ، كله ارتباع	لكل ربع واحد ، اسباع
وكل سبع لطلوع كوكب	ونوء نجم ساقط في المغرب
ومن طلوع كل نجم يطلع	الى طلوع ما يليه اربع
من الليالي ثم تسع تتبع ^(٥)	

وينطبق هذا الرجز على حقيقة حساب النوء . جاء في العمدة : « السنة
 اربعة اجزاء ، لكل جزء منها سبعة انواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ،
 الا نوء الجبهة فانه اربعة عشر يوماً ^(٦) » .

ولما كان لا نوء في طلوع « بنات نعش » وسقوطها ، شبه شاعر بها
 معشره ، وقد اراد هجوم بان لا خير فيهم ، قال :

اولئك معشري كبنات نعش خوالف لا تنوء مع النجوم ^(٧)

(١) ص ٢٠٢ ج ١ - الامثال الميداني •

(٢) ص ٤٢ القزويني

(٣) ص ٨٨ ادب الكاتب، ص ٣٣٩ البيروني

(٤) ص ١٩٧ ج ٢ العمدة

(٥) ص ٣٣٩ البيروني

(٦) ص ١٩٦ ج ٢ العمدة

(٧) ص ٢٤٢ البيروني

ومن الانواء التي يعتبرها العرب شؤماً عليهم نوء « الدبران » ، ذلك الكوكب الاحمر المنير الذي خشيته العرب وتشاءمت به ، وزعمت انهم لا يمحطون بنوئه ، الا وسنتهم جدبة . ففي نوءه يشتد الحر وتهب السائم . وبما قيل في طلوعه : « اذا طلع الدبران ، توقدت الحزان ، وكرّهت النيران ، واستعرت الونان ، ويبست الغدران ^(١) » . فلا غرابة اذا ضربت العرب بشؤمه المثل ، فقالت : اسألم من حادي النجم - وهو اسم آخر له ^(٢) .

وسنرى أن هذا الكوكب الذي استدبر الثريا ، لم يكتف بان خشيه العرب بل عبده قوم منهم ، كما عبد آخرون غيره من الاجرام . فالعرب ، كما رأينا ، كان لهم معرفة بالفلك ، وكانت هذه المعرفة متفاوتة بينهم . « وقد قالوا ان اعلم العرب بالنجوم بنو مارية بن كلب وبنو مرّة بن همام بن شيبان ^(٣) » . كما كانت عبادة النجوم عند قوم اسد منها عند آخرين .

الفصل الثاني : الزهرة

يرى « أمير علي » في كتابه التقيّم « روح الاسلام » ان العرب قد عرفوا المذهبين الصابئي والمجوسي ، وقد اشار الى الحميريين بنوع خاص ^(٤) وكذلك « هومل » في الموسوعة الاسلامية يرى - معتمداً على النقوش - انه كان لعبادة النجوم في ديانة عرب الجنوب مكانة عظيمة ^(٥) ، غير ان هذه المكانة لم تكن محتصة بحمير وسياً . فقد ذهب بعضهم الى ان ديانة

(١) ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ج ٣ الآلوسي

(٢) ص ٣٦ ، ص ٤٣ - ٤٤ الغزويني

(٣) ص ٣٤١ البيروني

(٤) Ameer Ali : The Spirit of Islam IXVI

(٥) ص ٣٧٩ م ١ Enc. of Islam

العرب عموماً^(١) أو حتى ديانة الساميين بكاملهم ، انما كانت بالكلية مرتكزة على عبادة الاجرام ، السماوية . ولا يرى « تلذكه » ذلك ، وان اعترف بان العرب ، دونما ريب ، قد عبدوا الشمس وغيرها من الكواكب كما عبدوا مؤلفات اخرى لا تفسر بانها قوى غلوية^(٢) .

وفي حديثنا عن العزى قلنا انما الزهرة . وبما ذكره « نلينو » معتمداً على « وهوزن » اننا نستفيد من المؤلفين السريانيين واليونانيين من القرن الخامس والسادس للمسيح ، ان بعض العرب المجاورين للشام والعراق كانوا يعبدونها عند ظهورها . وكانوا يسمونها اذ ذاك العزى^(٣) . وكان « سمث » اوسع منها تعبيراً لعبادتها حيث يقول ان الكوكب « Venus » او « Lucifer » لم تكن إلهة قبلية ، وانما - كما نعرف من مصادر عدة - كانت معبودة عرب الشمال باجمعهم^(٤) .

وهنا ، وبهذه المناسبة ، نقول ان للكلدانيين درس السماء الاول . فقد زاولوا علم الهيئة قديماً ، ولم يسبقهم احد اليه . وكانوا قبل نجاحهم في علم الفلك نجاحاً يذكر : مولعين بعلم التنجيم لكشف اسرار الغيب ، وكانت هياكلهم موضوعة للمراقبات مع العبادة ، ويكفيهم انهم اول من اوجدوا خريطة للاجرام السماوية^(٥) . ولا بد ان يكون اعتقادهم في الكواكب اسماً لدرس السماء وما فيه ، فهم قوم من قديم الدهر كانوا « يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ، ويستحدثون الحوارق بواسطة تمزيج

(١) وقد ظن البعض - كما يقول المسودي - ان البيت الحرام نفسه من البيوت التي خططت لعبادة الكواكب السيارة السبع « مروج الذهب - ص ٤٧ ج ٤ »

(٢) ص ١٦٦٠ Enc. Rel.

(٣) ص ١٠٦ علم الفلك : تاريخه عند العرب في القرون الوسطى

(٤) ص ٢٨٢ R. Smith : Religion of the Semites

(٥) راجع ص ٤٣ : النجيم القويم في التاريخ القديم لهارفي بورتز و ص ١٤٧ ، ١٤٨ :

المصور القديمة لبراستد

القوى السهاوية بالقوى الارضية (١) .

ولقد كشفت اعمال الحفر عن كثير من المباني الكلدانية التي ابقت الدهور على بقاياها ، واشهر هذه المباني باب عشتروت الذي كان مكرساً لهذه الالهة . وهو البناء الوحيد في جميع بلاد بابل الذي تستحق بقاياه الذكر والاعجاب (٢) . هذه الالهة التي سماها الهنود مايا وبهافاني ، والفرس ميترا ، والفينيقيون عشتروت ، والاشوريون انابيتس ، واليونان والرومان فينوس . واصطاح العرب على تسميتها بالزهرة ، وفي القبطية بادخت - ولها اسماء اخرى عديدة تختلف باختلاف الامم التي عرفتها - انما كانت « في الميثولوجيا من اشهر المعبودات واقدمها لأنها إلهة الجمال والحب ، وكانت عبادتها قائمة باستباحة المنكرات وارتكاب القبائح الناشئة عن روح العشق في الطبيعة البشرية . ولذلك قد اشتهرت بعبادتها وانتشرت في اقطار الارض وشاعت بين الامم القديمة كل الشيع ، وكانت كل الامم تقيم لها المعابد وتحت لها التماثيل (٣) . وسبق لبابل ان مثلتها « وهي عشتار الساميين (٤) » امرأة حسناء غارية ، الا ان صورتها هذه لم تقتصر على بابل بل عمت العراق القديم وسوريا وفينيقية وفلسطين على انها إلهة الحب والفسق (٥)

ولا شك في تجاوز الزهرة الى اراضي هومر وفرجيل من السماء السامي مجالها وما تمتلك من صفات الاغراء . فهي ايضاً كانت بين الرومان إلهة الحب ، والحب الشهواني خاصة (٦) . كما كان اليونان يمثلونها امرأة

(١) ص ٣٤٢ - ٣٤٣ م ١ ، تفسير القرآن النيسابوري

(٢) ص ١٤٦ - ١٤٧ براسند

(٣) راجع ص ٢٨٥ م ٩ دائرة المعارف لبطرس البستاني

(٤) راجع ص ١٣٦ ، ٢٣٥ Lewis Spence F. R. A. I : Myths and Legends of Babylonia and Assyria

(٥) ص ٣٤٤ م ٥ S. H. Langdon : The Mythology of all the World (Semitic)

(٦) ص ١٢٣٩ م ٣ Smith : Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology

عريانة على صور شتى^(١)، ويحتفلون بعيدها ليلاً تحت اشجار الآس في ليالي الثلث الاول من شهر نيسان^(٢). فلا غرابة، اذن، في حمل الزهرة معاني البياض والحسن والبهجة عند العرب^(٣). وقد دعت، كما سماها المنجيون بالسعد الاصفر، لانها في السعادة دون المشتري، و اضافوا اليها الطرب والسرور والبهو^(٤). كما ان النظر اليها يوجب الفرح، وتخفف عن الناظر اليها احياناً حرارات العشق اذا كان عاشقاً، كما انها تثير غريزة الجنس. وهي عند الضجاع، اذا كانت جيدة الحال، اوقعت بين المتألفين من شدة الحب ما يتعجب الناس منه، وزعموا ان ذلك مجرب^(٥)!! . ولقد صورها الفن الميثولوجي الفارسي في الاسلام حسناء تعزف على العود^(٦). وجميل ما ذكره المفسرون بشأن كوكب الحسن او ملكة السماء، فهي لا تقتصر فتنها على بني الانسان، بل تمكنت من اغراء الملائكة، وبذلك غر على نوع رائع من الميثولوجيا لا نشك انه عرف شيء منه قبل الاسلام، وان كان محتملاً دخوله الى الجزيرة من اليهود عن طريق مباشر او غير مباشر^(٧). اما الحديث فسرده في تفسير الآية: «وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر، وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت^(٨)». وتتلخص قصة فتنة الزهرة لهذين الملكين فيما يلي:

لما وقع الناس من بعد آدم في الضلال، شرعت الملائكة تطعن في

(١) س ٩٦١ الباذة هوميروس لسليان البستاني

(٢) س ٢٨٧ ج ٩ دائرة المعارف البستاني .

(٣) راجع ص ٢٤٩ ج ٣ : تاج العروس للزبيدي وص ٤٢١ ج ٥ : لسان العرب .

(٤) ص ٢٢ القزويني .

(٥) ص ٢٣ القزويني .

(٦) ص ٥٠ Hackin and Others : Asiatic Mythology .

(٧) ص ٧٦ ج ١ انوار التنزيل للبيضاوي .

(٨) القرآن الكريم س ٢ آية ٩٦ .

اعمالهم ، فاراد الله ان يتلي الملائكة انفسهم ، فامرهم باختيار ملكين من اعظم الملائكة علماً وزهداً وديانة ، فاختاروا هاروت وماروت ، واهبطا الى الارض بعد ان رُكِّبَتَ بهما شهوات الانس ، وأمر الله ان يعبد الله ولا يشركا به احداً ، ونها عن قتل النفس والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من المعصيات .

وفي الارض عرضت لهما امرأة « وهي الزهرة وبالنبطية تسمى بيدخت » جميلة كالزهرة بين الكواكب ، فغلبت عليها الشهوة فاقبلت عليها وراوداها ، فابت الا ان يكونا على امرها ودينها ، واخرجت لهما صنماً يعبدانه ويسجدان له . فامتنعا ، وصبرا ردىاً ثم اتياها وراوداها على نفسها ، فابت ثانية واشترطت عليها احدى ثلاث : اما عبادة الصنم ، او قتل النفس ، او شرب الخمر ، فقالا كل ذلك لا ينبغي . ثم احتمدت بهما الشهوة فأثرا هون المطالب ، وهو شرب الخمر . فسقتها حتى اذا اخذت الخمر منها وقعا بالزهرة ! وهنا يمر بها انسان فيخشيان الفضيحة فيقتلانه ! ويشآن الصعود الى السماء بعد ان عرفا وقوعهما في الخطيئة فلا يستطيعان ، ويكشف الغطاء بينهما وبين اهل السماء فتتظر الملائكة الى ما وقع فيه من الذنب فيعجبون كل العجب ، ويأخذون بالاستغفار لمن في الارض من البشر !! ويروى انها طلبت منها تعليمها الكلام الذي يصعدان به الى السماء .. فعملماها ، وعرجت به الى السماء ... وهناك نسبت ما تنزل به فبقيت مكانها ، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل !!

واما هاروت وماروت فخيراً بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع ، فجعل الله يابل يعذبان منكوسين في بئر الى يوم القيامة ^(١) .

هذه الميثولوجيا لم تكن غريبة قط عن عرب الجزيرة ، والا لما اذا كان عبدالله بن عمر كلما رأى الزهرة لعنها وقال هذه التي قتلت هاروت

(١) ص ٣٤٣ - ٣٤٦ ج ١ تفسير الطبري و ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ج ١ التيسابوري

وملأوت^(١) . وما يروى عن نافع قال : سافرت مع ابن عمر ، فلما كان آخر الليل قال يا نافع انظر .. طلعت الحمراء .. واعادها مرتين او ثلاثاً . ثم قلت قد طلعت ، فقال : لا مرحباً ولا اهلاً ! . قلت سبحان الله نجم مسخر سميع مطيع ! قال : ما قلت لك الا ما سمعت من رسول الله ﷺ^(٢) .

فمن هذا الحديث .. ألا نستدل ، وقد تبين ان هذه الحرافة كانت معروفة للنبي - على ان هنالك بين عرب ما قبل الاسلام من كان يتداول قصصاً ميثولوجية ويعتقدها ؟ نعم ان لكل شعب عريق بالقدم - كالشعب العربي - ميثولوجيا خاصة ، وان كان لها اتصال رقيق او وثيق بميثولوجيا الشعوب القديمة الاخرى .

هذا ، وفي الكلام عن المقامات الدينية سنمر على صفات اخرى للزهرة او عزي العرب . هذه الالهة المجدودة التي كان من حب العرب والآراميين لها ما جعلهم يكثر من تقديم القرابين البشرية ارضاء لها^(٣) .

الفصل الثالث : الشمس والقمر

الشمس : أما وقد اطلنا الحديث عن كوكب الحسن ، فلنتقدم الى جرم سماوي هائل ، لا يقل - ان لم يزد - اهمية عن الزهرة في ديانة العرب ، والساميين عامة . هذا الاله الذي يستبد بالسماء نهاراً فتحتفي من امامه بقية الاجرام السماوية ، ونعني به سر الحياة او الشمس . والشمس ، مع الزهرة والقمر ، تكون الثالوث الالهي الرئيسي - كما يعتقد Langdon - (وهو من يقولون بان اصل الساميين من جنوب جزيرة العرب) أو الوحيد الذي ابتدأت به الديانة السامية الاولى . وثلاثته

(١) ص ٣٤٥ ١٦ تفسير الطبري

(٢) ص ٣٤٦ ١٦ تفسير الطبري

(٣) ص ٢٥ S. H. Langdon

كما نرى مؤلفات فلكية^(١)، وهو في اعتقاده هذا ، يعتمد على نقوش
 مينية ، وحضرية ترجع الى عهد الحضارات الجنوبية المندثرة .
 والظاهر ان عبادة الكواكب ما زالت بين عرب حير حتى هوّهم
 ذو نواس . ومن البراهين القديمة التي نستدل منها على عبادة اهل سبأ
 للشمس ، حديث سليمان والهدهد الذي جاء له نبأ لم يحط به . وهذه
 البراهين تتلخص بالآيات : « وتقعد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام
 كان من الغائبين ؟ لأعذبه عذاباً شديداً او لأذبحه او ليأتيني بسلطان
 ميين ، فكث غير بعيد ، فقال أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ نبأ
 يقين . اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم .
 وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان اعمالهم
 فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدون لله^(٢) ؟ » .
 وفي شرح كتب التفسير لتأويل هذه الآيات اخبار لا تخلو من فوائد
 وخاصة ما يتعلق باتصال سليمان بالملكة بلقيس .

ولم يقتصر تفديس ذلك الثالث السماوي على عرب الجنوب فقد كان
 يتحكم عند البابليين في منطقة البروج ، وهي في نظرهم اهم قسم من
 اقسام الكون^(٣) . وقد كانوا منذ القدم يعتبرون الآلهة - وخصوصاً
 الشمس - حماة العدل والقانون ، كما ظنوا انها تنتقم من الظالم والمجرم^(٤) .
 وكثيراً ما تنشر كتب التاريخ القديم صورة لتمثال حمورابي وهو يستلم
 دستوره قبل نحو من عشرين قرناً قبل الميلاد ، من الاله الشمس .
 ولا غرابة في عبادة الساميين للشمس . ونحن نعلم ان الساميين وغيرهم
 من الشعوب القديمة ، وكذلك الشعوب المتوحشة في جميع انحاء العالم

(١) ص ٢٥ نفس المصدر .

(٢) القرآن الكريم ص ٢٧ آية ٢٢ - ٢٥

(٣) ص ١٨٤ م ١ Enc. of Rel.

(٤) ص ٥٢ Carl Clemen : Religions of the World

قد عبدوا القوى الطبيعية التي لها تأثير ، او يظن بان لها تأثيراً في حياتهم . وكانت المؤلّهات عند الساميين تتألف كالانسان من جسد وروح فظاهر الشمس جسدها ، والروح او « البعل » في داخلها فهي شمس وإله معاً^(١) ، فاذا عبدوا القوى الطبيعية وشخصوها تدريجياً ، فلماذا لا يعبدون إله الشمس وهو سيد القوى ومانح غلال الارض من ثمار وجيوب وماليء مخازنهم بخيرات الحصاد ؟ هذا الاله لم يكن في العراق وحسب وإنما عمت عبادته سوريا وفلسطين^(٢) .

والظاهر أن عبادة الساميين للشمس ، او تمكّن هذه العبادة منهم لم تكن عريقة جداً بالقدم . ولربما اصطحبت مرورهم بالعصر الزراعي واستقرارهم في الاراضي الخصبة المنتشرة باطراف الجزيرة . ولا بد من الاشارة الى الاله « بعل » الذي عرف أيضاً بيطن الجزيرة ، في الواحات ومساقط الامطار التي كان يؤمها البدو انتجاعاً للماء والكلأ تارة ، وإيقاء بنذر ديني تارة اخرى . ومن المسلم به أن الشمس كانت بعل ، او اله اراض معينة ، كما كان القمر رب اور وحران وتدمر ، وكما كانت غيره من الكواكب ارباباً لاماكن اخرى^(٣) .

وقد عبد الشمس قبائل عربية عديدة في الجزيرة ، وشخصوها بضم وخصصوا لها هيكلًا كما كثر في بلاد العرب وجود الاسماء التي انتسبت لها كعبد شمس ، وامريء الشمس ، وعبد الشارق ، وعبد المحرق ، والاخير ، كما يتول نلدكه ، ربما دل على لقب او اسم آخر للإله الشمس^(٤) .

ولعبادة الشمس كما يستدل شيخو من A. Layard شواهد راقية الى الى القرن السابع قبل المسيح ، فان بين الكتابات التي وجدت في بابل كتابة

(١) ص ٢٢٨٥ Enc. of Rel.

(٢) ص ٢٥١ نفس المصدر

(٣) ص ٢٨٥ نفس المصدر

(٤) ص ٦٦٠ نفس المصدر

لتغلب لاسر يذكر فيها انتصاره على مدينة دومة الجندل وظفّره بملكته التي كانت كاهنة للاله شمس^(١). وبما يذكر عن الضم ذي الشرى ان اسمه كان يعني الاله المنير وقد أكد المؤرخ استرابون ان النبطيين كانوا يعبدون الشمس كما جاء لهيرودتس ان العرب كانوا يعبدون « اوروثال » وهي لفظة مركبة في اللغات الارامية من كلمتي « نور » و « علا » اي النور المتعالي وارادوا به الشمس^(٢)

ومن الشواهد الاخرى على عبادة العرب لهذا التير ما يذكره اصحاب المعاجم العربية ، يقول ابن منظور وشمس ضم قديم وعبد شمس بطن من قريش قيل سموها بذاك الضم^(٣) وقالوا ان شمساً ضم كانت لبني تميم وله بيت . وكانت تعبده بنو اذ كلها ، ضبة ، وقيم ، وعدي ، وثور ، وعكل وكانت سيدته في بني اوس^(٤) وكانت لقوم من عذرة ضم يقال له شمس^(٥) وفي تسمية العرب للشمس ، الالهة ، يرهان آخر على عبادتها وقد جاء في بيت شعريمة بنت ام عتبة بن الحارث - ويروى لغيرها - ذكر ذلك ، قالت :

تروحنا من اللعاء عصرا فاعجلنا الالهة ان تؤوبا

سموها الالهة تعظيما لها لانهم كانوا يعبدونها^(٦)

والظاهر ان العرب كانت تطلق « الالهة » على ما كانت تعبده في الجاهلية فهي كما اطلقت على الشمس كذلك اطلقت على الاصنام واللال^(٧).

(١) ص ٨ النصرية وآدابها بين عرب الجاهلية « القسم الاول »

(٢) ص ٩ نفس المصدر

(٣) ص ٤٢٠ م ٧ ابن منظور - لان العرب

القاموس ص ١٧٢ - ١٧٣ - تاج العروس م ٤

(٤) ص ٣١٩ م ٣ معجم البلدان

(٥) ص ٢٩٦ م ١ تاريخ ابن واضح البقوي

(٦) ص ٣٦٠ م ١٧ لان العرب

(٧) ص ٢٨٨ م ٢ القاموس

ولعل في نهى الرسول عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند الغروب حافظاً لنا الى الظن بان محمداً خشي ان يتشبه المسلمون بالمشركين فتعزى صلاتهم في هذه الاوقات الى تعظيم الشمس كما عظمها الجاهليون . قال عبد الله : سمعت النبي ينهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها (١) وروى عن عمر قال : ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون « اشرق ثبير » ، وان النبي خالفهم ثم افاض قبل ان تطلع الشمس (٢) .

القمر : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن » (٣) . آية نستدل منها على عبادة القمر ايضاً ، والطبري في تأويلها لم يشر الى رواية ما تفيدنا في هذا الخصوص . الا ان الزمخشري في الكشف يقول : « لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب . ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنهوا عن هذا الوسطة وأمروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى تحالفاً » (٤) . وعلى اي الوجوه فالتا نرى بها براهناً من بين البراهين - القليلة - التي تدل على وجود عبادة القمر بين العرب في جاهليتهم . ولقد اشرنا سابقاً الى ان القمر كان احد الاجرام السماوية الهامة التي ألقت الثالث الالهى الرئيسي ، او الوحيد في ديانة الساميين الاولى . واصبح عند البابليين الذين دعي عندهم بـ « سن » سيد الكواكب السيارة في السماء . وكانت له في « اور » و « حران » و « بابل » مراكز عبادة ، كما كانت سيناء واريحا مزارات مقدسة له (٥) . ولا نشك في وجود معابد اخرى مخصصة له في

(١) ص ١٩٠ م ٢ صحيح البخاري

(٢) ص ٢٠٤ م ٢ نفس المصدر

(٣) القرآن الكريم ص ٤١ آية ٣٧

(٤) ص ٢٨٩ م ٢ حاجي خليفة - كشف الظنون

(٥) ص ٢٤٨ م ٩ Enc. of Rel.

فما كن شئ... هذا النّير الذي يجب ان يكون قد لفت انظار الشعوب الفطرية بكاملها منذ البدء وادخل في عقليتها ان له تأثيراً شديداً في الكائنات وفي تصرفات الانسان وغيره من المخلوقات من حيوان ونبات وجماد . ذلك التأثير - كما اعتقد المنجمون فيما بعد - يختلف عند امتلاء القمر عنه عند نقصانه . بل هم يرون ان القوى الطبيعية تقوى بقوة القمر وتضعف بضعفه (١)

وهل اظهر لبديوي الجزيرة من القمر وخاصة في حالة اكتماله عندما يكون بدرأ يضيء له مضارب اقدامه في المهامه الموحشة ؟ البدوي الذي ما زالت السماء في حله وترحاله مكشوفة له بأجرامها وشبهها ، يسبح في عرضها القمر ، رامياً بأشعته الفضية قلب الصحراء حيث تمتزج برمالها العسجدية ، فتعكس في نفس ذلك البدوي أنوار الطمانينة ، وهو يحدو الابل في روعة ليالي الصحراء .

لا بد وان يكون القمر الهماً رئيسياً - كما كانت الشمس - لهذا البدوي الذي طالما ارتكزت ديانته على اسس فلكية علوية (٢) . نعم ليس لدينا نص صريح ينوّه بعبادة العرب للقمر الا ما جاء في القرآن ، وما يقال عن عبادة بني كنانة (٣) . فعلى ما يظهر ان الخطوط التي تشير الى عبادة القمر عند العرب قد طمست كما طمس الاكثر من آثار الوثنية العربية . غير ان من الثابت ان الحميريين وغيرهم من سكان الجنوب - كما ورد في نقوشهم - قد عبدوا القمر . والثابت ايضاً انه كان من الآلهة الرئيسية عند الصابئة ، اولئك الذين زعموا انه يستحق التعظيم والعبادة ، واليه تديبر هذا العالم السفلي ، وانخذلوا له صنماً على شكل عجل ، ويبد

(١) ص ١٩ - ٢١ القزويني

(٢) راجع صفحة ٥ Olmstead : History of Assyria

(٣) ص ٢٤٠ ج ٢ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب و ص ٩ النمرانية وآدابها

الضرم جوهرة ، يعبدونه ويسجدون له ^(١) . ونحن نعلم ان عرب الجنوب كانوا على اتصال دائم بعرب الشمال ، لا بل ان مستعمرات يمنية قد تأسست في غير مكان واحد من اواسط الجزيرة وشمالها ، كما كانت الطرق التجارية تخترق الجزيرة بكاملها من الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الغرب بما ادى الى الاحتكاك الشديد بين العرب على اختلافهم ... ونعلم ايضاً ان من العرب من صبا ، وقد اشرنا سابقاً الى ان هذا المذهب قد عرف في البلاد العربية قديماً .

واذا اتصل العرب بالعبرانيين ايضاً ، فقد شغلت عبادة القمر مكاناً كبيراً في ديانة هؤلاء الاقوام ^(٢) . كل ذلك مما يؤيد القول ان عبادة القمر كانت معروفة بين اعراب الجزيرة حتى ان بعضهم يزعم ان بنات الله الثلاث مائة واللات والعزى انما هي آلهات القمر ، فناة : القمر المظلم ، واللات : القمر المنير ، والعزى : الاثنان معاً ^(٣) .

وقبلاً ذكرنا ان الاسم « الألهة » اطلق على الشمس ، كما اطلق على الاصنام والقمر . وبعد ذلك كله نجد ان بين العرب من انتسب الى القمر كما انتسبوا الى الشمس فكان من احيائهم بنو قمر ، ومن بطونهم بنو قمر ^(٤)

الفصل الرابع : الدرر والثريا والشعويان

الدرر والثريا : ولم يكتف العرب بعبادة الشمس والقمر ، فانهم عرفوا كثيراً من النجوم والكوكبات وعبدوها . ولقد اكرموا زحل والجوزاء والجباز ^(٥) . وعبدت بنو لحم وجرم المشتري ، وبعض طيء

(١) من ٢١٦ ج ٢ الآلوبي

(٢) من ٢٥١ م ٩ Enc. of Rel.

(٣) Ameer Ali : The Spirit of Islam IXVI

(٤) من ١٣٣ م ١ قاموس

(٥) من ١٢ شيخو .

سهلاً^(١) ذلك النجم الذي اذا وقعت عين الجمل عليه مات لساعته^(٢) وبعض قبائل ربيعة المزم ، والمزيمان نجران مع الشعريين^(٣) ... كما قيل ان عطارده عبد بين عرب بني تميم^(٤) .

ومن جميل ما يزعمون - وهو من بقايا أساطيرهم الميثولوجية - ان القمر اراد أن يزوج الدبران من الثريا حينما خطبها ، فأبت عليه وولت عنه ، وقالت للقمر ما أضنع بهذا السرور الذي لا مال له؟! فجمع الدبران قلاصه يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت ، يسوق صداقها قدامه يعنون القلاص^(٥) . غير ان العيوق - وهو كوكب احمر مضيء يطلع قبل الجوزاء - عاق الدبران عن لقاء الثريا فسمي بذلك^(٦) . وقد أشار طفيل الغنوي - وهو من الفحول على رأي أبي الفرج ، ومن أوصف العرب للخيل^(٧) - الى وفاء الدبران بقلاصه حيث يقول :

أما ابن طوق فقد اوفى بدمته كما وفى بقلاص النجم حادياً^(٨)

والنجم في هذا البيت هو الثريا ، وهي كوكبان على كاهل الثور ، نيران في خلأهما ثلاثة كواكب جارت مجتمعة متقاربة كمنقود العنب ... جعلها العرب بمنزلة كوكب واحد وسموها النجم^(٩) . والبيروني يقول انها تصغير ثروى واصله من الثروة وهو الاجتماع وكثرة العدد . وزعم بعضهم

(١) ص ١٨٧ اديان العرب في الجاهلية .

(٢) ص ١٦ م ١ الميري : حياة الحيوان الكبرى .

(٣) ص ٢٤٠ ج ١ الآلوسي .

(٤) ص ١٠٦ نلينو : علم الفلك - تاريخه عند العرب في القرون الوسطى .

(٥) ص ٣١٢ م ١ الميداني : الاكتمال ، وهو نظم الأحسب المسمى « فرائد اللآل في جمع الأبطال » .

(٦) ص ١٥٣ م ١٢ لسان العرب .

(٧) ص ٨٨ م ١٤ الأغاني .

(٨) ص ٢٧٨ م ٢ لسان العرب « وفي القزويني ص ٣٥ : اما ابن عوف » .

(٩) ص ٣٥ القزويني .

انها سميت بذلك لأن المطر الذي يطر بنوئها تكون منه الثروة وهو الغنى ، وتسمى أيضاً النجم^(١)

وأما القلاص فهي صغار النوق التي يسوقها الديران صداقاً للثريا ، كما في الاسطورة وسمي الديران بذلك لانه دبر الثريا أي جاء خلفها ، ويقال له أيضاً الراعي ، والتالي ، والتابع ، والحادي^(٢) والمخدج^(٣) وهو النير الأحمر العظيم الواقع على عين « الثور » الجنوبية ومن أسمائه الفئق وهو الجبل الضخم ، والتي حواليه من الكواكب هي القلاص المذكورة^(٤)

هذا وكلا الكوكبين « الديران » و « الثريا » عد بين الاجرام المؤلفة في الجاهلية ، ولقد عظم الديران كثانة وقريش بجانب عبادتهما للغزى^(٥) . وعبد طائفة من تميم^(٦) . والظاهر ان عبادة العرب لهذا الكوكب كانت رهبة منه لا رغبة فيه فهو كوكب مشؤوم عندهم لا يمتطرون - على زعمهم - بنوئه الا وسنتهم جذبة ، ولهذا ضربوه مثلاً في النكد والشؤم فقالوا انكد من تالي النجم^(٧)

ولا غرابة في عبادة الانسان ما يكره احياناً ، وهذه العبادة تكون منبعثة عن رهبة من ظواهر الطبيعة المختلفة ومخلوقات الملعونة ، وقديماً عبد الساميون وغيرهم مخاوفهم^(٨) كما نسمع اليوم عن القبائل المتوحشة في اواسط افريقيا وغيرها ، وكيف ينجثون من حيوان شرس او افعى

(١) ص ٣٤٢ الآثار الباقية .

(٢) ص ١٩٩ م ٣ ابن رشي ، العدة في صناعة الشعر ونقده .

(٣) ص ٣٤٢ البيروني .

(٤) ص ٣٥ الآزوني .

(٥) Ameer Ali IXVI .

(٦) ص ٢٣٩ ج ٢ الآلوسي .

(٧) ص ٣١٢ م ٢ الميداني .

(٨) ص ٢٤٠ م ٩ Ene. of Rel.

قائلة فيقدمون لها مختلف العبادات ويسيطون انواع المراسيم .

اما عبادة العرب للثريا فصادرة عن اسباب تختلف كل الاختلاف عن اسباب عبادة الديوان ... قالوا اذا رأيت « الثريا » تدبر فتشهر نتاج وشهر مطر ، أي اذا بدأت للغروب مع المغرب فذلك وقت المطر ووقت نتاج الابل ^(١) . ولقد عبدها بعض قبائل طيء ^(٢) ونسب لها العرب الاسم « عبد الثريا » وقالوا « عبد نجم » وسبق ان ذكرنا ان النجم اسم آخر للثريا ... ولا غرابة في تأليههم « الثريا » وهي مانحة الغيث ، وللغيث شأنه في بلاد العرب ، « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ^(٣) .

الشعويان : « وانه هو رب الشعري » ^(٤) ... آية اخرى من الآيات التي تشير اشارة لطيفة الى عبادة الكواكب ، والى امكانية اعتبار هذا النجم معبوداً جاهلياً ، وان لم يقتنع نلذكه اقتناعاً كلياً بتفسير الآية حيث يستشف من خلال حديثه شكه في البرهان على عبادة الشعري ^(٥) .

يقول الطبري ان الشعري هو ذلك النجم الوقاد الذي يتبع الجوزاء . لجمده قوم من العرب في الجاهلية ، فلذلك قيل لهم أتعبدون الشعري وتتركون ربها ^(٦) ؟ ويقال ان بني قيس عيلان عبدوا الشعري ^(٧) . وعلى رأي الزمخشري ان خراقة كانت تعبد هذا الكوكب بعد ان سن لهم ذلك ابو كبشة . وهو من اشرافهم ^(٨) او كما يقول البيضاوي ، انه احد

(١) ٣٥٦ م هـ لسان العرب .

(٢) ص ٢٤٠ ج ٢ الآلوسي .

(٣) القرآن الكريم س ٢١ آية ٣١ .

(٤) القرآن الكريم س ٥٣ آية ١٠ .

(٥) Enc. of Rel. ١٢٦٠ م .

(٦) ص ٤١ ج ٢٧ تفسير الطبري .

(٧) Ameer Ali IXVI (٧)

(٨) ص ٣٦٣ م ٢ الزمخشري ، محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل .

اجداد الرسول خالف قريشاً في عبادة الاوثان وعبد الشعري^(١) . « وهو اول من عبدها ، وكان يقول الشعري تقطع السماء عرضاً ولا أرى في السماء شمساً ولا قرراً ولا نجماً يقطع السماء عرضاً غيرها »^(٢) . ولقد يرى « هس » I.Hess ان الشعري اجنبية وهي متخذة في لغتنا من اللغة اليونانية . ويرى بين براهينه على اجنبيتها كونها غير معروفة في بطن الجزيرة العربية فالعرب بدوا وحضرا - كما يقول - كانوا يدعونها المرزم^(٣) . ونها قيل في اصلها فالشعري قديمة في اللغة العربية . ذكرها القرآن كما رأينا ووردت في الشعر الجاهلي . وهذا الشعري لا يكفني بذكرها بل يشير الى صفة من صفاتها عرفها العرب من قديم ، الا وهي طلوعها في شدة الحر ، كما يذكرون ، وهو يقول في بيت جميل من لاميته المشهورة :

ويوم من الشعري يذوب الوابه أفاعيه من رمضائه تتامل^(٤)
والعرب تطلق اسم « الشعريين » على « الشعري العبور » التي في الجوزاء « والشعري الغميضاء » التي في الذراع^(٥) . وهي تزعم في اخبارها ان الشعريين اختا سهيل حيث كانت ثلاثتهم مجتمعة ، فانحدر سهيل فصار يمانياً ، وثبتعه الشعري اليمانية عابرة المجرة ، وبذلك سميت عبوراً . وهي ترى سهيلاً اذا طلعت فكأنها تستعبر ! اما الغميضاء فأنها أقامت مكانها وبكت على اثر عبور اختها وراء سهيل ، وذلك لفقدتها . وما زالت تبكي حتى غمضت فسميت الغميضاء^(٦) .

(١) ص ٢٩٥ ج ٢ البيضاوي .

(٢) ص ٦٥ ج ١ الديار بكري ، حين : تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس و ص

٢٩ القزويني .

(٣) ص ٣٧٦ م ٤ Enc. of Islam .

(٤) ص ٦٥ ، أعجب العجب في شرح لامية العرب للزختمري .

(٥) ص ٨٤ م ٦ لسان العرب .

(٦) ص ٣٢٩ م ٨ نفس المصدر .

ومما يلحق بهذه الاساطير قولهم ان سهيلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً ففسخه الله كوكباً^(١) وانه ركض الجوزاء فركلته برجلها فطرخته حيث هو . وضربها هو بالسيف فقطع وسطها ... كما ان « الجدي » قتل « نعشاً » فبناته تدور به تريد^(٢) . فهل يختلف ذلك عما كانوا يزعمون من اساطير الميثولوجيا عند اليونان وغيرهم وعما كان يقع بين آلهتهم من حوادث البشر امثال الزواج والحروب . فالعرب ، اذاً ، قد شخصت الاجرام السماوية ، وانزلتها منزلة البشر ، كما الهوها وعبدوها ، وان ضاعت اخبارها كما ضاع الكثير من آثار حياتهم الجاهلية وذلك لعدم تدوينها وحفظها للاجيال .

(١) ص ٣٨٤ م ٧ تاج العروس .

(٢) ص ٣١٢ - ٣١٣ م ٢ الميداني .

الباب الرابع

عبادات العرب الأخرى

الفصل الأول : تقديس الانسان والحوان والنبات

تقديس الانسان : لقد كانت مجتمع القربى عندهم اصل المجتمع الديني ، وكل واجبات القربى كانت قسماً من الدين ^(١) . ولعل في قصة الاصنام الخمسة ، اصنام قوم نوح ، اشارة الى هذا المعتقد ، الم يكونوا قوماً صالحين كما ذكرنا ماتوا فحنت صورهم وعبدوا ؟ وفي حديث موت عامر بن الطفيل برهان آخر على تعظيم الموتى بين عرب الجاهلية . قال ابو عبيدة : « لما مات عامر بن الطفيل بعد منصرفه عن النبي ﷺ » نصبت عليه بنو عامر انصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره لا ينثر فيه ماشية ، ولا يرمى ولا يسلكه راكب او ماش ، وكان رجل منهم يقال له حيان بن اسلمى غائباً ، فلما قدم قال : « ما هذه الانصاب ؟ قالوا : نصناها حمى لقبر عامر بن الطفيل ! فقال : ضيقم على أبي علي ! ان أبا علي بأن من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضل حتى يضل النجم ، وكان لا يبين حتى يبين السيل ^(٢) » .

فالعرب ، إذآ ، في تعظيمهم الرؤساء كانوا كشأن غيرهم ممن عظموا للملوك تعظيم العبادة مع فرق ما تستوجبه الحياة ومقتضياتها . وهم ، ما

(١) ص ٤٧ ، ٤٨ R. Smith : Religion of the Semites

(٢) ص ١٣٩ ج ١٥ الاغاني .

داموا غير مرتبطين ربطاً وثيقاً بالله ، ولا يجمعهم دين عام كما تجمعهم
 اواصر القبيلة التي كانت مثال العروة الوثقى بينهم ، فلماذا لا يعظمون
 ويقدسون سيدها او يزفونونه الى مكانة العبادة ؟ وكان من بين هؤلاء
 الاسياد من يصبو الى هذه المكانة . سئل ابن الطفيل ، وقد اسلم
 الناس ، ان يسلم فقال : « والله لقد كنت آليت ان لا انتهي حتي
 تتبع العرب عقبي فاتبع انا هذا الفتى من قريش ^(١) ؟ ! » .

ولقد عاصر عامر بن الطفيل رجل آخر قيل ان بعضاً من القبائل كانت
 تحج بيته . وهو الزبرقان بن بدر . ينقل الجارم عن السهلي قوله :
 « وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمام وثياب وينضح بالزعفران والطيب ،
 وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت ^(٢) » . وللزبرقان شاعر جميل - كما في
 الطبري - اسمه الحصين ويلقب بقمز نجد . وكان من اشراف بني تميم ،
 وهو القائل مفتخراً ومشيراً الى حج العرب بيته :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع ^(٣)

غير ان ما حدثنا به عن عمرو بن لحي وعن ابتداعاته الدينية في الجاهلية ،
 لأقرب الى ما نحن في صددده من تعظيم العرب رؤساءهم ، وتقديس
 زعمائهم . والازرق في كلامه عن هذا الكاهن يقول انه : « بلغ بمكة
 وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية ...
 وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب ، وكان قوله فيهم ديناً متبعاً
 لا يخالف ^(٤) » . على ان منهم من ذهب الى ابعد من ذلك فزعم انه
 صار « للعرب رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة ، لانه كان
 يطعم الناس ويكسوهم في الموسم ، وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف

(١) ص ١٣٧ ج ١٥ الأغاني .

(٢) ص ١٢٤ ادب العرب في الجاهلية .

(٣) ص ١٧١٢ - ١٣ ، ص ٢٣٥٨ ج ١ تاريخ الطبري .

(٤) ص ٥٨ اخبار مكة .

بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ^(١) . ولا عجب من بدوي ذي دين رقيق او غير ذي دين ان يؤله مثل عمرو بن لحي ... واذا اضفنا الى هذه الاسباب كهانة الخزاعي وانه كان لديه - كما ذكرنا - رأي من الجن ، كان ذلك كافياً لبدوي الجاهلية ان يضع مثل هذا الكاهن - وخصوصاً اذا كان زعيمة - موضع التقديس ، او يرفعه الى مكانة التأليه والعبادة .

تقديس الحيوان : ومن مبتدعات هذا الكاهن عدا تغييره دين ابراهيم - فيما يزعمون - ونصبه الاوثان ، انه كان أول من بحّر « البحيرة » وسبّب « السائبة » ووصل « الوصيعة » وحى « الحامي » ^(٢) .

« فالبحيرة » ابنة « السائبة » .

« والسائبة » الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة اناثاً ليس فيها ذكر سببت . فلم يركب ظهرها ولم يحز وبرها ، ولم يشرب لبنها الا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من انثى شقت اذنّها ثم خلّج سبيلها « وهي البحيرة » مع امها في الابل ، فلم يركب ظهرها ايضاً ، ولم يحز وبرها ، ولم يشرب لبنها الا ضيف .

« والوصيعة » ، الشاة اذا نتجت عشر اناث في خمسة ابطن ليس قيهن ذكر جعلت وصيعة ، قالوا : وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور بينهم دون اناثهم ، الى ان يموت منها شيء فيشتكون في اكله ذكورهم واناثهم .

اما « الحامي » فهو الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر . عندئذ يحمى ظهره ، ولا يحز وبره بل يخلّى في الابل يضرب فيها ولا ينتفع به بغير ذلك ^(٣) .

(١) ص ١٢ ج ١ السيرة الحلبية .

(٢) ص ٥١ السيرة لابن هاشم .

(٣) التفصيلات في تفسير الطبري ص ٥٣ ج ٧ وهناك اقوال لابن اسحاق وابن هشام لا تختلف

في الجوهر عما ذكرنا . ولتراجع في السيرة لابن هشام ص ٥٧ - ٥٨ .

ولربما تبع هذه الحيوانات المقدسة ما سرق من الماشية ، او ضل
 والتجأ الى حى إله من الآلهة العديدة ، حيث يتمتع بنفس الحرية التي
 تتمتع بها البحيرة وغيرها ، وهي تعد أحياناً من ممتلكات الآلهة (١) .
 وفي حديث مالك بن كلثوم مع سادن صنم طيء ، اشارة الى ذلك .
 فقد اطردها هذا السادن ، ويقال له صيفي ، ناقة لامرأة من كلب ،
 فخطبها لها جارها الشريف مالك بن كلثوم . فرد عليه السادن بقوله :
 انها لربك (٢) ! .

وفي سورة الانعام وردت آية حديثاً عن هذه الحيوانات المقدسة وما
 يرون فيها : « وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء ،
 يزعمهم ، وانعام حرمت ظهورها ، وانعام لا يذكرون اسم الله
 عليها (٣) » . والبيضاوي يقول ان معنى حجر « حرام » والمراد بمن
 نشاء « خدم الاوثان والرجال دون النساء » . والتي حرمت ظهورها هي
 « البعائر والسوايب والحوامي » وهم لا يذكرون اسم الله عليها « في
 الذبح » « وانما يذكرون اسماء الاصنام » (٤) . ومن المعلوم انه ورد
 في المائدة ما انكر عليهم اعتقادهم هذا وهو : « ما جعل الله من بحيرة
 ولا مائية ولا وصيلة ولا حام » (٥) .

ويظهر من حديث مالك بن كلثوم المذكور ان هذه الأبل المحرمة
 كانت تحل أحياناً ، فقد بوأ مالك للسادن بالرمح عندما قال له انها
 لربك ، واخذ الناقة ثم ارجعها حلالاً الى جارتها . ويروى انه أغير يوماً
 على أبل (لجرية بن اوس) واطردها غير ناقة فيها مما يحرم اهل

(١) ص ١٤٩ Smith : Religion of the Semites

(٢) اطلب الحديث في ص ٦٠ من كتاب الاصنام

(٣) القرآن الكريم ص ٦ آية ١٣٩ .

(٤) البيضاوي ص ٣١١ ج ١ .

(٥) القرآن الكريم ص ٥ آية ١٠٢ .

الجاهلية ركوبه . وذهب القوم في الابل غير تلك الناقة الحرام فانهم
أخرجوها ، وكرهوا ان تكون في الابل . وبلغ « جرية » الخبر فقال
لابن أخته : رد علي الناقة لعلي اركبها في اثر القوم ، فقال : انها
حرام . وعندئذ قال « جرية » : « حرامه يُركب من لا حلال له » ...
وركبها في اثر الابل فانقذها ، واصر قوله مثلاً (١) .

ولقد مر معنا الكلام عن غزالي مكة الذين اكتشفها عبد المطلب
في زمزم ، وعلينا ايضاً ان هنالك عدداً في قائمة الآلهة العربية يحمل
اسماء حيوانات كاسد ، وعوف ، واليعوب ، ونسر ... والاخير
- وهو طير - يذكرنا بتقديس العرب حمام مكة المحرم ... حتى
انهم اوجدوا هنالك إله دعوه « مطعم الطير » نصبوه على المروة ، كما
ان هنالك بين الاصنام ما كان يهدى له الشعير والحنطة (٢) .

والحقيقة ان معلوماتنا المبينة حتى اليوم على الروايات في هذا الشأن
خشيلة جداً ، فلا نكاد نعلم شيئاً عن ميزات تلك الحيوانات الدينية ،
وشعائرها ، على انه يتبين ان فكرة نزول هذه الحيوانات زبائن او ضيوفاً على
الآلهة لم تكن غريبة عن العقيدة العربية . وان اطعامها كان عملاً دينياً
في كثير من الانظمة الوثنية ، وخصوصاً في مصر حيث كانت حتى
الكلاب تعظم وتأكل أكلاً مقدساً . وهل أنوبيس الاله سوى كلب
مقدس (٣) ؟

لا ندري إذا كانت حيوانات العرب المقدسة في الجاهلية قد ارتفعت
الى مكانة هذا الكلب ؟ ! او الى مكانة عجل بني اسرائيل الذي ورد
ذكره في الكتاب ؟ « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً

(١) مراجع ص ١٩ امثال العرب للضي .

(٢) ص ٧٨ اخبار مكة .

(٣) مراجع ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . Smith : Religion of the Semites .

جسداً له خوار» (١). غير ان الجارم ينقل عن السهيلي من حديثه عن قدوم وفد طيء على الرسول ما ملخصه : خرج نفر من طيء يريدون النبي بالمدينة وفوداً ، فلما وصلوا عقلوا واخلطهم بقاء المسجد . ودخلوا فجلسوا قريباً من النبي حيث يسمعون صوته . فلما نظر اليهم قال : اني خير لكم من العزى ولانها ومن الجمل الاسود الذي تعبدونه من دون الله . وفي نفس المصدر حديث عن عمرو بن حبيب واغارته على بني بكر حيث أصاب سقياً كانوا يعبدونه من دون الله ، ونحره اغاظه لهم وأكله (٢) . فاذا صح ذلك ، كانت العرب قد ضربت في هذا النوع من الدين الطوطمي بسهم وافر .

والطوطم ؛ او الحيوان المقدس Totem لم يعد مطلقاً لغذاء إلا في حالات دينية استثنائية نادرة ، حيث تتعش حياة القبيلة وتتجدد باشتراكها مع الآلهة في قسمة هذا الحيوان . وسيأتي معنا انهم كانوا يتناولون لحم الغيرة بيننا يكتفي الرب بالروح او بالدم الذي يراق على رأس النصب او الصنم .

فالطوطمية Totemism قد عرفت -- كما يرى البعض -- بين بعض القبائل معتمدين على وجود افراد وعشائر دعوا باسماء الحيوانات ، والحقيقة ان العرب سميت باسماء الحيوانات كما سميت باسماء الطير والزواحف والموام فكان بينهم غنيس ، وحيدرة ، واسامة ، وهرثمة « بمعنى الاسد » وكان بينهم اوس ، وذؤالة ، ونهشل « بمعنى الذئب » وكذلك كثوم « الفيل » والخنش والاراقم « الحيات » . وكان من بينهم هوزة « القطة » والقظامي « الصقر » واليعقوب « ذكر الحجل » والهثيم « فرخ العقاب » وعكرمة « الحمامة » وكذلك جندب « الجرادة » والذير « أصغر النمل »

(١) القرآن الكريم س ٧ آية ١٤٧ ولتراجع س ٢ آية ٤٨ ، ٥١ ، ٨٦ ، ٨٧ وس ٤ آية ١٥٢ وس ٧ آية ١٥١ وس ٢٠ آية ٩٠ .
(٢) س ١٢٤ اديان العرب في الجاهلية

والعلس « القراد » والفرعة « القبلة » وغيرها (١) .

أما نحن فلا نعلم حتى اليوم علم اليقين لماذا سميت الافراد والقبائل بمثل هذه الاسماء وهذا لا نجزو على الحكم الجازم بوجود الطوطمية ، وان يرى القائلون بها حالات عديدة تؤكد هذا الوجود وتثبت ان الحيوان والرجل انما كانا اخوة بالدم (٢) . ولقد رد زيدان على هؤلاء في كتابه الصغير أنساب العرب (٣) فليراجع .

تقديس الثبات : ولم يكن تقديس الاشجار بين عرب الجاهلية باقل من تقديس الحيوانات ونخص بالذكر شجرة النخيل التي كانت تؤلف قواماً من مقومات حياتهم ، والتي لا بد ان تكون قد عبت (٤) وقدست لهذه الميزة .

وليس بعيداً ان ينشأ في بلاد اعظمها عظيم أجرد صحراوي ، شيء من تعظيم الاشجار والحج اليها في ظروف مباشرة وغير مباشرة ليؤدي لها نوع من العبادة والتقديس . ونعلم ان الواحات ومساقط الامطار التي كانت تساعد على ان تكون مراكز تجارية يوم كانت الصحراء قبل اجيال من الاسلام طريقاً هاماً للتجارة الشرقية ، لا بد وان تكون اماكن عبادة ايضاً يحج اليها من الاطراف . ويذهب Smith الى ابعاد من ذلك فيقول ان تقدم الشعائر الدينية لم يكن مديناً الى البدو الاقحاح ، وانما لهذه المستعمرات الزراعية والتجارية - من سامية ومينة وآرامية - والتي لا يفدها البدو إلا كحجاج يؤدون فرضاً دينياً او يوفون بنذر (٥) .

(١) يراجع ص ٧٠ - ٧٤ ادب الكاتب

(٢) ٢٥١ ج ٩ Enc. of Rel.

(٣) قبل قراءة زيدان يستحسن مراجعة :

R. Smith Kinship and Marriage in Early Arabia

(٤) ص ١٠٩ R. Smith : Religion of the Semites

(٥) ص ١٠٩ نفس المصدر .

واكبر دليل على تقديس العرب للأشجار حديث الخليفة الراشد ابن الخطاب في شأن شجرة الحديبية . فلقد بلغه - على ما ذكر ياقوت - ان الناس يكثرّون قصدها وزيارتها والتبرّك بها فخشي ان تعبد كما عبدت اللات والعزى ، فامر بقطعها وإعدامها فاصبح الناس فلم يروا لها أثراً . والشجرة هذه هي المعنية بالآية : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » (١) . ومن تفسير البيضاوي للآية يفهم ان هذه الشجرة كانت سمرة او سدرة (٢) .

وابن اسحاق في كلامه عن ابتداء وقوع النصرانية بنجران يقول : « واهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين اظهرهم لها عيد كل سنة اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ثم خرجوا اليها فحكفوا عليها يوماً » (٣) .

ولم تكن هذه العبادة لتقتصر على اهل نجران وغيرهم من سكّان الجنوب ، فقد جاء في السيرة أيضاً : « وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون اسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً » (٤) . وقال الحارث بن مالك الليثي ، وكان فيمن خرجوا مع الرسول الى حنين : خرجنا مع الرسول الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، فرأينا ونحن نسير معه سدرة خضراء عظيمة ، فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! فقال الرسول : الله اكبر ! قلتم ، والذي نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى

(١) القرآن الكريم ص ٤٨ آية ١٨ .

(٢) ص ٢٦٩ ج ٢ البيضاوي .

(٣) ص ٢٢ السيرة لابن هشام . وانظر تاريخ الطبري ص ٩٢٢ ج ١ .

(٤) ص ٨٤٤ السيرة لابن هشام .

اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (١) .

وكذلك حديثنا عن العزى لم يخل من الإشارة الى ان العزى كانت تعبد بشجرة مقدسة ، او كانت هي نفسها شجرة ...
ومن المفيد ان نشير لهذه المناسبة الى انه كان لعبادة الاشجار بين السريان الوثنيين مكانة عظيمة ، كما انها كانت عامة في بلاد اليونان الذين تحدثت اساطيرهم عن تحول الآلهة الى اشجار ، او عن نمو الشجر في دماء الآلهة (٢) .

وعلى ما يظهر ان تقديس الاشجار قد استمر شيء منه في بلاد العرب حتى ايماننا هذه . يأخذ سمث عن Doughty (٣) ان هذه الاشجار المقدسة تسمى عندهم « مناهل » ينزلها الملائكة او الجن حيث تسع فيها راقصة او مغنية ! ومن الخطورة بمكان عظيم ان يقطع ولو غصن صغير منها . وهي تعظم بتقديمهم لها الضحايا ، وتعليقهم قسماً من اللحوم عليها . وكذلك الحرز والمزق . وبما يذكر انها تشفي المريض اذا نام تحتها ، حيث يرشد وهو نائم الى طريقة يشعدها بها صحته (٤) .

الفصل الثاني : القول في جملة معتقدات

عود على بدء : في كلامنا عن عبادة الاحجار فيما سبق ذكرنا ان قسماً من العرب في الجزيرة كان يدين بشريعة ابراهيم التي تلقوها من ابنه اسماعيل ... ذلك النبي الذي اعطى للعرب الحجازيين اسمه ونشر بينهم دينه حيث آمنوا بالله الواحد ، وبالبعث ، وقاموا بالفرائض وتعظيم البيت والعمره والحج اليه والطواف به . والسعي بين الصفا والمروة

(١) ص ٨٤٤ السيرة لابن هشام . راجع اخبار مكة ص ٨٢ - ٨٣

(٢) ص ١٨٦ ، ١٩١ Religion of the Semites .

(٣) ص ١٤٤٨ Travels in Arabia Deserta .

(٤) ص ١٨٥ - ١٨٦ Rel. of the Semites .

والوقوف على عرفة ومزدلفة وهدي البدن والاهلال وغير ذلك من المناسك الدينية . وحري ان يفكر عبادة الاحجار من كان مثل الخنيفة دينه وان يأنف من تجسد الاله في صخر اصم .

ثم قلنا ان كلا من الديانتين اليهودية والنصرانية قد عرف في الجزيرة قبل الاسلام بكثير ، وأشرنا الى وجود افراد بين العرب انفسهم كانوا على شيء من البصيرة في الاديان على ما يظهر ، فاعترفوا بوجود الله وسفها عبادة الاحجار وإن لم يعرف عنهم انهم كانوا على دين .. وتخلصنا بعد ذلك كله الى حديث الحجارة المؤلفة من اصنام وأوثان وانصاب ، وأفضنا بشرح الكثير من آلهة العرب قبل الاسلام .

على اننا اذا رجعنا الى القرآن نستفسره عن شأن عبدة الاصنام ، افدنا ان قسماً كبيراً منهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله تعالى : « والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » (١) ، وفي اخرى : « وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (٢) . وقد مر معنا كيف ان قريشاً كانت تطوف بالكعبة وتقول : واللث والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ، فانهن الفرانق العلى ، وان شفاعتن لترجى .

والآيات التي تثبت إيمانهم بان الله خالقهم وخالق السموات والارض وانه مدبر امور الكون ، كثيرة . وعليه نرى ان هذه المعتقدات حجة بيد من قالوا ان العرب كانت على دين اسماعيل ثم سلخ بهم الى عبادة الحجارة طول الامد والبعد عن زمن النبوة ، ونزوحهم عن مكة وانتشارهم في البلاد . وعظيم الاحتمال - إن كانوا كذلك - ان لا يؤدي بهم الحدثن الى نسيان كل ما كانوا عليه . فقد عبدوا الاصنام ، وفيهم بقايا من عهد اسماعيل وابراهيم يتنسكون بها .

(١) القرآن الكريم س ٣٩ آية ٤ .

(٢) القرآن الكريم س ١٢ آية ١٠٦ .

انكار الرسل : وكما اشرك عبّاد الاصنام بالله آلهة اخرى ، كذلك جحد الكثيرون ارسال الرسل . وكيف يكون هذا النبي او ذاك مرسلًا من عند الله ، وهو بشر مثلهم يأكل ويشرب وينام ؟! ان البدوي بما يؤثر عنه من صعوبة الانقياد وضعف الشعور الديني - بالنسبة الى كرامته الفردية والقبلية - والتفاني في الحرية الشخصية ، ليصعب عليه الانصياع الى رجل مثله يطلب منه الطاعة التامة ، وهدم الكثير مما كان عليه من المعتقدات والعادات اجيالاً ، وليجدر به ان يجحد ارسال مثل هذا الرجل!! فهو يستصغر نفسه ان يُبعث اليه بشر رسولاً .. فإِما Superhuman وإِلا فلا ! وقد جاء في القرآن : « وما منع الناس ان يؤمنوا إِذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشراً رسولاً » (١) .. « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً . او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » (٢) .

انكار البعث : وكذلك انكروا البعث . فان عقلية البدوي البسيطة لم يكن بوسعها ان تؤمن بحياة اخرى ، وخيالهم لم يتسع الى تصور نشر جديد بعد ظلمة القبر وفناء الجسد بمواد الارض وصيرورته هيولى جديدة . وقد ورد شيء في اشعارهم يشك بالبعث ، قال شداد بن الاسود اللبي من قصيدة يرثي بها مشركي قريش يوم بدر ، وكان نفسه قد اسلم ثم ارتد :

مخبرتنا الرسول بان سنحيى . وكيف حياة اصداء وهام (٣)
وفي هذا الشك يقول شاعر جاهلي :

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يام عمرو (٤)

(١) القرآن الكريم س ١٧ آية ٩٦ .

(٢) القرآن الكريم س ٢٥ آية ٨-٩ .

(٣) س ٥٣٠ - ٥٣١ السيرة لابن هشام .

(٤) س ١٦٥٢٧ محيط المحيط لبطرس البستاني و س ٧٦٣٥٧ دائرة المعارف لبطرس البستاني .

وقال الكتاب على لسان هؤلاء القوم : « أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون . او آباؤنا الاولون » (١) . ولعل في حديث الهامة واعتقادهم بها شيئاً من الاعتقاد في التناسخ وتنقل الارواح . ولقد انكر الرسول عليهم معتقدهم بها فقال في حديث له : لا هامة ولا عدوى ولا صفر (٢) . أما من كان على دين في الجاهلية ، فلا يعتقد ان البعث حديث خرافة ، بل يؤمن بالله واليوم الآخر . وهذا امية بن أبي الصلت يذكر الجنة والنار فيقول في قصيدة :

هما فريقان فرقة تدخل الجنة حفت بها حدائقها
وفرقة منهم قد ادخلت النار فساءتهم مراقفها (٣)

عبادة الجن والملائكة : هذا ، ولم يكنف العرب بالدين الفثسي : بعبادتهم مواليد الطبيعة من انسان وحيوان ونبات وجماد ، بل امتد اعتقادهم الى ما فوق الطبيعة فعبدوا الجن والملائكة . وشاهد ذلك ما جاء لابن الكلبي في قوله : « وكانت بنو مليح من نخزاعة - وهم رهط طليحة الطلحلت - يعبدون الجن » (٤) . وفيهم نزلت الآية : « ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين » (٥) . وقد نزلت آيات كثيرة في الجن وعبادتها ، منها : « بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون » (٦) . « وجعلوا لله شركاء الجن » (٧) . « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من

(١) القرآن الكريم س ٣٧ آية ١٦ ، ١٧ وانظر س ٣٧ آية ٥١ وس ٥٦ آية ٤٧ - س ٢٣ آية ٨٤ .

(٢) س ١٦٦ ج ٧ صحيح البخاري .

(٣) س ٢٢٥ ج ٢ البداية والنهاية .

(٤) س ٣٤ كتاب الامنام .

(٥) القرآن الكريم س ٧ آية ١٩٣ .

(٦) القرآن الكريم س ٣٤ آية ٤٠ .

(٧) القرآن الكريم س ٦ آية ١٠٠ .

الانس» (١) . وفي غيرها مع روايات تفسيرها اخبار لا تخلو من فائدة .
وكذلك ما يذكرون في تفسير الآية : « وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن » (٢) .

وأما عبادة الملائكة فشاهدها قول قرشي للرسول : « نحن نعبد
الملائكة وهي بنات الله » (٣) . وقال تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم
يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون » (٤) . « ويوم يحشرهم وما
يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضلتم عبادي ام هم ضلوا السبيل » (٥) .
ونكتفي بهذه الآيات شواهد على عبادة الملائكة . وسنرجع الى
الحديث عن الملائكة والجن فيما بعد . ولقد مررنا بعبادتهم النجوم ،
واعتقادهم بها كما اعتقدوا بالجن والملائكة قوى فائقة الطبيعة . وهم في
عبادتهم لهذه المخلوقات اما طوعاً لانها تدبر - على زعمهم - حركات
الكون وتدبر شؤون العالم ، واما كرهاً لخوفهم من غضبها او من
الارواح الشريرة . ومن الجن والعفاريت من يلقي الرعب حتى في نفوس
الكثيرين من رجال اليوم !

الظواهر الطبيعية : ولقد تلقي ظواهر الطبيعة الرهبة في النفوس
ايضاً فتعبد . وما يروى ان قسماً من العرب قد عبد البرق . وهم -
كما في السيرة - بنو عدي ، انما سمو ببارق لانهم تبعوا البرق (٦) .
ويمتنع المطر فتقدم انواع الشعائر لاستنزائه . يقول لامنس : « وكذلك
القول عن صلاة الاستسقاء وعن الميزة او الكرامة التي اختص بها بعضهم
من استنزال المطر زمن الجذب ، وهي ميزة يبررها عادة كون صاحبها

(١) القرآن الكريم س ٦ آية ١٢٨ .

(٢) القرآن الكريم س ٧٢ آية ٦ .

(٣) س ١٨٩ السيرة لابن هشام وأنظر كذلك س ٢٣٧، ٢٣٦ .

(٤) القرآن الكريم س ٣٤ آية ٣٩ .

(٥) القرآن الكريم س ٢٥ آية ١٨ .

(٦) س ٦٧ السيرة لابن هشام .

يحفظ بيت القبيلة وقتها ، ولبيت والقبه مركزها الاسمي في هذه الادعية الحافلة « (١) .

وقد جاء في البخاري عن عبيد الله سمع ابن عباس يقول : « خلال من خلال الجاهلية الطعن في الانساب ، والنياحة ، ونسي الثالثة . قال سفيان : ويقولون انها الاستسقاء بالانواء » (٢) . وترى في الآلوسي شيئاً من عاداتهم في الاستسقاء اذا أجذبت الارض وأمسكت السماء (٣) .

ومن المفيد هنا ان نشير الى ان منهم من نهى في الاسلام عن اضافة « قوس » الى « قزح » . روي عن ابن عباس قال : لا تقولوا قوس قزح فان قزح اسم للشيطان . ولكن قولوا قوس الله (٤) . ويفهم من ياقوت ان قزح كان اسماً يطلق على جبل قرب المزدلفة (٥) بالحجاز . وجاء بالفيروز ابادي ان قزح اسم ملك موكل بالسحاب (٦) . فهل نستبعد ان يكون قزح الها من بين آلهة العرب العديدة ؟ وليس غريباً ان يكون اله العواصف ، فهو وان لم ترده شعائره - على رأي « نلدكه » - حيث فقد جميع مميزاته على ما يظهر في اواخر العصر الجاهلي ، الا انه كان قد عبده الادميون من قبل (٧) .

هذا ، ولا يعجب الانسان ان يكون للمطر - وهو سر حياتهم - اله جدير بالعبادة . وعلى ذلك نرى Smith يعتقد بان النيران التي كانت توقدها قریش في المزدلفة (٨) انما كانت نيران الاله قزح المقدسة (٩)

(١) مجلة المشرق ٣٧ م ع ٢ ص ٢٣٨ .

(٢) ص ٢٢١ ج ٤ صحيح البخاري .

(٣) ص ٣٠١ ج ٢ الآلوسي .

(٤) ص ٨٦ ج ٤ معجم البلدان وص ٩٠ ج ١ نهاية الأرب لنوري .

(٥) ص ٥٢٠ ج ٤ معجم البلدان .

(٦) ص ٢٦٤ ج ١ القاموس لفيروز ابادي .

(٧) ص ٦٦١ ج ١ Enc. of Religion .

(٨) يراجع ص ٨٥ ج ٤ معجم البلدان وص ٦٦٩ ج ١ Enc. of Rel. .

(٩) ص ٣٤٢ Religion of the Semites .

النار : وتقودنا نار الاله قرح الى الاشارة بان عبادة النار لم تكن مجهولة لدى بعض اعراب الجزيرة . فقد عبدها اناس فيها وهم على رأي الآلومي - أشأت من العرب ، ربما سرى اليهم ذلك من الفرس والمجوس ^(١) . ويقول ابن قتيبة ان المجوسية كانت في قم ، ويذكر اسماء بعض من كانوا يدينون بها ^(٢) . وفي كتاب الحيوان للجاحظ تفصيلات ومعلومات عن النار ، وكذلك في نهاية الأرب للنويري حديث عام في النار ، واسماؤها وعبادها وبيوتها بما لا حاجة لنا به ، الا ما جاء على ذكر نيران العرب العديدة . ولا نشير هنا الا الى ثلاث منها وهي : نار الاستسقاء ، ونار التحالف ، ونار الحرتين .

كانوا يشعلون مواد نباتية سريعة الاحتراق ، يعلقونها باذنان البقر بعد ان يصعدوا بها الى جبل وعر . وكان هذا العمل ، في زعمهم ، سبباً من اسباب نزول الغيث . هذه هي نار الاستسقاء التي كانت تصطبج بضجيج من الادعية والتضرع .

واما الثانية ، وهي نار التحالف ، فكانوا لا يعقدون حلقتهم الا عليها . يطرحون فيها الكبريت والملح . وما جاء في « أيمان العرب في الجاهلية » قال ابو عبيدة : « كانوا في الجاهلية الاولى اذا تحالفوا وتعاهدوا ، اوقدوا ناراً ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم . وعددوا منافع النار ودعوا على ناقض تلك البين ، والناكث لذلك العهد ، بجرمان تلك المنافع ، ويتصافحون عندها ، ويقولون : ، الدم الدم والمهدم المهدم ، والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم ، والمهدم اسم البناء المهدم ، اي فما هدم لكم من بناء او شأن فقد هدم لنا ، وما اريق لكم من دم فقد اريق لنا ، يلزمننا من خسرتم ما يلزمننا من نصره انفسنا .

(١) ص ٢٣٣ ج ٢ الآلومي .

(٢) ص ٢٩٩ كتاب المعارف لابن قتيبة . « وقد قال العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب في البحرين » ص ٤٣٨ ج ١ الكامل في التاريخ لابن الأثير .

وعبروا على استعمال ذلك يتوارثونه ، الى ان اتى الله تعالى بالاسلام ،
 وكان الخلف بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الانصار ، فقال
 صلوات الله وسلامه عليه لهم : ، الدم الدم والهدم الهدم .
 وربما دنوا من النار حتى تكاد تمحشهم ، او تكاد تحرقهم . ويهولون
 بها على من يستخف بحقوقها ، ويتوعدونه بحرمان منافعها ومرافقها ،
 وفي ذلك نكد العيش وحرمان الحياة .
 ويسمون الرجل القيم بامر تلك النار « المهول » وقد ذكرته
 الشعراء ، قال الكمي : :

كهولة ما اوقد المحفون لدى الحالفين وما هولوا

وقال اوس بن حجر ، وذكر عيرا قائماً فوق نشر :
 اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف .
 وكان من شأنهم اذا تحالفوا ان يغمسوا ايديهم بالدم « (١) » .
 غير ان نار الحرتين التي اطفأها خالد بن سنان « (٢) » كانت على ما يظهر
 احفل نيران العرب كلها بالخرافات . وهي في بلاد عبس . زعموا انه
 كان يخرج منها عتق فسيح مسافة ثلاثة او اربعة اميال ، لا تمر بشيء
 الا احرقته .. الى ان كان من امر خالد بن سنان ما كان حيث اخذ
 من كل بطن من بني عبس رجلاً وخرج بهم نحوها ، وقد خرج منها
 عتق كأنه عتق بعير ، واحاط بهم فقالوا : هلك والله اشياخ بني
 عبس آخر الدهر . فقال خالد كلا ! وجعل يضرب ذلك العتق ويقول :
 « بَدْءٌ بَدْءٌ ، كل هدي الله يؤدي ! انا عبد الله خالد بن سنان » فما
 زال يضربه حتى رجع وهو يتبعه والقوم معه كأنه ثعبان يتملك حجارة
 الحرة حتى انتهى الى قلب ، فانساب فيه فدخل عليه خالد ، فقال ابن
 عم له : لا اوى خالداً يخرج اليكم أبداً ... فخرج خالد ينطف عرقاً !!

(١) ص ٢٩ - ٣١ ايمان العرب في الجاهلية وراجع ص ٦ - ٣ الحيوان للجاحظ .

(٢) راجع ٢٧٠ - ١ الكامل في التاريخ .

وفي هذه النار يقول الشاعر :

كنار الحرقين لها زفير تضم مسامع الاجل السبع^(١)
ولا عجب بهذه الخرافة عندهم ، فقد زعم بعض البربر النازلين بمصر
ان خالد بن سنان هذا كان نبياً ، وكانوا يزولون بالفسطاط بمصر على
كعب بن يسار بن ضبة العبسي ، ويعظمونه زاعمين ان اياه هو خالد
ابن سنان المذكور الذي بعث اليهم^(٢) . وما يروى عن خالد هذا انه
قال لما حضرته الوفاة : اذا دفتنوني فاحضروا بعد ثلاث فانكم ترون
بعيراً ابتر يطوف بقبري ، فاذا رأيتم ذلك فانبشوني ، اخبركم بما هو
'كائن الى يوم القيامة' . ويؤمنون ان بنته لما قدمت على النبي سمعت :
'قل هو الله احد' ، فقالت : كان أبي يتلو هذه السورة ! وأكثر من
ذلك ما رووا ان النبي قال عنها : هذه بنت نبي ضيعه قومه ، وبسط
لها رداءه^(٣) .

وكانت في اليمن فيما يزعم اهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون
فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم^(٤) فهل بعد هذا شك في مكانة
النيران وتقديسها بين بعض العرب في الجاهلية ؟

وحديث النار يدعوننا الى الاشارة الى المحرق . وهو على رأي باقوت
حنم كان بسلطان لبكر بن وائل وسائر ربيعة . وكانوا قد جعلوا في كل
حي من ربيعة له ولداً^(٥) . وهذه الرواية هي التي دفتت 'ولهوزن'
الى الاعتقاد بأن ضحايا بشرية كانت تقدم للنيران في الجزيرة . وقد
شك 'نلدكه' في ذلك^(٦) . والعرب سميت باسم هذا الصنم ، وكان

(١) من ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠ : ج ١ التويري .

(٢) من ١٩٣ ج ٣ معجم البلدان .

(٣) من ٢٧٨ ج ٢ محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني .

(٤) من ١٧ السيرة لابن هشام .

(٥) من ٤٢٥ ج ٤ معجم البلدان .

(٦) من ٣٦٤ R. Smith. Religion of the Semites

عمرو بن هند يدعى محرقاً . يقول الضبي لأنه أحرق اليمامة (١) . ولا
غربة في تسمية ابن هند بالمحرق ، فقد روى أبو الفرج أنه أقسم على
إثر حادثة ليحرقن مائة رجل من بني حنظلة ، فأمر بجفر الحدود وأضرهم
فيه النار ورمى بها أولئك المساكين (٢) .

(١) ص ٦٨ أمثال العرب للضبي .

(٢) ص ١٢٩ ج ١٩ الأغاني .

الباب الخامس

المقامات الدينية

الفصل الأول : تحفظ وتمهيد - مكة والكعبة - الركن والمقام

عجبات العرب - الحمى - البدنة - القداح

تحفظ وتمهيد : قبل أن نلتبس شيئاً من مناسك العرب الجاهلين ، يجب ان نبدأ بتحفظ طالما نردد ذكره فيما نكتب من تاريخ العرب قبل الاسلام ، وخصوصاً حينما تنصدر للناحية الدينية منه ، ونعني بذلك قلة المآخذ الوثيقة ، وضيق صدر الروايات الاسلامية بهذه الشؤون . وبما يجمل الإشارة اليه ذكر مقطع ورد لابن قتيبة ، وقد كلفه احدهم ان يكتب اليه رسالة بالميسر والقداح ، قال :

« وقد كلفت ، رحمك الله ، شططاً ، وحاولت عسيراً ، لان الميسر أمر من امور الجاهلية قطعه الله بالاسلام . فلم يبق عند الاعراب إلا التبد منه اليسير ، وعند علمائنا إلا ما أدى اليهم الشعر القديم ، من غير ان يجدوا فيه اخباراً تؤثر او روايات تحفظ . والشعر يضيق بالاوزان والقوافي عما يتسع له الكلام المنثور . على انني لم اجد في اشعارهم شيئاً على جلالته وعظيم نفعه هو اقل منه ، انما يعرض في شعر الكثيرين من ذكره البيتان والثلاثة . وأكثرهم يضرب عنه صفحاً . وليس ذلك مذهبهم في وصف الابل ، والحير ، والنعام ، والطباء ، والقطا ، والفلوات ، والحشرات . ولم اجد فيهم أحداً انهج بذكر القداح من ابن

مقبل ثم الطرمّاح بعده . ولو جمعت ما في شعر احدهما من ذكره لم تجده بعشر ما فيه من وصف حمار او بعير (١) .

والكلام نفسه لا ينطبق على الميسر والقдах فحسب ، وانما ينطبق على امور الجاهلية (والدينية خاصة) بنوع عام . وليس الميسر كما قال ابن قتيبة . إلا امراً من امورها . وكما جد الرجل وجمع كتيباً في الميسر والقдах ، كذلك نحاول ان نجد شيئاً نلفت النظر اليه لعله يفتح لغيرنا من تلاميذ الموضوع آفاقاً تهديهم الى تدييج رسالات اوسع نجاً وأدق تمحيصاً وأعم فائدة .

هذا ، ولا شك في ان مكة وما حولها من اماكن الاستقرار كانت في الحجاز منذ القدم محجات للعرب يفدونها من كل صوب في مواسم معينة من السنة ، اعتادوا ان يقيموها تبادلاً للمصالح المشتركة بينهم . وكانت لهذه المواسم اسباب هامة في سيادة اهل الحجاز ، وخاصة قبيلة قريش ، في كثير من الامور . كانتشار لغتها وعاداتها ومناسكها التي كانت تقدمها الى اصنامها وحجارتها المؤهلة . يقول اليعقوبي :

« كانت العرب اذا حجت البيت فرأت تلك الاصنام ، سالت قريشاً وخزاعة فيقولون نعبدها لتقربنا الى الله زلفى . فلما رأت العرب ذلك اتخذت اصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنماً يصلون اليه تقرباً الى الله » (٢) .

والظاهر انه كان لهم اعياد كثيرة منها زمنية كايام مسراتهم وافراحهم لتصرّتهم على عدو ، وظفرهم بخصم ، وهذا يكون عند قبيلة دون اخرى ومنها مكانية واهمها ما كان يقام فيما ذكرنا من المدن حيث كانت مناة - كما في احوال العرب - لاهل المدينة ، واللات لاهل الطائف ، والعزى لاهل مكة . ولهذه الاماكن الثلاثة كانت تشد الرحال فيقصدها العرب ويعظمونها كتعظيم الكعبة . وكان لها سدنة يقومون بخدماها ،

(١) ص ٣٠-٣١ الميسر والقдах لابن قتيبة .

(٢) ص ٢٩٥ ج ١ تاريخ ابن واضح اليعقوبي .

وخصوصاً حيناً يجتمع عبادها فيطوفون بها وينحرون عندها^(١) .
ويكاد لا يخلو كتاب من الكتب الاولى وغيرها مما ذكر شيئاً عن
الوثنية العربية ، من الاشارة الى ان العرب - بدواً وحضراً - كانوا ،
مع تعظيمهم للاضنام يعترفون بفضل الكعبة عليها لأنها - كما يرددون
دائماً - بيت أبيهم ابراهيم .. ومن هذه الاشارة نفهم انهم يجمعون -
تقريباً - على القول بانتشار الخيفية - وقد مر حديثها - في بلاد
العرب .. ولا نعلم تماماً اسباب حرصهم على هذه الفكرة . والظاهر ان
النسب الرئيسي « اسلامي محض » يميل الى اسناد ما هو متفش من الفضائل
بين العرب الجاهليين الى الدين الخيفي القديم .. الى « الفكرة الاسلامية »
التي كانت قبل الاسلام .. الى اسماعيل وابراهيم . والحقيقة اننا لا
يسعنا ان نرى - كما ترى تلك الكتب - هذا الانتشار الواسع من
تلك التعاليم ، وتلك الفكرة الممثلة بالشعور بالله واحد اعلى . وإلا
كيف نفسر هذا العناء الذي قابلت به العرب نبهم في اوائل الدعوة
وذاك النزاع الذي اشتعل عليه صدر التاريخ الهجري ؟ بل كيف نؤول
الآية : « اجعل الآلهة لهم واحداً ان هذا لشيء عجاب »^(٢) . فالتوحيد
لا بد ان يكون قد اقتصر على القليل بالنسبة الى الاكثوية الوثنية
المطلقة . ومما ذكره امير علي في حديثه عن بنات الله ان عبادة هذه
الاضنام كانت بالدرجة الاولى ، تمثيلاً للقوة المولدة في الطبيعة . وهي
تشبه في ميزاتها ديانة الساميين القدماء والفينيقيين والبابليين . على ان
اكثوية الامة ، وخصوصاً القبائل التي تنتسب الى الشعب المصري ، عكفت
على نوع بسيط من الدين الفثسي ، فكانت الحيوانات كالفراخ والحسان
والجمل ، والنباتات كالنخيل ، والمواد غير العضوية كقطع الصخور
والاحجار .. تكون الاشياء الرئيسية للعبادة . وقد وجدت فكرة الاله

(١) ٣٤٦ - ٣٤٧ ج ١ الآلوسي .

(٢) القرآن الكريم س ٣٨ آية ٥ .

الاعلى بينهم ، إلا ان تأثيرها كان مقصوداً على اقلية ضئيلة تخلصت من عبودية الوثنية متأثرة بتعاليم من جاورها من السبائين ، واليهود والنصارى (١) . وقد اتخذت مؤلفات العرب الحجرية اشكالاً مختلفة - كما ذكرنا - منها ما كان ينقل ، ومنها ما بقي مكانه حيث اكتشف ثابتاً في صخرة ، ومنها - كالجبر الاسود - ما كان يحاط ببنية صغيرة ، إذ لم تكف عبادة إحاطته بالاحجار (٢) .

هذه البنايات المقدسة امثال رضى ، والقليس ، وكعبة نجران ، وسنداد ، ورثام ، وبيت العزى [وبعضها مسيحي] . ظالماً حاول اصحابها ان يضاهاوا بها الكعبة او حرم مكة الذي قدسته العرب على مختلف قبائلهم ومعتقداتهم ونزعاتهم . ولما كانت لمكة هذه المكانة السامية في قلوب العرب الجاهليين [وفي عقيدة العالم الاسلامي فيما بعد] ، وجب ان نأتي عليها بشيء يجاري ما نحن بشأنه في بحثنا هذا .

مكة والكعبة : لا تكاد مكة تتخلص من ضباب الاساطير والخرافات إلا على عهد النبي حوالي سني ميلاده ، اي في النصف الاخير من القرن السادس للميلاد . ونحن اذ نحاول سرد حديث عنها وعن الكعبة ، انما يهنا تلك الروايات التي ترجع بما تدور حوله الى ما وراء هذا التاريخ . وبكلمة نعالج اخباراً تكتنفها الخرافة من كل جانب ، وإذا شئت فقل اننا في غمار الحديث عن مكة الاسطورة .

فنحن لا ندري الى اي زمن يرجع بنا تأسيس مكة على وجه الضبط ، غير انه لا يستبعد ، بل يكاد يكون واقعياً ، وجودها قبل المسيح بعشرات او مئات من السنين !؟ اما اذا جاز لنا ان نأخذ الاسطورة التي تنسب تأسيسها الى مضاض بن عمرو الجرهمي ، صهر

(١) تراجع كتاب The Spirit of Islam IXVI-IXVII

(٢) ص ١٨ H. Lammens : Islam : Belief and Institutions

إسماعيل ، كانت مكة عندئذ في عالم الوجود قبل التاريخ المسيحي
بآلاف !

ولربما كان بطليموس الجغرافي أقدم من أشار الى مكة في التاريخ ،
والظاهر انه كان يعرفها باسم مكورابا Macoraba ^(١) . ويقوت في معجم
البلدان ينقل عنه تحديدها طولاً وعرضاً بالدرجات ^(٢) . ومن ذكر
بطليموس لها نستنتج انها كانت بلدة عامرة في القرن الثاني للميلاد ، على
انها يجب ان تكون كذلك قبل هذا التاريخ بكثير .

ويظن الدكتور Snouck Hurgrunje ^(٣) انه ربما كان نبع ماء زمزم
في واد غير ذي ماء ، سبباً في إيجاد المكان المقدس هناك ^(٤) وذلك لا
يستبعد لما كان للواحات ، ومساقط الامطار في الجزيرة الصحراوية
الكبيرة من الاثر في حياة البدوي المادية والروحية . ولقد ذكر الكتاب
ذلك الوادي على لسان ابراهيم حينما وصل ومعه هاجر واسماعيل الى
الحرم ، والتفت فلم ير احداً ، فقال : « ربنا اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ^(٥) .

والقصة تتفق وظن الدكتور شنوخ ، ونجيب ابراهيم على دعائه : فتد
ترك ابراهيم زوجته وولده :

« فاستد عليها الحر . فرأت هاجر في موضع بثر زمزم شجرة ،
وعلفت عليها ثوباً يظلها من حر الشمس ، ونقد ماء الكوز الذي كان
معه ، وعطشا ، فلم تدر هاجر ما تصنع . وكانت تبعد نحو الصفا

(١) ص ٤٣٧ م ٣ Enc. of Islam

(٢) ص ٦١٦ م ٤ معجم البلدان .

(٣) له كتاب ضخمة (Me'ka) في ٣٩٣ صفحة طبع سنة ١٨٨٨ .

(٤) ص ٥٨٦ م ٢ Enc. of Islam

(٥) القرآن الكريم س ١٤ آية ٤٠ .

مرة ، ونحو المروة اخرى في طلب الماء ، وهي تقول الهنا لا تهلكنا عطشاً ، فهبط عليها جبريل وبشرها بالنجاة . فانصرفت الى اسماعيل وهو يبحث الارض باصبعه فنبعت عين زمزم ، فخرت ساجدة لله تع . ثم جمعت الحصة حوله لثلا ينشر الماء ، وقالت له زمزم ، فسمي بذلك ، فلو انها لما فعلت ذلك لساح الماء على وجه الارض شرقاً وغرباً ، فمكثنا هنالك حتى اقبلت قافلة من اليمن تريد الشام فرأوا طيوراً عاكفة على هاجر وولدها ، فتعجبوا من ذلك وقالوا ان الطير لا يأوي إلا على ماء والعمارة ، فأقبلوا ووجدوا هاجر واسماعيل على عين ماء عذب ، وقالوا لها من الانس انت ام من الجن ؟ فقالت : أنا هاجر جارية ابراهيم خليل الله ، وهذا ولدي منه ، وهذا المعين أخرج الله لولدي . فقالوا : ان حضرننا باهالينا وسكننا هناك مؤنسين لك ، فهل تمنعنا عن الماء ؟ فقالت : انه الله يشربه خلق الله . فرجعوا واحتملوا اهلهم ومواسيهم ونزلوا الحرم ^(١) .

وقد مر معنا حديث زواج اسماعيل من امرأة لهذه القبيلة ، وبنائه البيت مع والده ، وليس في مكة يومئذ بيت مشيد ، وتعلم جبريل لها المناسك كلها ، واستقبال ابراهيم القبلة الخ . فمكة اذاً حسب هذه القصة لا بد وان تكون نتيجة لاستقرار تلك القبيلة التي نزلت بزمزم جيراناً لاسماعيل وامه .

على ان الاخبار لا تكتفي بذلك ، فقد جاء بها : « ان اول ما خلق الله في الارض مكان الكعبة ، ثم دحى الارض من تحتها ، فهي سرّة الارض ووسط الدنيا وأم القرى » ^(٢) . ولربما رجعوا بخلق مكة الى خلق الله السموات فزعموا انه « وجد على حجر فيها كتاب فيه أنا

(١) ص ١٤٣ قصص الانبياء .

(٢) ص ٢٧٩ م ٤ معجم البلدان .

الله رب مكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر « (١) ..
وكيف لا وقد بنتها الملائكة لأول مرة قبل آدم ، لا بل قبل خلق
الارض باربعين عاماً ؛ واذا شئت فبالفي عام (٢) ، وذلك حينما اراد
الله ان يجعل خليفة في الارض ، فأجابته الملائكة « أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء » (٣) . وغضب عليهم فمادوا بالعرش ، وطافوا
سبعة أطواف ؛ واسترضوا ربهم فرضي وأمرهم ان يبنوا له بيتاً في
الارض يعوذ به من سخط عليه من بني آدم ، فبنوه حلال البيت
المعمور - الذي هو تحت العرش - وعلى قدره ومثاله . وأمر من في
الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور (٤) .
بهذا يفسرون : « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً
وهدي للعالمين » (٥) .

وكانت الملائكة تحججه قبل آدم (٦) ، فلما اهبط الى الارض اشتد
حزنه . وبكائه ، فمزاه الله بحجة من خيام الجنة ووضعها له بمكة في
موضع الكعبة ، وانزل لها الركن كرسياً لآدم . وهما ياقوتتان من
ياقوت الجنة ... وقد حرس الملائكة لآدم خيمته ، وذادوا عنها
ساكن الارض ، وساكن الارض يومئذ من الجن والشياطين . فمن اجل
الملائكة ومقامهم حرّم الحرم حتى اليوم ووضعت اعلامه حيث كان
مقام الملائكة . وقد حرم الله على حواء دخول الحرم لحطيطتها في الجنة .
حتى إذا ارادها آدم خرج بها من الحرم كله (٧) .

(١) ص ٦١٩ م ٤ نفس المصدر «والكتاب على رأي ابن اسحاق بالريانية البيرة ص ١٢٤» -

(٢) ص ٢٣-٢٥ الإعلام بأعلام البيت الحرام للنهر والي .

(٣) القرآن الكريم ص ٢ آية ٢٨

(٤) ص ١٠٠ ج ١ تاريخ الخميس ويراجع معجم البلدان ص ٢٧٩ م ٤

(٥) القرآن الكريم ص ٣ آية ٩٠ ،

(٦) ص ٢٨١ م ٤ معجم البلدان ، ص ١٣ اخبار مكة

(٧) ص ٨ - ٩ اخبار مكة

ثم بنى آدم اساس الكعبة بعد ثور ما بنته الملائكة حتى ساوى وجه الارض ، وعلى هذا الاساس وضع البيت المعمور الذي انزل من السماء^(١) فكان اول من اسس البيت وصلى فيه وطاف به^(٢) .. ولما مات آدم وزفت خبيته التي عزاه الله بها بنى بنوه مكانها بالطين والحجارة بيتاً لم يزل معبوراً حتى كان زمن نوح ، فنسف الغرق ، وغير مكانه^(٣) . وفي رواية لم يسه الطوفان بل رفعه الى السماء سبعون الف ملك ، وبقيت قواعده حتى ان الماء لم يصل الكعبة بل قام حولها .. وبقيت هي معلقة في الهواء الى السماء^(٤) ، وان سفينة نوح طافت بالبيت أربعين يوماً ثم وجهت الى الجودي^(٥) .

وكان الناس يحجون الى مكة والى موضع البيت قبل ابراهيم^(٦) حتى بوأ له الله مكانه^(٧) ، بعد ان اوحى اليه ببناءه . وكان يومئذ في الشام (وقيل في ارمينية) عندما اقبل على البراق يتبع السكينة وهي ريح هفافة - اي ساكنة طيبة - لها وجه يتكلم ، وجناحان ، [وفي رواية اخرى هي ريح حجوج لها رأسان شبه الحية يتبع احدهما صاحبه] ومعها ملك يدها على موضع البيت^(٨) .

ويروى انه لما أراد ابراهيم بناء البيت عرج به الى السماء . فنظر الى مشارق الارض ومغاريها ، وقيل له اختر ، فاختر موضع مكة ، فقالت الملائكة : يا خليل الله اخترت موضع مكة وحرم الله في الارض .

(١) ص ٢٧ النهر والى .

(٢) ص ٧ اخبار مكة .

(٣) ص ٢٨ - ٢٩ النهر والى

(٤) ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ج ١ تاريخ الحميس

(٥) ص ٢٠ اخبار مكة

(٦) ص ٢٨٠ م ٤ معجم البلدان .

(٧) راجع القرآن الكريم ص ٢٢ آية ٢٧ .

(٨) ص ١١٢ - ١١٣ ج ١ تاريخ الحميس .

فبناه ، وجعل اساسه من سبعة أجيال (او خمسة او أربعة) ، وكانت الملائكة تأتي بالحجارة الى ابراهيم من تلك الجبال (١) .

ثم انهدم بناء ابراهيم ، فبنته العاقلة من بعده . ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم الى ان كان زمن قصي وولايته أمر البيت فجمع نفقته ، وهدم الكعبة ثم بناها بنياناً لم يبن مثله من بناها قبله احد .

وقيل ان امرأة جرمت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترق اكثر اخشابها... ودخلها سيل عظيم فصلع جدرانها فهبت قريش تجدد بنيانها (٢) .

وهنا نكاد نتكلم حفظك لولا بعض المشروبات ، فقد بلغ رسول الله اذ ذاك خمسا و ثلاثين سنة حينما اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ... وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فاخذوا خشبها ... وكان بكه رجل قبضي نجار فبها لهم اصلاحها ، الا انهم كانوا يهابون هدمها ، ويخشون افعى كانت تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح بها ما يهدي لها كل يوم ، فتتشرق على جدار الكعبة لا يدنو منها احد الا اجزألت وكشت وفتحت فاها ... ويأتي طائر غريب فيختطف الحية ، وبذلك يرضى الله عما أرادت قريش ، فقد كفاهم امر هذه الآفة وهياً لهم العامل والحشب ، فيجمعون اهرم في هدمها وبناءها... ويتناول احدهم من الكعبة حجراً فيثب من يده الى مكانه ، فيقول : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بناءنا من كسبكم الا طيباً . لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلة احد من الناس . وبدأ الوليد بن المغيرة يهدمها ، فتربص الناس تلك الليلة وقالوا لننظر ، فان اصاب لم نهدم منها شيئاً ، فلم يصبه شيء ، فهدم الناس معه ... حتى اذا انتهى بهم الهدم الى اساس ابراهيم ، افضوا الى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها ببعض ... وقد

(١) ص ٢٨١ م ٤ معجم البلدان ، ص ١٣ اخبار مكة

(٢) ص ٤٣ ، ص ٤٩ - ٥٢ النهر والي

ادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين ليقلع احدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة باسرها فانتهوا عن ذلك الأساس .. وبعد ان تذكر السيرة الزوايات التي تزعم ان كتباً وجدت هناك - وبعضها بالسريانية - يقول ابن اسحق ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها حتي بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى (١) ثم تكمل القصة كما هو معروف من احتكامهم الى اول داخل عليهم ... وكان الامين .

الركن والمقام هذا الحجر الاسود الذي اختصت على وضعه مكانه قبائل قريش ، لا يشك البعض في كونه بقية صارخة من عبادة الاحجار . ويرى ولهورن ان الكعبة انما تدين بقداستها لهذا الركن ، ويعقب فنسك على ذلك بقوله ان ذلك ممكن لان ديانة العرب القدماء ، انما كانت قائمة بجوهرها على عبادة الحجارة (٢) ومن المعلوم ان الحجر الاسود لم يكن الحجر المقدس الوحيد في الكعبة ، فقد وجد بها اصنام واوثان وانصاب كثيرة بينها الـ « ٣٦٠ » مثلاً ، كما ان مقام ابراهيم كان منذ القدم حجراً مقدساً (٣) قال تعالى « واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامناً ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » (٤)

وليس بعيد ان يكون الركن والمصلى « المقام » قطعتين من تلك الاحجار البركانية التي يحال الى الناس انها اجسام سماوية ، ولربما كانا كذلك اي من بقايا نيازك متساقطة ، وعلى هذا الاساس كان تقديس العرب الوثنيين لها ، وعبادتها ، كما قدسوا النجوم وعبدوها وليس غريباً ايضاً ان

(١) ص ١٢٢ - ١٢٦ السيرة ، ص ١٠٧ - ١٠٩ اخبار مكة

(٢) Enc: of Islam ٢ م ٥٩١ - ٥٩٠

(٣) ص ٢ م ٥٩١ نفس المصدر

(٤) القرآن الكريم ص ٢ آية ١٢٥

تكون الاخبار المتأخرة - كما سنرى - مبنية على هذا الاساس . فقد ظل وما زال الركن والمقام من مقدسات العرب بعد الاسلام . ولا نحتاج الى القول بان تناهي المسلمين عن التحدث عن الوثنية بعد ان غفوا على آثارها وازالوا من الوجود في التاريخ وفي الادب كل ما يتصل بها ^(١) كان سبباً في طمس ما يتعلق بهذين الحجرين من مميزات وطقوس جاهلية ... اما الروايات الاسلامية عنها فكثيرة ومختلفة ، غير انها اجتمعت على تقديسها في الاسلام ، ولا تكفي الاخبار بتقديسها فحسب ، بل هما في الاصل « ياقوتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما . ولو لم يطمس نورهما لأضآ ما بين المشرق والمغرب » ^(٢) . وعن ابن عباس قال : « ليس في الارض شيء من الجنة الا الركن الاسود والمقام ، فانها جوهرتان من جوهر الجنة ، ولولا ما مسها من اهل الشرك ، ما مسها ذو عاهة الا شفاه الله » ^(٣) . لا بل ينسبون الى النبي حديثاً قاله لعائشة ، وهي تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن :

« لولا ما طبع على هذا الحجر يا عائشة من ارجاس الجاهلية وانجاسها اذا لاستنفي به من كل عاهة ، واذا لالفي كهية يوم انزله الله ، وليعيدنه الله الى ما خلقه اول مرة . وانه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة ، ولكن الله غيره بمعضية العاصي ، وستر زينته عن الظلمة والائمة لأنهم لا ينبغي لهم ان ينظروا الى شيء كان بدوؤه من الجنة » ^(٤) .

والحجر الاسود كان أيضاً في الابتداء ملكاً صالحاً ^(٥) وسيأتي مع المقام يوم القيامة .. كل واحد مثل ابي قيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة ^(٦) .

(١) راجع ص ٤٣ حياة محمد لهيكل

(٢) ص ١٠٠ ج ١ تاريخ الخميس

(٣) ص ٢١٢ م ٢ معجم البلدان

(٤) ص ٣٠٣ م ١ نهاية الارب في فنون الادب

(٥) ص ١٠٣ ج ١ تاريخ الخميس

(٦) ص ٣٠٤ م ١ نهاية الارب

ومن الاخبار ما يجعل حجارة الارض التي من الجنة ثلاثة بدل اثنين.
قال محمد بن علي : « ثلاثة احجار من الجنة : الحجر الاسود ، والمقام ،
وحجر بني اسرائيل » (١) .

اما الحجر الاسود ، فكما ذكره ياقوت ، في مقدار رأس الانسان (٢) .
وقد قيل ان القرامطة اقتلعوه سنة ٣١٧ هـ حينما وافى بهم ابو طاهر
القرمطي مكة فنهبوا اموال الحجاج وقتلوه ، وذهبوا بالحجر الى هجر ،
وبقي عندهم اكثر من عشرين عاماً ، ثم حملوه الى موضعه (٣) . وقد
حدثني من رآه ان به نقرة كبيرة لما مر عليه من لمس وتقبيل اثناء
استلامه عند الطواف طيلة هذه الاجيال التي مرت على تقديسه .

واما المقام فتختلف الروايات فيه ايضاً ، على انها تجمع على ان قداسه
انما هي منبعثة عن صلته بابراهيم . ومن هذه الروايات قولهم انه هو
الحجر الذي قام فيه ابراهيم حين رفع بناء البيت ، وقيل هو الحجر الذي
وقف عليه يوم اذن في الناس بالحج ، فتطاول له وعلا على الجبل حتى
اشرف على ما تحته ... فلما فرغ منه ، وضعه قبلة .. وكذلك رسخت
قدما ابراهيم فيه مقدار سبع اصابع ، ووسطه قد استدق من التمسح به ،
اما ذرعه فمقدار ذراع ، وهو على ما يذكر ياقوت ، في حوض مربع
حول رصاص . ومن مقداره يظهر انه اكبر من الركن وهو مثله حجر
اسود (٤) .

والركن على ما يظهر المكانة الاولى ، فهو عين الله في الارض ، فمن
لم يدرك بيعة النبي وتمسح به فقد بايع الله ورسوله (٥) . هذا هو الحجر
الاسود الذي نزل من الجنة وهو اشد بياضاً من اللبن فسودته - كما

(١) ص ٢١٢ م ٢ مجمع البلدان

(٢) ص ٢٨٠ م ٤ نفس المصدر

(٣) ص ١٥٣ م ٨ الكامل في التاريخ وص ٢١٣ م ٢ مجمع البلدان

(٤) ص ٥٨٨ - ٥٨٩ م ٤ مجمع البلدان

(٥) ص ٣٠٤ م ١ نهاية الارب

ذكر - خطايا البشر . او اسود - كما يقول البعض - من لمس الحيط
في الجاهلية (١) . وليرحم الله الراشد عمر . لقد حدث ابو سعيد الخدري
قال :

« خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة ، فلما دخلنا
الطواف قام عند الحجر وقال : والله اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا
تنفع ، ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ،
ثم قبله ومضى في الطواف (٢) » -

معجات العرب : ويجب ان لا يخطر على بال احد ان مكة - وان
ارتفعت مكانها عن سواها من اماكن العبادة - هي القبة الوحيدة في
الجزيرة . فقد كان للعرب كعبات عديدة اخرى تحج اليها في مواسم
معينة ، وغير معينة ، تعترع عندها ، وتقدم لها الذور والهدايا ، وتطوف
بها ، ثم ترحل عنها بعد ان تكون قامت بجميع المناسك الدينية المطلوبة .
وللاحظ انه لم يكن هنالك لرب من الارباب بيت او معبد الا في
بقعة يظهر فيها شيء من الشروع في حياة الاستقرار . والحقيقة ان اهم
شعائر البدو الدينية انما كانت تتجلى في حجهم الى اماكن العرب الخضرين
المقدسة في المدن امثال مناة واللات والعزى في المدينة والطائف ومكة .
اما المزارات الثانوية التي كان يؤمها بعض القبائل فكانت - وان ابتعدت
عن المدن احياناً - كثيراً ما تشاد في بقاع لم يعد اهلها بدواً اقحاحاً (٣) .
وكما كان للكعبة خدام وحجاب ، كذلك كانت لهذه البيوت - التي
بني بعضها مضاهاة للكعبة نفسها - كهنة وسدنة .

يقول الهذاني في الاكليل : « وقد كان للعرب بيوت تحجها » (٤) .
ويبعد اللات ، وذا الخلصة ، وكعبة نجران ، وكعبة شداد الايادي ،

(١) ص ١٠٠ ج ١ تاريخ الخميس

(٢) ص ٣٠٣ م ١١ نهاية الارب و ص ١٨٣ م ٢ صحيح البخاري

(٣) ص ١١٢ Smith : Religion of the Semites

(٤) ص ٨٤ ج ٨ الاكليل الهذاني

وكعبة غطفان ، والاخيرة - كما يقول - بناها ظالم بن سعد بن ربيعة
وهدمها زهير بن حباب الكلبي ، فقال الرسول من بعد : لم يكن شيء
من امر الجاهلية وافق الاسلام إلا ما صنع زهير بن حباب . وفي « صفة
جزيرة العرب » يقول الحمذاني :

« مواضع العبادة مكة وايلياء باعلى نخلة ، وذو الخلفة بناحية تبالة ،
وكعبة نجران وريام في بلد همدان ، وكنيسة الباغوتة بالحيوة ^(١) » .
وفي السيرة :

« وكانت العرب قد اتخذت من الكعبة طواغيت ، وهي بيوت
تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدي للكعبة
وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحدر عندها ^(٢) » .

وهو يذكر فيما يذكر من هذه البيوت - غير ما اشرنا اليه -
العزى ومناة ورضاء . وفي كتاب الاصنام : يذكر ابن الكلبي كنيسة
بناها ابرهة الاشرم على باب صنعاء محاولاً صرف العرب عن مكة اليها ^(٣) .
وقد ذكرها ياقوت فقال :

ولما استتم ابرهة بنيان القليس كتب الى النجاشي : « اني قد بنيت
لك ، ايها الملك ، كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته
حتى اصرف اليها حج العرب » .. ويجري ذكر هذا الكتاب على السنة
العرب فيغضب احد النساء ويرسل من يحدث فيها ، ويقال لأبرهة
هذا فعل رجل من اهل البيت الذي فجع اليه العرب بمكة ، فيغضب
ابرهة وتكون قصة الفيل ^(٤) .

ومن تلخيص ما جاء عن القليس في « الروض الانف » يستفاد انها
لما تلاشى ملك الحبشة من اليمن ، افقر ما حول الكنيسة ولم يعثرها

(١) ص ١٢٧ صفة جزيرة العرب للحمذاني .

(٢) ص ٥٤ - ٥٥ السيرة .

(٣) ص ٤٦ - ٤٧ كتاب الاصنام .

(٤) ص ١٧٢ م معجم البلدان .

أحد ، واكثر حولها السباع والحياث ، فكان العرب يتخوفون من القرب منها ، ويزعمون ان من اخذ شيئاً من انقاضها استهوته الجن ، وقد بقيت حتى زمن ابي العباس السفاح حيث ارسل لها عامله في اليمن ، فاستخرج ما كان فيها وخرّبها حتى عفا رسمها وانقطع خبرها ^(١) .
ويظهر ان كعبة نجران التي يقول فيها الاعشى :

وكعبة نجران ختم عليك حتى تناخي بابواها

نزور يزيدا وعبد المسيح وقيسا ، هم خير اربابها

اصبحت ، بعد دخول النصرانية نجران ، كنيسة او شبه كنيسة .
يقال انها بنيت على بناء الكعبة مضاهاة لها ، ومن الروايات ما يجعلها قبة من ادم ، من ثلثائة جلد ، اذا جاءها الخائف آمن ، او طالب حاجة قضيت ، او مسترفد ارفد ، فاذا كان ذلك ، لم تختلف عن غيرها من مضارب الشيوخ الرئيسية التي تجتمع حولها العشيرة ، وتكتسب هيبتها وعظمتها من شخصية الامير وثروته وكرمه ، وتكون اذا كالطراف الذي يتخذها الاغنياء بيتاً من الاديم ، ويذكره الشاعر :

رايت بني العبراء لا ينكرونني

ولا اهل هذاك الطراف الممدد ^(٢)

ويروج الظن بان اصحاب هذه الكعبة قد تنصروا ، ذكر الاعشى « عبد المسيح » - ويزيد وقيسا - الذي كان من خير اربابها . وبما ذكره ياقوت قال : « وكان فيها اساقفة معتمون » ^(٣) .

وذو الخلصة بيت مقدس آخر في الجنوب ، وقد مر معنا حديث عنه . ذكر ياقوت انه بيت اصنام بتبالة قدسه عدد كبير من القبائل العربية . ولتعظيمهم له دعوه - بالكعبة البانية مضاهاة للكعبة الشامية وهي

(١) من ٤٦ هامش كتاب الامنام .

(٢) من ٣٩٤ ج ٣ الآلوسي .

(٣) من ٢٧٥٦ م معجم البلدان .

البيت الحرام (١)

وكذلك رؤام . قال الهذاني :

« اما رؤام فانه بيت كان متنسكا ينسك عنده ، ويحج اليه ، وهو في رأس جبل اقوى من بلد همدان (٢)

وروى ابن اسحاق قال :

« وكان رؤام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده . ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم ، فقال الجبران (وقد مر حديثها) لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، قال فشأنكما به ، فاستخرجاه منه فيما يزعم اهل اليمن كلباً أسود ، فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقياه اليوم (زمن ابن اسحاق) - كما ذكر لي - بها آثار الدماء التي كانت تهرق عليه » (٣)

وفي هامش الاكليل :

« ان رؤاما كان فيه شيطان . فلما جاء الجبران مع تبع نشر التوراة عنده ، وجعل يقرأها ، فطار ذلك الشيطان حتى وقع في البحر » (٤) .
غير ان هذه البيوت التي عظمها العرب في الجنوب لم تبلغ مكانة الكعبة ، وليس يبعد ان تكون عظمة البيت الحرام قد ضاعت هذه البيوت مجتمعة . وهي ، على ما لها من التقديس ، لم تكف عرب الحجاز فقد كان لهم في مدنها الشهيرة بيوت اخرى كبيت ثقيف الذي كان له سدة ويضاهون بذلك قريشاً (٥) .

واقصد ذكرنا الكثير عن اللات ومناة والعزى .

ولعل القصر ذا الشرفات الذي ذكره الاسود بن يعفر في قصيدة له

(١) ص ٤٦١ م ٢ نفس المصدر .

(٢) ص ٨٢ الاكليل .

(٣) ص ١٧ - ١٨ البيرة .

(٤) ص ٨٣ هامش الاكليل .

(٥) ص ٦٠ ج ٧ الحيوان للباحظ ، وراجع كتاب الأصنام ص ١٦ والبيرة ص ٣٢

مع بارق والخورتق والسدير ، من اشهر الاماكن المقدسة في القسم الشمالي الشرقي من جزيرة العرب ، وكان لأبياد التي كانت تنزل سنداد . وسنداد نهر فيما بين الحيرة الى الابله . وكان عليه هذا النصر الذي كانت تحج اليه العرب . وبما يروى ان عمر بن عبد العزيز مر بقصر لآل جفنة فقتل مولاه مزاحم بقصيدة الاسود النهشلي التي يقول فيها :

ماذا أوئل بعد آل محرق تركوا منازلهم ، وبعد إباد

أهل الخورتق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

فقال له عمر ألا قرأت (١) : « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين » (٢) .

وقد دعي هذا القصر بذي الكعبات ايضاً . قال الهذلي : « وكانوا يعبدون بيتاً يسمى ذا الكعبات » (٣) ويروى للمتلهم قوله :

ألك السدير وبارق ومبايض ولك الخورتق

والقصر من سنداد ذو الكعبات والنخل المنبق (٤)

وهناك بيوت معظمه كثيرة في اماكن شتى من بلاد العرب امثال « رضى » او « رضاء » الذي هدمه المستوغر « عمرو بن ربيعة بن كعب » في الاسلام وقال :

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها تلا تنازع أسحما

ودعوت عبدالله في مكروها بولثل عبدالله يغشى المحرما (٥)

ثم « الفلس » لقبائل طيء عند جبلي سلمى وأجأ (٦) . و « السعيدة »

(١) ص ١٦٤-١٦٥ م ٣ مجمع البلدان .

(٢) القرآن الكريم ص ٤٤ آية ٢٤-٢٨ .

(٣) ص ١٧١ صفة جزيرة العرب .

(٤) ص ٢٣٠ نفس المصدر .

(٥) ص ٣٠ كتاب الأصنام .

(٦) ص ٥٦ السيرة .

وكان بيتاً تحجه العرب وسدنته بنو عجلان . وقيل ان قبائل الأزد كانت تعبده ^(١) . ولا شك في وجود عدد كبير آخر من الليوث التي تحجها العرب وتقدسها ، وتقدم لها القرابين والهدايا ، وتخصص لها الحجاب والسدنة ، وتأتيها إما قصداً وإما عرضاً في اثناء مرورهم . يعرجون عليها ويقيمون عندها أياماً ، فيرتاحون عندها ويستسقون . وكثيراً ما تكون هذه المزارات المقدسة عند عين وغدير ، او واحة وشعب .

الحمي : وكما كان الشرع يبطل الكثير من اعمال الجاهلية ، كذلك هدم ما كان عليه اعزاء العرب واقرباؤهم من التفرد بالحمي ، اذ كان القوي منهم اذا انتجع ارضاً خصبة اوفى بكلب على مرتفع منها واستعواه ثم أوقف له من يسع منتهى عوائه ، فحيث انتهى صوته نحي المكان من كل ناحية لنفسه ، ومنع الناس منه ^(٢) . وفي الامثال يقولون : « اعز من كليب وائل » . رووا عنه قالوا :

وقد بلغ من عزه انه كان يحمي الكلاً فلا يقرب حماءه ، ويحير الصيد فلا يهاج . وكان اذا مر بروضة اعجبه ، او غدير ارتضاه رمى بكلب هناك فحيث بلغ عواؤه كان حمي لا يرعى . وكان اسمه وائلاً فلما حمي كلبه المرمي الكلاً قيل اعز من كليب وائل . ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه . وكان من عزه انه لا توقد نار مع ناره ، ولا يستبق احد الى الورد الا بامره ^(٣) .

وهذا ما يخالفه رأي Smith القائل بأن التملك في الصحاري كان غير معروف ، وهو يرى ايضاً ان فكرة الحمي لم تتركز على هذا التملك او الخاصية ، وانما كان يحمي المكان لوجود الاله او الشيء المقدس ^(٤) . ولا يسعنا ان نتخذ هذا الرأي ، ونحن نعتقد انه قد وجد في الجاهلية « حمي للرجل » .

(١) ص ٢٩٤ م ٣ معجم البلدان .

(٢) ص ٢١٧ م ١٨ . لسان العرب ، ص ٣٤٣ - ٢ معجم البلدان

(٣) ص ٣٤ م ٢ الامثال للبيداني

(٤) ص ١١٢ Religion of the Semites

و « حمى للاله » ونعني بالأول تلك المنطقة المعشوشبة التي يحددها الشيخ
أو الأمير ، ويحرم على الغير الانتجاع ، أو حتى السير فيها ، وأما حمى
الاله - وطالما يكون في مكان طري - فهو المكان الذي تحرمه السدنة
تقديساً للاله ، يأمن فيه النبات والحيوان والانسان .

ولربما عرف الاول قبل الثاني باجيال . وكثيراً ما كان امنع منه ،
وخصوصاً اذا كان حاميه ذا جاه عريض وصوله فعالة ، وأكاد ارى ان
حرم الاله كلما كان المسيطرون عليه اقوياء ، كلما كان اقل انتهاكاً .
فحرمته مستمدة من اولئك الذين يسدونونه اكثر منها مستمدة من الاله
نفسه .

ولنذكر ان عنصر الدين عند البدوي ثانوي - كما يرى Olmstead -
بالنسبة الى العنصر المادي ^(١) فهو في عراقك حتى في الحصول على القلة .
وكثيراً ما كان المنتجع ساحة نضال بين القبائل للانفراد بها . وبما يذكر
ان ثقيفاً قد اهتمت بوادئها « وج » اهتماماً مادياً اكثر من اهتمامها بحمى
« لاتها » بالطائف حتى انها بنت شبه سور لتمتع باقتصادياتها فيه . ولما
جاء بنو عامر ليأخذوا ما عودوا ان يأخذوه منهم منعوم . وخرجت
بينهم حروب خرجت منها ثقيف منتصرة ، فضرب العرب بامتناعها
المثل ، قال ابو طالب :

منعنا ارضنا من كل حمى كما امتنعت بطائفها ثقيف .

اتاهم معشر كي يسلبوم فحالت دون ذلكم السيوف ^(٢)

وقد مر معنا حمى آخر وهو ما كان يحمى حول قبر بعض الرجال
كما فعلوا عندما مات عامر بن الطفيل تعظيماً له .

وكما كانوا يبنون البيوت مضاعاة للكعبة ، كذلك كان حمى الآلهة
يضاهي الحرم . قال ابن الكلبي في حديثه عن العزى : « كانت قريش

(١) ص ٦ Olmstead : History of Assyria

(٢) ص ٤٩٩ م ٣ مجمع البلدان

قد حمت لها شعباً من وادي خراس يقام له (سقام) يضاهون به حرم الكعبة^(١). وسقام هذا ، كما ذكره ياقوت ، واد بالحجاز ورد في شعر أبي خراش الهذلي ، قال :

أمنى سقام خلاء لا أنيس به إلا السباع ومر الريح بالغرف^(٢)
ومن حرمة الحمى ان لا يأتيه خائف إلا آمن ، ولا يطرد حيوان
إليه إلا ترك^(٣) له ، وكذلك لا تقرب من الإله الذي يسكنه نساء
حيض^(٤) . كما كان لا تقرب البيت ميلات « حائض » . وقد دام ذلك
حتى في الإسلام . جاءت عائشة مكة وهي حائض ، فقال لها الرسول
افعلي كما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري^(٥) .

وكنا ذكرنا حمى « ذي الشرى » الذي كان به وشل من ماء
يهبط من جبل^(٦) . فالحمى ، كما يظهر دائماً ، مكان خصب وخلاء .
أما الحرم فلربما سكنه الكثير من أهالي مكة انفسهم .

وهناك اماكن مقدسة اخرى حول بعض الآلهة لا ينتقل سدنتها
مها كانت الظروف ، فهم يرثون حجابتها ولا يفارقونها حتى ولو نزع
القبيلة عما حول الإله بخاطرهما ، او احتلت مكانها قبيلة اخرى
بالقوة . فلهؤلاء السدنة الذين يكونون عادة بيتاً من البيوت ان يعتبروا
تلك الاماكن اذاً خاصة بهم وبآله دون غيرهم

السدنة : والسدنة في اللغة جمع سادن . وهو القائم بعمل الحجابة
على ان هنالك فرقاً بين السادن والحاجب قالوا الحاجب يحجب واذنه
لغيره ، وأما السادن فيحجب واذنه لنفسه^(٧) . وربما تسمى

(١) ص ١٩ كتاب الاصنام .

(٢) ص ١٠٠ م ٣ معجم البلدان .

(٣) ص ٥٩ - ٦٠ كتاب الاصنام .

(٤) ص ٣٢ نفس المصدر .

(٥) ص ١٩٥ م ٢ صحيح البخاري .

(٦) ص ٢٦٩ م ٣ معجم البلدان

(٧) ص ٢٣٣ م ٩ تاج العروس

بعضهم باسم المكان الذي يقومون على سدنته ، فيكون بينهم عبد الكعبة وعبد البيت ، وعبد الدار الخ .

وكما كان للكعبة حجاب وسدنة تقوم على خدمتها وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه ، كذلك كان للأصنام وبيوتها سدنة يخدمونها ويجعلون أنفسهم واسطة بين الناس وبين الآلهة . وتختلف أهمية السادن باختلاف أهمية الآلهة . ولا شك أن المنزلة التي كان يتمتع بها سدنة العزى أو الربة « اللات » مثلاً تفوق مكانة الكثيرين من سدنة الأصنام المحلية الأخرى . والسدنة في الجاهلية كثيرو العدد . وهم ليسوا فقط سدنة الآلهة الثابتة في المدن وغيرها من أماكن الاستقرار ، وإنما كان أيضاً للآلهة المحمولة أو المنقولة سدنة أخرى تسهر على خدمتها وتساعد عبادها في تقديم ما اعتادوا عليه من الطقوس والمناسك . وربما فاقوا عدد السدنة الأول بمنصبهم ، إذ ليس ببعيد أن يكونوا من رؤساء القبائل أنفسهم . قال الأب لامنس :

« إن كثيراً من هؤلاء الأشخاص رؤساء الأسر ، ذوي القباب الحمر ، الساهرين على (البيت) - ويعني بيت الضم أو الحجر المؤله - يتصفون بصفات إكليزيكية ، إذ يحق لهم أن يتسوا باسم (الكاهن) أو (الخازن) أو (السادن) أو (الحاجب) وبعضهم باسم (الحكم) » (١) .

وقد ذكر ولهووزن أن السدانة الوراثية أحياناً ، طالما قام بها عوائل لا تمت بسبب إلى القبيلة التي تمتلك الأراضي التي تحيط بمكان الآله (٢) . وربما فسر ذلك بنزوح قبيلة أو طردها - كما ذكرنا - من مكانها ، وحلول قبيلة أخرى ، دون أن تحل العائلة التي تقوم بخدمات الآله وبيته وحماه .

وبما يثبت أن السدانة تكون أحياناً وراثية قول ابن الكلبي بعد

(١) ص ٢٣٧ ع ٢ مجلة الشرق ١٩٣٦ - ١٩٣٧ .

(٢) راجع ص ٧٩ Religion the Semites ، ص ٦٦٧ Enc. of Religion

ان ذكر حمل عوف بن عذرة بن زيد اللات (وذا) الى دومة الجندل :
« وجعل عوف ابنه عامراً الذي يقال له عامر الأجدار سادناً له .
فلم يتول بنوه يسديتونه حتى جاء الله بالاسلام » (١) .

وكذلك القول في سدينة (الفليس) « بني بولان » - وسدينة العزى « بني
شيبان » الخ . وما ذكره ابن الكلبي من السدينة بنو عتاب بن مالك من
ثقف « للآت » . وبنو لحيان « لسواع » وبنو امامة من باهلة « لذى
الخلصة » والحراعي ابن عبد نهم من مزينة « لنهم » وذلك في اماكن
شنى من كتاب الأصنام .

القداح : هؤلاء السدينة هم الذين كانوا ، كما ذكرنا ، الواسطة بين
الناس والآلهة . وقد مر معنا حديث امرئ القيس حينما استشار
ذا الخلصة في امر الغارة على بني اسد . والاستشارة تكون في الاستقسام
بالأزلام ، او الضرب بالقداح .

وقد ذكروا انه كان امام هبل في جوف الكعبة سبعة اقدح
يستقسمون بها اذا اختصموا في أمر او ارادوا سفراً او عملاً فما خرج
عملوا به وانتهوا اليه (٢) . وقال ابن واضح :

« وكانت العرب تستقسم بالأزلام في كل امورها . وهي القداح .
ولا يكون لها سفر ومقام ، ولا نكاح ولا معرفة حال إلا رجعت الى
القداح . وكانت القداح سبعة ... فكانوا اذا ارادوا أمراً رجعوا الى
القداح فضربوا بها ثم عملوا بما يخرج القداح لا يتعدونه ولا يجوزونه .
وكان لهم امانة على القداح لا يثقون بغيرهم » (٣) .

والظاهر ان عدد القداح وما يكتب عليها يختلف باختلاف الاغراض
التي يضرب من اجلها . فبينما يكون امام هبل سبعة اقداح مثلاً ، يكون
عند ذي الخلصة ثلاثة (٤) . وكذلك يختلف ما كتب على القداح السبعة

(١) ص ٥٥ كتاب الأصنام .

• (٢) ص ٩٧ السيرة ، ص ٢٨ كتاب الأصنام ، ص ١٣ السيرة الحلبية .

(٣) ص ٣٠٠ تاريخ اليعقوبي .

(٤) ص ٤٧ كتاب الأصنام .

عند ابن الكلبي واليعقوبي .

والذي يطالع رسالة الميسر والقداح لابن قتيبة يتبين له ان الاستقسام بالأزلام كان لفرضين : الاول استشارة الاله الصم بامر من الامور . وهنا يقول :

« وكانوا اذا ارادوا الخروج الى وجه ضربوا بالقداح فان القدح الامر نفذ لوجهه راجياً السلامة والصنع ، واذا خرج القدح الناهي امسك عن الخروج خائفاً النكبة » (١)

والثاني يختلف عن الاول كل الاختلاف ، وهو نوع من القمار ليس إلا ، لما رسونه عند الشدة والضيق . وهو ما يسمونه بالميسر . اما قداح هذا الضرب من الاستقسام فعشرة متساوية منها سبعة ذوات خطوط وهي : الفذ ، والتوأم ، والرقيب ، والجلس ، والنافس ، والمسبل ، والمعل . وثلاثة اغفال لا خطوط بها وهي : السفيح ، والمنيح ، والوعد (٢) .

وكان على كل قدح من السبعة علامة « حز » فعلى الفذ حز ، وعلى التوأم حزان وهكذا ... الى سبعة على المعل . ولكل حز نصيب (٣) . وأما الثلاثة التي لا نصيب لها ، فليس عليها علامات ، وإنما تجعل مع تلك السبعة ليكثر بها العدد ، ولتؤمن بها حيلة الضارب (٤) . وكانوا لا يضربون على الميسر بالقداح إلا في الشتاء ، عند جذب البلاد ، وتعذر الاقوات ، وكلب الزمان ، ليمتشوا بذلك الفقير والضرير (٥) . فكانوا يبسرون على جزور يقسمونه اجزاء (٦) : او

(١) ص ٤٠ الميسر والقداح .

(٢) ص ٥٦ نفس المصدر .

(٣) ص ٧٥ نفس المصدر .

(٤) ص ٨٢-٨٣ نفس المصدر .

(٥) ١٠٦ نفس المصدر . ثم راجع تاريخ اليعقوبي ص ٣٠٠-٣٠١ ج ١ .

(٦) ص ١١٣ الميسر والقداح .

يضربون بالقداح على الابل الصحاح فيجعلون مكان البعشر من اعشار
الجزور بعيراً كاملاً (١) .

ولما كان لهم - كما قلنا - امانة على القداح لا يتقون بغيرهم ، وجب
عليهم ان يرضوا هؤلاء القداح بهيات وعطايا لقاء عملهم . قال الأزرقى :
« وكانوا إذا أرادوا ان يحتنوا غلاماً او ينكحوا منكحاً او
يدفنوا ميتاً ، او شكوا في نسب احد ذهبوا به الى هبل وبماية درهم
وجزور فأعطوها صاحب القداح الخ » (٢) .

وامام هبل هذا تخاضعت قريش - كما ذكرنا - وعبد المطلب على
الغزاليين والأسياف والأدراع التي اكتشفها عبد المطلب في حفرة بئر
زرم حيث قالت قريش :

« يا عبد المطلب ، لنا معك في هذا شرك وحق . قال : لا ،
ولكن هلموا الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا :
وكيف تصنع ؟ قال : اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ، ولكم
قدحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا
شيء له . قالوا : أنصفت . فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين
أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش . ثم أعطوا القداح
صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل ... وضرب صاحب القداح
فخرج الأصفران على الغزاليين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف
والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش » (٣) .

وقد استشار عبد المطلب القداح حينما اراد ان يذبح ابنه (٤) ومختصر
القصة ، كما سردها ابن اسحاق ، ان عبد المطلب نذر حين لقي من
قريش ما لقي عند حفر زرم لئن ولد له عشرة اولاد لينحرون احدهم

(١) ١٢٣ نفس المصدر

(٢) من ٧٣ اخبار مكة ، من ٩٧ السيرة

(٣) من ٩٤ السيرة

(٤) من ٧٤ اخبار مكة

عند الكعبة ، فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف انهم سيمنعونه جمعهم ، ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بذلك فأطاعوه ، وقالوا : كيف نضع ؟ قال : لياخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه . ففعلوا ، وأتوه فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وطلب من القداح ان يضرب على بنيه بقداحهم فخرج قدح عبد الله . وكان فيما زعموا احبهم الى ابيه ، غير ان هذا الحب لم يمنع عبد المطلب من وفائه بنذره ، بل اخذه بيده ، وأخذ الشفرة ثم أقبل به على اساف ونائلة .. فهبت قريش من انديتها وقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : اريد ذبحه ! فقالت قريش وبنوه والله لا تذبحه ابداً حتى تعذر فيه ، فان كان فداؤه باموالنا فديناه ... واخيراً يقر الرأي على ان يستشيروا عرافة في المدينة ، وذهبوا فوجدوها بخير ، وقصوا عليها الخبر فقالت لهم : ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي . فرجعوا ، ثم جاءوها ثانية ، فقالت لهم : كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشرة ابل . قالت : فارجعوا الى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الابل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم ، وان خرجت على الابل فانحروها ، وهكذا كان . فقد ذهبوا وضربوا بالقداح فخرج قدح عبدالله ، فزادوا حتى بلغت الابل مائة ، فخرج قدح الابل ، فقال من حضر لقد رضي ربك يا عبد المطلب . فاعاد الضرب ثلاث مرات وكان القدح يخرج على الابل في كل مرة .. فنصرت الابل وثركت لا يصد عنها انسان ولا وحش (١) . والظاهر ان الاستقسام كان متقشياً في الجاهلية ، حتى قيل ربما كان مع الرجل زمان يضعها في قرابه ، فاذا اراد الاستقسام اخرج احدهما (٢) .

(١) ص ٩٧ - ١٠٠ السيرة

(٢) ص ٣٢٧ م ٨ تاج العروس

« ان رسول الله ﷺ لما قدم ابي ان يدخل البيت وفيه الآلهة فامر بها فاخرجت ، فاخرجوا صورة ابراهيم واسماعيل في ايديهما الأزلام فقال رسول الله ﷺ قاتلهم الله .. اما والله قد علموا انها لم يستقسما قط ، فدخل البيت فكبّر في نواحيه ، ولم يصل فيه » (١) .

وقد ابطال الكتاب هذه العادة فيما ابطال فقال : « وان تستقسما بالازلام ذلكم فسق » (٢) . على انه بقي في الاسلام ما يشبه الاستقسام بالطريقة وان خالفها بالغرض والغاية ، عن عائشة قالت :

كان رسول الله اذا اراد سفرا أقرع بين ازواجه فابن خرج سهمها خرج بها رسول الله معه . فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت معه (٣) .

والاقداح « او القداح » ، والازناد ، والسهام ، والاقلام ، والازلام تعطي معنى واحداً . وهي أعواد تسوى للاستقسام الذي هو من القسم اي النصيب . وهذه الاعواد - كما يقول ابن قتيبة - متشابهة في اقدار الأجسام ، وانما تختلف بالعلامات والوسوم . قالوا : وليس يجوز ان تكون الا كذلك لانها اذا اختلفت امكنت الضارب الحيلة فيها (٤) .

الفصل الثاني : الحج الجاهلي - الاسواق - الوقوف - الذبح

تقصير الشعور - العمرة - السعي - الطواف والتلبية - النسيء والحس

الحج الجاهلي : والحج اروع ظاهرة في شعائرهم الدينية القديمة . وهي في اللغة كلمة جد قديمة ، ومن الممكن ان يكون العمل بمعناها قد جاراها في القدم . ولو خولنا ان نأخذ بقول الرواة الذين تحدثوا عن مكة والبيت ، ومجيء ابراهيم ، لكانت عادة الحج قد سبقت تكون اللغة العربية على ما هي معروفة عليه في الجاهلية .

(١) ص ١٨٤ م ٢ صحيح البخاري

(٢) القرآن الكريم ص ه آية ٤

(٣) ص ٥٢ م ه صحيح البخاري

(٤) ص ٨٧ المسير والقداح

والمسلم به ان الحج عمل ديني قديم دوناً ريب . ومن الصعب على الباحث تحقيق الزمان الذي ابتدأ العربي فيه بالحج . والقرآن الكريم يرجعه الى عهد ابراهيم حيث قال له تعالى : « وأذن في الحج بالناس يأتوك رجالاً ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » (١) . ولعل هذا القول مما جعل البعض يظن ان العرب في حجة البيت اقدم امية عرفت عندها عادة الحج قبل سائر الامم (٢) .

والحج في اللغة القدوم والقصد مطلقاً . تقول حججت فلانا اذا اتيته مرة بعد مرة ، فليل حج البيت لانهم يأتونه كل سنة ثم تعورف استعماله في قصد مكة للنسك (٣) .

ولا ارى معقولا ان الدافع الوحيد - كما يظن - لتقاطر الجاهلين من جميع انحاء الجزيرة الى نواحي مكة ، ديني محض . بل ارى ان حج البيت ، على ما كان له من المظاهر ، اقل اهمية في الحقيقة ، ان لم يكن ثانوياً بالنسبة الى دافع داخلي رئيسي .. الى دافع تتوقف عليه حياة البدوي ، وغيره ، امتن من الدين وأشد من اواصر القربى .. وهو الدافع الاقتصادي ، وبكلمة مختصرة : التجارة .

اما ان تقدر القبائل الى مكة ، بعد ان يكون بعضها جاب الجزيرة من دومة الجندل .. الى هجر .. الى الشعر .. الى الطائف .. ماراً بالكثير من الاسواق قبل ان يحط رحاله في عكاظ .. فمجنة .. فذي الحجاز .. وذلك ليطوفوا ، ويقفوا على عرفة ، ويفيضوا ، ويعتروا ، فسبب لا اراده وجبهاً اذا اتخذ وحده مها قيل فيه ، فلو لم يكن في مواسم الحج اسواق تجارية يتبادلون فيها المصالح وغيرها من مقومات الحياة .. وبالنتيجة يتعارفون ، إذا انتهوا من مهامهم ، ويتناشدون الاشعار ، ويتجادبون

(١) القرآن الكريم : س ٢٢ آية ٢٨

(٢) راجع ص ٦٩٦ ج ٦ - دائرة المعارف لبطرس البستاني

(٣) ص ١١٦ - ١٧ ج ٢ - تاج العروس

الاحاديث ، وتكون لهم هذه الاسواق اعياداً سنوية ، لاكتفت كل قبيلة بما عندها من اصنام وانصاب ، تقدم لها من المناسك ما تقدم في الحج من ذبح ، ووقوف ، وطواف ، ولما تجشمت الحداء من اطراف الجزيرة واواسطها ... ولما كان - بالنتيجة - لحج البيت عندهم تلك المظاهر الرائعة كلما حلت عليهم الاشهر الحرم .

الاسواق : ويبتدىء الحج بالاسواق ، تلك التي كانت بين الطائف ومكة متجر الناس في الجاهلية ^(١) ، حتى قيل لابن الخطاب مرة : « هل كنتم تكرهون التجارة في الحج ؟ فقال : وهل كانت معيشتنا إلا من التجارة في الحج ؟ ! » ^(٢) ولما كان المسلمون في اوائل الدعوة يأبون ما للجاهلية من عادات وخصوصاً الدينية منها ، لذلك تأثموا البيع والشراء في ايام الموسم ، وكرهوا التجارة في الحج ^(٣) فأبيحت لهم ، ورفعت عنهم الجناح الآية : « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم » ^(٤) . في مكان من عكاظ ^(٥) - وعكاظ نخل في واد بين مكة والطائف - مستو لا علم فيه ولا جبل ، كانت تقوم السوق . وكان في هذا المكان الذي عرف بالاثداء ، مياه ونخل . ولم ينخل من انصاب وصخور ملطخة بالدماء ، قيل انهم كانوا يحجون اليها ويطوفون حولها . وكانت تحفل عكاظ بالناس في شوال ، ويتم تقاطرهم اليها في ذي القعدة : الزمن الرسمي للسوق . وفي العشرين من هذا الشهر تذهب جماعاتهم - بعد ان يتخلف من لم يكن انهي بيعه وشراؤه - الى بجنة .

وبجنة موضع قرب جبل يقال له الاصفر باسفل مكة ، تقوم سوقها عشرة ايام ^(٦) ، الى ان يهل ذو الحجة حيث يسيرون الى ذي الحجاز .

(١) ص ٢٢٢ ج ٢ - صحيح البخاري

(٢) ص ٨٤ ج ١ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل الزعشمري

(٣) ص ٢٢٣ ج ٢ صحيح البخاري

(٤) القرآن الكريم - س ٢ آية ١٩٢

(٥) راجع ص ٤٤٩ - ٢٥٠ - اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، لعبد الاقضي

(٦) ص ٤٢١ ج ٤ - معجم البلدان

وذو الحجاز موضع على فرسخ من عرفة تقوم سوقه ثمانية ايام ^(١) اي حتى الثامن من ذي الحجة : وهو يوم التروية ، سمي بذلك لانهم يرتون من الماء ، ويملاؤن اوعيتهم لما بعده إذ لا ماء بعرفة . والى هذه السوق تتقاطر وفود الحجاج من سائر العرب ، ممن شهد الاسواق قبلها ، ولم يشهدوا واتى للحج خاصة ، إذ ان ذا الحجاز من مواسم الحج عندهم ^(٢) .

فعكاظ ومجنة وذو الحجاز هي الاسواق التي كانوا يتجرون بها في الجاهلية ايام الموسم ؛ والتي كادت ان تكون قسماً من اعمال الحج ذاته حتى ان قريشاً وغيرها من العرب كانت تقول - على ما روى الازرقى - : « لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذا الحجاز الا محرمين بالحج » ^(٣) . ويكفي بالاحرام تعظيماً لها وتقديساً .

الوقوف : من هذه الاسواق كانت العرب ترتحل الى مكة لحجهم ^(٤) حيث يتبدى الحج في التاسع من ذي الحجة ، اذ يتكون ذا الحجاز مباشرة الى عرفة : وعلى عرفة يقضون بالوقوف شعيرة من اهم شعائر الحج الدينية .

ويرى « سمث » ما يرى « ولهوزن » ان ميزة وقوفهم هذا تشبه منظر اولئك الذين يلتقون حول المذبح في خشوع والعتائر مسطحة على الارض ، وذلك يكون اما عند انتهاء الذبح مباشرة او اثناء هذه العملية ، والدماء تسيل في الغيب او يلطخ بها السادن رأس النصب ^(٥) .

(١) ص ٤١٦ ج ٤ - نفس المصدر

(٢) ص ٣٠٠ - اسواق العرب في الجاهلية والاسلام

(٣) ص ٣٢ اخبار مكة

(٤) ص ٣١٤ ج ١ - تاريخ ابن واضح اليموني

(٥) ص ٣٤٠ Religion of the Semites « الغيب » - المنحر ومهراق الدماء : ص ٥٥

السيرة . « والغيب » - حجر ينصب بين يدي الصنم : ص ٧٧٢ ج ٣ - معجم البلدان

ويقارن Houtsma الوقوف بعرفات بوقوف اليهود على جبل سيناء ، حيث كان يتجلى معبودهم بالبرق والرعد (١) ، وان كنا لا ندرى شيئاً عن إله عرفات ، وربما كان نفسه إله المزدلفة « قزح » - إله البرق والعواصف والرعد والغيث - الذي عبده الآدوميون من قبل ولم يبق من ظواهر عبادته بين الجاهليين إلا إشعال نيرانه بمزدلفة .

ولتسمية المكان الذي يقفون عليه « عرفة » وجوه ، منها أنه سمي بذلك لقول إبراهيم مخاطباً جبريل ، وهو يدور به في المشاعر يعلمه أياها : قد عرفت . أو لأن آدم وحواء التقيا بعد الهبوط فتعارفا هناك ، أو لأن الناس يتعارفون فيه (٢) . ويزيد ياقوت على الزمخشري فيقول : سمي بالصبر على ما يكابدون بالوصول إليه . والعرف هو الصبر ، أو لأن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف (٣) .

على أن هذا لا يعيقنا عن سير الحجيج ، فالناس بعد أن يقضوا يومهم بعرفات يفيضون إلى المزدلفة قبل أن تغرب الشمس عن عيونهم مسرعين جهدهم . وقد دام هذا الأسراع بالنفور إلى مزدلفة حتى الإسلام حيث أمرهم النبي أن يسيروا ببطء . يروى عن ابن عباس أنه دفع مع النبي يوم عرفة فسمع النبي وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للأبل ، فاستأثر بسوطه إليهم وقال : أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالأيضاع (٤) أي الأسراع .

يصلون المزدلفة ، وهو موضع قريب من عرفة . قيل أنه سمي بذلك - في بعض الروايات - لأنهم يزددلون إلى الله أي يتقربون (٥) . وفيه يقضون ليلتهم متعبدين بينما تكون نيران « قزح » ملتهبة هناك ،

(١) ص ٢٠٠ ج ٢ Enc. of Islam

(٢) ص ٨٤ ج ١ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل

(٣) ص ٦٤٦ ج ٣ معجم البلدان

(٤) ص ٢٠١ ج ٢ - صحيح البخاري

(٥) ص ٨٤ ج ١ - الكشف... للزمخشري

مختطرين شروق « الألهة » .. حيث كانوا لا يفيضون من « جمع » حتى تشرق الشمس على « ثبير » ^(١) ويقولون : « اشرق ثبير كيما تغير » ^(٢) وثير جبل بمكة ، يقولون له ادخل يا ثبير في الشروق حتى تسرع للنحر ^(٣) .
 فع طلوع الشمس اذاً كانوا ينفرون الى وادي « منى » حيث يرمون الحجارة في اماكن معينة هناك ^(٤) . إما رجماً للشيطان - او كما يظن البعض - تغطية لذاك المكان بالحصاء خوفاً من زرع المكين له ^(٥) .
 ويظهر ان اول ما يصلون منى يباشرون في الذبح ، فقيل ان منى سمي بذلك لما معنى به من الدماء التي تراق فيه ^(٦) . ولما كان الذبح من اهم واقدم الشعائر التي كانوا يتقربون بها الى آلهتهم ، لذلك نرى من الفائدة ان نسهب شيئاً في الكلام عن هذه العادة .

الذبح : وهي عادة لم تخلق ارتباطاً بين الجاهليين ، بل يجب ان يكون للذبح عند التسمين ، والعرب خاصة ، فلسفة غير مجرد هذا الحل الوحشي ، ولا نشك في ان الاطعام سبب من اسبابها المباشرة .
 إما ان يقدموا على سفك دم الحيوان المسكين ، تاركين قسماً كبيراً من ضحاياه للوحش والطيور والجوارح ، ويكون السبب وحشياً محضاً ، فلا ارضاه لهؤلاء الاقوام ، مهما كانوا عليه من البداوة والفقرة . وهم ان قدموا القرابين لآلهتهم فلا يكون ذلك ضريبة جبرية ، وانما حباً باسراكمهم لهم واتحادهم معهم ، ولهذا روي ان الجاهليين كلنوا يعينون شيئاً منى حرث ونتاج لله يصرفونه للضيقات والمساكين ، (وكثيراً ما حسب هؤلاء وغيرهم ، حتى بعض الحيوانات ضيوفاً على الالهة) ، وشيئاً

(١) وقد خالفهم النبي فافاض قبل ان تطلع الشمس - ص ٥٣ ج ٥ - صحيح البخاري

(٢) ص ٩١٧ ج ١ - معجم البلدان

(٣) يراجع ص ٣١٠ ج ١ - الامثال للبيداني

(٤) اطلب المحصب : والجحمر في معجم البلدان .

(٥) ص ٢٠٠ ج ٢ - Enc. of Islam

(٦) ص ٦٤٢ ج ٤ - معجم البلدان

منها لآلهم ينفقوه على سبنتها (١) . وهذا نزل الآية : « وجعلوا لله بما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعهم ، وهذا لشركانا » (٢) . وكانوا يرون في التضحية عاملين رئيسين : الاول انتقال دم الضحية الحار الى المعبود الذي يكتفي به ، ولهذا نراه يصوب الدماء على رؤوس الانصاب والاصنام تسكيناً لغضب الاله وطلباً لرضائه . والثاني اخلال لحمها ودمها في لحوم العباد ودمائها .. ولربما كان اقدم وصف لعملية الذبح ما جاء به نيلوس سنة ٤١٠ للميلاد . وقد عرّب الاب شيخو ما وصف هذا الكاتب بما كان دارجاً عند عرب الشمال - وخصوصاً عرب بطرا ودومة الجندل - في مثل هذه المناسك ، ثبته فيما يلي :

« وليس لهؤلاء الهج دين إلا أنهم يكرمون كوكب الصبح (العزى) ويخرجون له ساجدين ، ويضجون له اجود اسراهم الذين اخذوهم في الفزوات ، وهم يفضلون لذلك الشبان اذا كانوا في عز الشباب ، وضيحي الوجوه . ويعدون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور التي يكونونها وينتظرون الفجر حتى اذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحية بالسيوف ويشربون دما .. وعادتهم اذا لم يقع في يدهم احد من الاسرى ان يضعوا ناقة من العيس خالصة البياض ، فينخونها ويدورون حولها ثلاثاً ، ثم يتقدم كاهنهم او زعيمهم بكل روثق ، وهم يتغنون باغانيم ، فيضرب بسيف اوداج الناقة ، ويتلقى دما فيشربه ثم يركض الباقرن ، ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نبتة ، ويسرعون في ذلك لئلا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس » (٣) .

فاذا صدق نيلوس ، كان هذا الذبح العربي القديم من احسن اعمال

(١) ص ٣١٠ ج ١ البيضاء

(٢) القرآن الكريم : س ٦ آية ١٣٧

(٣) ص ١٦ - النمرانية وآدابها .

الإنسان في تقديم القرбан ، وتكون بذلك الآلهة القديمة اخشن قلوباً من عبادها لتطلبها غير النذور من الحيوانات مرضاة لها ، فتقدموا لها بالإنسان نفسه .

وكما اشرنا الى قتل المنذر أسيره ابن ملك غسان ، وعددًا كبيراً من رواهب العراق ارضاء لقاسية القلب ، الآلهة العزى . ومن المحتمل ان تكون هذه الهمجية الدينية المتأنية عن الخوف من الآلهة سبباً من الاسباب التي دفعت افراداً من العرب في بعض القبائل الى وأد بناتهم ، فقبل بعد ان طأل الزمن وعفى على الاسباب البعيدة للوآد انهم فعلوا ذلك خشية العار والاملاق ، ومن ثم نزلت الآية : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » (١) .

كما وأن قصة اقدام ابراهيم على ذبح أحد ابنائه ، لا بد وان تكون معروفة بينهم ، يلخصها القرآن بما يلي : « رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي ، قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسما ، وتله للجبين ، وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ، ان هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » (٢) ... وكذلك نذر عبد المطلب ذبح ولده عبد الله ، وقد مر حديث ذلك .

والظاهر ان مثل هذه النذور العرضية لم تكف لارضاء الآلهة القديمة ، فقد حدثوا ان في بعض الاماكن من كان يثابر على تقديم الضحية البشرية كل سنة . ومن شهد على ذلك بروفيروس الفيلسوف الوثني في القرن الثاني للمسيح قال : « ان اهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضحون لألهتهم رجلاً ثم يدفونه بقرب المذبح » (٣) . كما ان البعض في اماكن اخرى

(١) القرآن الكريم : س ١٧ آية ٣٣ .

(٢) القرآن الكريم س ٣٧ آية ٩٨-١٠٨ . وراجع قصص الانبياء ص ١٥٠-١٥٣ .

(٣) ص ١٦ - النمرانية وآدابها .

كانوا يعلقون الفريسة ما بين السماء والارض امام الصنم ^(١) .
 هذا ، ولعل اقدم المذابح عند الساميين في الشمال ، وعند العرب
 انفسهم في بلاد العرب كان - كما يرى سميث - حجراً ضخماً من الحجارة
 او ركاماً تسفك عليه دماء العتيرة . وهذا السفك البسيط على هذا الركام ،
 او ذاك الحجر يقدس الذبيح ويجعل العتيرة قرباناً شرعياً . وهذا لا
 يكون فرق بين المذبح العبراني البسيط وبين النصب او للغري العربي ^(٢) .
 ولقد امتدت عادة الذبيح في منى ايام الحج الى ما بعد الاسلام .
 لذلك نرى في القرآن اشارة الى ما ذكرنا من مشاركة الآلهة عبادها في
 الفريسة حيث يقول تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
 يناله التقوى منكم » ^(٣) .

تفسير الشعور : في منى بعد الذبيح ، وفي العاشر من ذي الحجة
 ينتهي الحج وتنتهي مظاهره الكبرى . فالحج الحقيقي ، على ما يظهر ،
 هو ما وصفنا من سير الحج بعد انتهاء الاسواق الى عرفة ووقوفهم هناك .
 ثم إفاضتهم الى المزدلفة وبقاؤهم ليلة موقدين للتيران ، ثم نفورهم الى
 وادي منى حيث يذبحون ، ويحلق البعض رؤوسهم وينتهي الاخرام .
 اما لماذا يخلقون في الحج شعورهم ، فلانه كان من غريب عاداتهم ان
 يلبدوا شعورهم قبل حجهم حتى وصولهم الى منى . والتلبيد - كما ذكر
 الجاحظ - هو اخذهم شيئاً من خطمي وآس وسرو ، وشيئاً من صمغ .
 يجعلونه في اصول شعورهم وعلى رؤوسهم كي يتلبد الشعر فلا يفرق ،
 ويدخله الغبار ويختم فيقبل ^(٤) . ولعل فيما جاء في تاج العروس شيئاً من
 ايضاح الاسباب العتيقة التي توصل بها البعض - ولعلهم الفقراء من سدة منى
 نفسها - الى جعل العرب يقومون بهذه العادة العربية لغرض مادي ايضاً ..

(١) Smith : Religion of the Semites ٣٧٠ ص

(٢) ص ٢٠٢-٢٠٣ نفس المصدر .

(٣) القرآن الكريم : س ٢٢ آية ٢٨

(٤) ص ١١٤ ج ٥ - البيان والتبين للجاحظ

ذكر صاحب التاج قول ابن الكلبي ان اهل اليمن كانوا اذا حلقوا رؤوسهم بنى ، وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق ، فاذا حلقوا رؤوسهم سقط الشعر مع ذلك الدقيق . ويجعلون ذلك الدقيق صدقة . فكان اناس من اسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه ، يرمون الشعر ويلتفتون بالدقيق ^(١) . ولا ارى بعيداً ان اولئك الاقوام وغيرهم انما كانوا ينتفون بالشعر ايضاً . وبغير ما ذكرنا لا نفسر التليد والخلق ، ولا نقبل مطلقاً سبباً دينياً محضاً .

ولم تكن عملية التقصير والخلق تحصل في منى فقط ، اذ كان هنالك بينهم من لا يرى تماماً لحجه الا اذا جاء صنمه وحلق عنده . ذكر ابن الكلبي حديث رجل من قريش قال : « كانت الاوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب اهل يثرب وغيرها ... يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يخلقون رؤوسهم . فاذا نفروا اتوه (يعني صنم مناة) فحلقوا رؤوسهم عنده واقاموا عنده . لا يرون لحجهم تماماً الا بذلك » ^(٢) . وقد جاء بيت لزهير بن ابي سلمى في قصيدته الجميلة : « صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلم » يشير الى هذه العادة وهو قوله : « فاقلمت جهداً بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل » ^(٣)

وفي رواية ابن الكلبي : « حلفت بانصاب الاقصر جاهداً » ^(٤) وهي رواية تفيد ايضاً انهم كانوا يخلقون عند اصنامهم .

وامتدت هذه العادة حتى دخلت الاسلام . وامر النبي بالخلق او التقصير ، وكان يقول : اللهم ارحم المحلقين والمقصرين ^(٥) .

العمره والسعي : اما ما يسمونه « العمره » - وفيها ايضاً يجرمون ،

(١) ص ٤٨٦ ج ٣ - تاج العروس .

(٢) ص ١٤ كتاب الاصنام .

(٣) ص ٨٩ - المقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين

(٤) ص ٣٨ كتاب الاصنام . راجع ص ٣٤٠ ج ١ : معجم البلدان

(٥) ص ٢١٣ ج ٢ صحيح البخاري

ومن اخص اعمالها الطواف بالبيت - فهي على ما نرى حج اصغر لا يجوز ان يقوموا به في اشهر الحج . حتى انهم « كانوا يرون ان العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور في الارض » (١) .

ولعل غالب اعتارهم في رجب - وان جاز الاعتار طوال السنة - والسبب ، كما اراه واضحاً ، هو حرمة هذا الشهر . والاشهر الحرم كما هو معلوم اربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ورجب . فلما حرموا العمرة في الثلاثة الاولى ، وكان الرابع « رجب » شهراً حراماً ، رأوا ان يقدوا الى مكة به حتى يكونوا آمنين على نفوسهم واموالهم عند الاعتار . والاعتار او العمرة لغةً ، القصد ، كالحج . وتسمى بالحج الاصغر (٢) وعملها ، كما قال الزجاج : الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة (٣) . كما انها تفترق عن الحج كونها للانسان في السنة كلها ، والحج وقت واحد في السنة ، وذلك في اشهر معلومات : شوال وذو القعدة ، وعشرة من ذي الحجة (٤) .

واما السعي بين الصفا والمروة ، فعادة وثنية قديمة . وكنا ذكرنا انه كان على الصفا والمروة اساف ونائله ، يسعون بينها ويتمسحون بها . ولربما ارجعوا هذه العادة الى هاجر نفسها ، وذلك حينما عطش طفلها اسماعيل ، واخذ يتلوى من شدة العطش في مكان زمزم « قبل ان يكون ماء في زعمهم » يوم اخذت تصعد تارة الى الصفا وتنحدر طوراً الى المروة تسعى سعي الانسان المجهود . ولقد نسبوا تعليق السعي بفعل هاجر الى النبي قائلًا : فلذلك سعى الناس بينها (٥) .

واستمرت هذه العادة ايضاً حتى اصبحت شعيرة من شعائر الحج في

(١) ص ١٧٥ ج ٢ صحيح البخاري

(٢) ص ١٤٧٠ ج ٢ محيط المحيط لبطرس البستاني

(٣) ص ٤٢٢ ج ٣ - تاج العروس

(٤) راجع ص ٢٨٢ ج ٦ لسان العرب

(٥) ص ١٠٦ ج ١ تاريخ الخميس .

الاسلام . ولما كانت السعي عملاً دينياً في الجاهلية ، لذلك تهيب الناس القيام به في الاسلام ، فجاءتهم الآية : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم » (١) .

الطواف والتلبية: ولعل الطواف عند الذبح بالصنم او الحجر المؤله هو اصل الطواف الذي كانت تقوم به قريش والعرب قبل الاسلام حول الكعبة . كما ان التهليلات التي كانوا يرددونها لا يستبعد ان تكون تطوراً لصراخهم الذي كان يصطبب قتل الضحية ، والذي يمكن ان يكون في شكله الاول ندباً على موتها ، بل ان « سمث » يرى ان هذا النذب الذي اتخذ شكل مديح مرتل - كما وصف نيلوس - قد انحط الى ترديد للكلمة : « ليك » لا معنى له (٢) . وهو يرى ايضاً ان التهليل كان يصطبب الرقص حول المذبح حيث ان الرقص - في نظره - والغناء ما كانا لينفصلا في العصور الأولى (٣) .

ومن هذا القبيل قولهم : « سميت مكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجتنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه ، اي نصر صغير المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بايديهم اذا طافوا بها » (٤) وقد جاء في الكتاب : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » (٥) وهما لا يختلفان كثيراً عن نعم الذين كانوا يطوفون بالاقصر وغيره . قال ربيع بن ضبع الفزاري :

فانتي والذي نعم الاله له حول الاقصر تسبيح وتهليل (٦)

(١) القرآن الكريم س ٢ آية ١٥٣

(٢) ص ٤٣١ - ٣٢ : Rel. of the Semites : Smith

(٣) ص ٣٤٠ نفس المصدر .

(٤) ص ٦١٦ ج ٤ معجم البلدان .

(٥) القرآن الكريم س ٨ آية ٣٥ .

(٦) ص ٣٩ كتاب الاصنام .

وأما تليياتهم فكانت تختلف باختلاف القبائل حتى كاد أن يكون لكل قبيلة كبيرة تلية خاصة بها . قال اليعقوبي : « كانت العرب إذا أرادت حج البيت الحرام ، وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ثم تلبوا حتى تقدموا مكة فكانت تليياتهم مختلفة ^(١) فلتراجع في مكانها من تاريخه ، على أننا ثبت منها تلييات ثلاث قبائل : تلية قريش :

لييك اللهم لبيك اميك لا شريك لك
تلكه وما ملك

وتلية نعيم :

لييك اللهم لبيك لبيك لبيك عن نعيم
قد تراها أخلقت أثوابها وأثواب من وراءها
وأخلصت لربها دعاءها

وتلية ثقيف : لبيك اللهم ... إن ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك .

وقد ذكر ابن الكلبي في كتابه الأصنام : تلية نزار :

لييك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك ، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك .

وتلية عك . وكانت إذا خرجت للحج ، قدمت أمامها غلامين أسودين من غلمانها يقولان .

نحن غرابا عك !

فتقول عك من بعدهما .

عك اليك عانية عبادك البانية

كما تخرج الثانية ^(٢)

هذا ، ولم تختلف التلية في الإسلام عما كانت عليه من صيغها والفاظها .

(١) ص ٢٩٦ ج ١ تاريخ ابن واضح اليعقوبي .

(٢) ص ٧ كتاب الأصنام .

رووا عن عائشة قالت : « اني لاعلم كيف كان النبي ﷺ يلي : لبيك اللهم ليك ؟ ليك لا شريك ليك ، ان الحمد والنعمة لك » (١) .

النسيء والحبس : ذكرنا في السابق ما كان عليه العرب من تعظيم لامكنة خاصة وشهور معينة يتعرجون فيها القتال ، لا يسفكون دماً ولا يقتوفون مظلمة .. ولما كان الاخذ والعطاء يحتاجان اماناً وسكينة ، لذلك وجدناهم يقيمون اعظم اسواقهم في الاشهر الحرم ، حتى ان الرجل كان يلقي فيها قاتل ابيه او اخيه فلا يبيحه (٢) . على ان منهم من شذ عن هذه القاعدة فاستحلوا المظالم في هذه الاسواق ، ولهذا سموا « بالحلّين » فأنكر عليهم البعض ذلك ، ونصبوا انفسهم لنصرة المظلوم ، والمنع من سفك الدماء ، وارتاب المنكر فسما « بالزادة المحرمين » . ولبسوا السلاح لدفعهم عن الناس ، والعرب بين اولئك وهؤلاء يضعون اسلحتهم في الاشهر الحرم (٣) .

وليس بعجيب ان يشذ اناس ويستحلوا حرمة هذه الاسواق ، فقد كان يحدث ما ينتهك حرمة الحج نفسه في الاشهر الحرم ، وهذا الشنفرى - كما يروى - يقدم منى وبها حرام بن جابر فيقال له : هذا قاتل ابيك ، فيشد عليه ويقتله ، ثم يسبق الناس على رجله وهو يقول : قتلت حراماً مهدداً ببلد بيطن منى وسط الحجاج المصوت وهذا البيت في قصيدته التائية الرائعة التي يقول في مطلعها :

أرى ام عمرو أزمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت (٤)

ولا بأس .. فالبدوي مها قوي دينه - وهو ضعيفه عادة - لا يصد عنه طلب ثأره ، فكيف يسكت هذا الصعلوك المتشرد عن قاتل أبيه ؟ لا أظنه فاعلاً حتى ولو كان في جوار البيت . وكيف لا يقدم

(١) ص ١٧٠ ج ٢ صحيح البخاري .

(٢) ص ٩٦ ج ٣ بلوغ الارب .

(٣) راجع ص ٣١٤-٣١٥ ج ١ - تاريخ العقوي .

(٤) راجع اخبار الشنفرى في ص ١٣٤-١٤٣ ج ٢١ من كتاب الاغاني

على الأخذ بثأر أبيه وهناك ، حتى أوائل هذا القرن ، أعراب كانت في الحجاز تنتهك حرمة الحجاج أو تقدم على قتلهم . ، أحياناً ، إذا لم يستسلموا لنهب أموالهم . ولعل الفقر المدقع وضعف اليد المسيطرة هما سبب القدوم على سلب الجميع ونهبه ، فكيف بالشنفرى والتضية قضية ثار؟؟ هذا ، ولما كانت وطأة الأشهر الحرم ثقيلة عليهم يضجرهم تتابع أشهر ثلاثة متوالة منها ، لذلك رأوا في النسيء مذهباً يحلهم من هذا القيد . والنسيء يعطي في اللغة معنى التأخير . وأصله من نَسأت الشيء إذا أخرته ^(١) يقول جرير العود :

فتقتضي مواعيد منسآت واقضي ما علي من النذور ^(٢)

وجاء في ابن هشام : « كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من أشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ويؤخرون ذلك الشهر » ^(٣) وفي الأمازي : « كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة فقال : أنا الذي لا أعاب ولا يرد لي قضاء . فيقولون له انسئنا شهراً أي أخر عنا حرمة الحرم فاجعلها في صفر . وذلك لأنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تمكنهم الاغارة فيها لأن معاشهم كان من الاغارة . فيحل لهم الحرم ، ويحرم عليهم صفر ، فإذا كانت السنة المقبلة حرم عليهم الحرم وأحل لهم صفر » ^(٤) . ولهذا نزلت تحريم عليهم النسيء الآية : « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً » ^(٥) . ومن العرب من كان لهم ثمانية أشهر حرم وهي البسل فيما يزعمون . كانت لبني لؤي من بين العرب كل سنة ، قد عرفت لهم العرب ذلك ،

(١) راجع المعاجم .

(٢) ص ٢٦ - ديوان جرير العود .

(٣) ص ٢٩ - ٣٠ السيرة .

(٤) ص ٥ - ٦ كتاب الأمازي لابي علي الغالي .

(٥) القرآن الكريم ص ٩ آية ٣٧ . راجع تفسير الطبري والزمخشري .

لا ينكرونه ولا يدفعونه ، يسرون بها الى اى بلاد العرب شاءوا لا يخافون فيها شيئاً (١) .

وكانت قريش قد ابتدعت امر المحس ، ولا ندري متى ؟ والإحس في اللغة من محس . وهو المتشدد بالدين ، والمحس لقب لقريش ومن ولدت (٢) . ولعلمهم استغلوا نفوذهم في قبائل العرب ، وسداجة من حولهم ، ولم يكتفوا بالزعامة التجارية التي كانت تتجلى في الاسواق ، بل آلوا على انفسهم ان يصطبغوا بصبغة دينية - ولعلها وسيلة للسيطرة التجارية ايضاً - لينفردوا بالحرمة والتقديس ، وليتمكنوا من التموه على الناس محافظة على تلك الزعامة .

وبما كانوا يقولون فيما بينهم : « نحن بنو ابراهيم ، واهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقاطن مكة وساكنها فليس لاحد من العرب مثل مثل حقنا ، ولا مثل منزلنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم ، فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بمحرمتمكم ، وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم » (٣) .

والكتاب بقوله : « وافيضوا من حيث افاض الناس » (٤) يشير الى تركهم الوقوف على عرفة والافاضة منها . وهم يرون لسائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها . إلا انهم قالوا : نحن اهل الحرم فليس ينبغي لنا ان نخرج من الحرمة . وهذا يدل على مقدار تمسكهم بتلك المكانة التي كانت لهم .

ثم ابتدعوا اموراً لم تكن ، فرضوها على انفسهم . فاذا نسكوا لم يدخلوا البيوت من ابوابها ، ولا استظلوا إلا قباب الأدم ، ولم يمسوا

(١) ص ٦٦ - السيرة .

(٢) ص ٢٣٢ ج ٤ - تاج العروس .

(٣) ١٢٦ السيرة

(٤) القرآن الكريم ص ٢ آية ١٩٩

النساء ولا الطيب ولم يسلوا سمناً ، ولا ادخروا لبناً ، ولا اكلوا لحماً^(١) .
واحبوا ان يعمموا شيئاً على أهل الحل ، فقالوا لا ينبغي لهم ان
يأكلوا طعاماً جاءوا به معهم من الحل الى الحرم .. كما يجب على أهل
الحل ان لا يطوفوا إلا في ثياب المحس ، فان لم يجدوا طافوا في البيت
عراة . اما الرجال فكما خلقهم الله .. واما النساء فتضع الواحدة درعاً
مفرجاً عليها^(٢) . وجاء في البخاري ما يفيد ذلك^(٣) .

وليس بعيداً ان يكون وراء اشتراطهم هذا ، واعني تحريمهم على
الناس اكل ما جاءوا به من طعام من الحل الى الحرم ، وطوافهم الا
في ثياب محس ، سبب آخر غير التحريم والتحليل .. الا وهو رواج
ما عندهم في مواسم الحج من مأكول وملبوس ، وفي ذلك ما فيه من
الاستفادة التجارية .. وهل معاشهم - كما قال عمر - الا من التجارة
في الحج ؟

وقد حرم النبي على العرب فيما حرم طوافهم بالبيت عراة ، وذلك
حينما أمر قبل حجة الوداع ان يؤذن في الناس الا يحج بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان^(٤) .. كما نزلت الآية تقول : « خذوا
زينتكم عند كل مسجد »^(٥) .

(١) س ٢٩٨ ج ١ تاريخ اليعقوبي .

(٢) س ١٢٨ النيرة .

(٣) س ٢٠٠ ج ٢ صحيح البخاري .

(٤) س ١٨٨ ج ٢ نفس المصدر .

(٥) القرآن الكريم س ٧ آية ٣٠ .

الباب السادس أساطير الأولين

الفصل الاول : قحطان وعدنان

تمهيد - الفحطانيون والعدنانيون - الاختلاف بين الشعبين

تمهيد : لا يمكن لباحث ان يضع تاريخاً كاملاً لحياة فرد او شعب الا بعد ان يقف على جميع ما له صلة بعيدة او مباشرة بهذا او ذاك . ولهذا نرى ان من اسقم التواريخ تاريخ العرب قبل الاسلام . وكلما اوغلنا فيما وراء الهجرة زاد هذا التاريخ غموضاً على غموض . ولو لم يكتشف المنقبون شيئاً من النقوش لظل الكثير من هذا التاريخ في سدفه من الابهام . ففني عن البيان اذاً ان مثل هذه النقوش المكتشفة في بلاد العرب قد اوضحت نواحي لم تتخلها مشاعل المؤرخين اليونان ولا العرب انفسهم وإن كانت لا تزال اقل من ان تمكثنا من رسم الحدود المطلوبة لهذا التاريخ .

هذا ، وتعتبر التوراة من اقدم المصادر التي تعرضت لتاريخ الجاهلية فذكرت اشياء عن العرب القدماء . ولقد ذكر العرب ايضاً في الآداب اليونانية حيث مر بهم ايسخلس Aeschylus (٥٢٥ - ٤٥٦ ق. م) . وتبعه ابو التاريخ هيرودتس (٤٨٤ - ٤٢٥ ق. م) ثم ديودورس الصقلي ،

وبلي هؤلاء جغرافيان نبغ الاول في قبح التاريخ الميلادي وهو الرحالة استرابون اليوناني ، والثاني في اواسط القرن الثاني للميلاد وهو

بطليموس . وقد خصصا في مؤلفيهما قسماً وافراً للعرب فذكر الكثير
عن احوال قبائلهم واماكنهم .

وبين ما ذكرنا ، وبعدهم نبغ آخرون نتركهم لمن يشاء ان يستقصي
تاريخ العرب القدماء ، فلقد قبل انهم اوردوا نقفاً ههنا وهناك لا تخلو
من فائدة للباحث في هذا الموضوع الشائك الشائق .

وبما لا ريب فيه ان اهم المصادر - بعد النقوش والآثار - ووسعها
كتابة هي التواريخ العامة التي وضعها مؤلفو العرب . ولا بأس من ذكر
بعضها في هذا السياق امثال السيرة لابن اسحاق (١٥١ هـ) وهي رواية ابن
هشام (٢١٨) وكتاب المعارف لابن قتيبة (٢٧٦) وتاريخ ابن واضح اليعقوبي
(٢٧٧) وتاريخ الرسل والملوك للطبري (٣١٠) ومروج الذهب للمسعودي (٣٤٦)
ثم ابن الاثير وابو الفدا وابن كثير وابن خلدون .

ويجب ان لا ننسى الكتب الجغرافية كصفة جزيرة العرب والاكلیل (٨)
للهمذاني (٣٣٤) ومعجم ما استعجم للبكري (٤٨٧) ومعجم البلدان لياقوت (٦٢٦)
وهناك اخبار وامثال واشعار كثيرة في الكتب الادبية كالعقد لابن
عبد ربه (٣٢٨) والاغاني لابي الفرج الاصبهاني (٣٥٦) والدواوين الجاهلية
المعروفة ، والمحاسن والجمرة والمفضليات والشعر والشعراء ، وطبقات
الشعراء ، وجمع الامثال وكلها مأخذ هامة يحتاج اليها المؤرخ ، والاديب
على السواء . ولا يسعنا هنا الا ان نشير الى الكتب التاريخية والادبية
الاخري التي لا بد للمؤرخ والاديب من الاطلاع عليها .

ومن دواعي الاسف ان تملأ الروايات الكثيرة التباساً وخطأً لا يفوتان
الباحث الحق . ولقد اشار تشر Thatcher الى ذلك فقال : ان من
عادة المؤرخين العرب ان يبدؤا تواريخهم بنشأة الخليفة ثم ينحدرون بها
الى الزمان الذي يعيشون فيه . وبالنسبة يكون حتى أحكم التواريخ
محشواً بجزعيلات السنين الأولى (١) .

ولعل اهم الاسباب التي جعلت سبيلاً الى تخلل الالتباس والخلط هو عدم التدوين وتناقل الاخبار اجيالاً دون ضابط حتى ظهر ذلك جلياً في الانساب وهي التي اهتم بها الرواة جد الاهتمام . ولا سبيل الى الاستشهاد في هذا الموضع فهي اوضح من ان يشار اليها لمطالع تلك الكتب . ولقد كان ابن خلدون على حق حينما أشار الى قول ابن حزم بعد ذكره انساب التبابعة مثلاً : « وفي انسابهم اختلاط وتخليط وتقديم وتأخير ونقصات وزيادة . ولا يصح من كتب اخبار التبابعة وانسابهم الا طرف يسير لاختلاف رواياتهم وبعد العهد » (١) . ولا طرى هذا القول الا صادقاً في انساب القبائل الاخرى . وفي التالي يصدق ايضاً على بقية اخبارهم التي يروونها عنهم في حوادث ما قبل الاسلام .

القحطانيون والعذنانيون : لا شك في ان جزيرة العرب من اقدم البلاد التي دب عليها الانسان الاول واسس فيها على مره العصور حضارات ترجع الى ما قبل المسيح باجيال واجيال .

هذه الجزيرة التي يحفها شاطئ الفرات الاعلى وسيف حضرموت وساحلا الاحمر والفاوسي من جهاتها الاربع ، تعد من اكبر صحاري الارض المعروفة ، وهي ارض الساميين ، والبعض يحظن انها وطنهم الاصلي . وبالرغم من ان ذلك لا يمكن ان يكون القول الفصل ، فان دراسات المختصين بالشؤون السامية ، اللغوية منها والاثريّة قد اظهرت احتمال ذلك ، فالرحيل من الجزيرة سهل التصور ، والهجرة الى اطرافها الشمالية الحصبة كانت ولا تزال طبيعية ، وان لم يعرف التاريخ شيئاً واضحاً عن تلك الهجرات الاولى (٢) . اما النظرية الافريقية التي يأخذ بها من يعتبر ان هنالك صلات نسب بين الساميين والحاميين ، والتي تقول ان موطن الساميين الاول هو افريقية الشرقية ، فانها تزح تحت الكثير من الأسئلة

(١) ص ٥٨ ج ٢ تاريخ ابن خلدون .

(٢) ص ٢٦٣ ج ٢ Enc. Brit. .

التي لا تجيب عليها ، وكذلك النظرية العراقية التي تقول بان Mesopotamia هي الموطن الاصلي ، وبذلك تصطدم بنظام التطور الاجتماعي ، وتنقل شعباً على ضفاف نهر خصب من عهد زراعي زاهر الى عهد بداءة . وعليه تظل النظرية التي اتقول ان بلاد العرب موطن الساميين الاصلي اكثر قبولاً من غيرها ^(١) .

وكانت هذه الجزيرة منذ البدء تنقسم ، او اعتادوا ان يقسموها الى قسمين رئيسيين : جنوبي وشمالى . ليس فقط لانها منفصلان بما يسمونه بالربع الحالى وانما لان الكثيرين من مؤرخي العرب ومن تبعهم ايضاً ميزوا بين شعبين كبيرين ينتسب اليها كافة العرب . وهما الشعب القحطاني وفروعه في اليمن وغيرها ، والشعب العدناني وفروعه في الحجاز وما يليها . حتى ان بدوي اليوم إذا قال عن اناس « ما لهم اصل » ، فربما فهم من كلامه انهم لا ينتسبون الى قحطان او عدنان ، فهم ليسوا بعرب ^(٢) . فاذا ما قلنا قحطانيون فانما نعني بذلك القبائل اليمنية التي تنتسب الى قحطان « وقحطان ابو اليمن كلها » ^(٣) . وعلى ذلك اجمع المؤرخون . وهو اول من ملك اليمن على رأي الطبري ^(٤) الا انه ، وان اجمع المؤرخون على نسبة القحطانيين له ، وعلى انه ابو القبائل اليمنية ، فانهم اختلفوا في نسبة نفسه . فالبعض يصله باسماعيل بسلسلة مما طرفاها ، وبينها حلقات ثلاث . والبعض ، وهو الاشهر ، يلحقه بنوح في قولهم : هو قحطان بن فالغ بن عابر بن صالح بن ارفخشذ بن نوح ^(٥) . وهذه الاسماء هي ، كما يرى البعض ، تعريب بسيط لما جاء منها بالعهد القديم ^(٦)

(١) ص ١٠ Ph. Hitti : History of the Arabs

(٢) ص ٢٨٢ Ch. M. Doughty : Travels in Arabia Deserta

(٣) ص ٤ - السيرة

(٤) ص ٢١٧ - تاريخ الطبري

(٥) ص ٢٤٠٠ - نفس المصدر

(٦) ص ٦٢٩ Enc. of Islam

ولقد ذكر المسعودي : « ان قحطان هو (يقطن) وانما عَرَّبَ فقيلاً له قحطان » (١)

ومن قحطان يتفرع اكبر قبيلتين ينتسب اليها فيما بعد بطون اليمن ، ونعني بها حمير وكهلان . وهما كما يقول المسعودي ايضاً ، ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٢) .
ورجوعاً الى ما مر معنا تكون السلسلة كما يلي :

نوح

•

•

•

•

قحطان

يعرب

يشجب

سبأ

كهلان

حمير

ولقد برهنت النقوش التي ترجع الى القرن التاسع ق. م. (ومنهم من يرجعها الى القرن السادس عشر ق. م) على وجود اربع ممالك متحضرة على الاقل في خلال تلك العصور القديمة وهي : المعينية ، والسبئية ، والقبتانية ، والحضرية (٣) . ويشير زيدان الى ذكر استربون لها مع عواصمها على التوالي : قرنا ، مأرب ، تمنا ، شبوة (٤) .
على ان قليلاً جداً ما هو معروف عن المملكتين الاخيرتين ، ولهذا

(١) ص ١٤٣ ج ٣ مروج الذهب

(٢) ص ٧٠ التنبيه والاشراف

(٣) ص ٢٦٤ ج ٢ Enc. Brit

(٤) ص ١١١ العرب قبل الاسلام

كانت اهم الدول التي بلغنا خبرها هي الميعينة ، والسبأية ، والحميرية . ولم يعرف العرب على ما يظهر سوى الدولة الحميرية التي تنتسب الى حمير وارث ابيه سبأ . حتى ان بعضهم قصروا تاريخ العرب الى ثلاثة اقسام اولها السبأية والحميري مبتدئاً باوائل القرن الثامن ق. م (وهو في رأيهم تاريخ اقدم نقش عيني) وممتداً حتى اواخر القرن الخامس للميلاد حيث يبتدئ الدور الثاني او الجاهلي او ما قيل الاسلام ، واما الثالث فمن الهجرة حتى يومنا هذا (١) .

هذا ، وكما تفرقت قبائل قحطان من قحطان ، كذلك من عدنان - كما يقول ابن اسحاق - تفرقت القبائل من ولد اسماعيل بن ابراهيم (٢) واليه ينتهي نسب النبي الذي - كما يرى الطبري - لا يختلف النسبوت فيه (٣) . ومن هذا يفهم ان عدنان وان اختلف في نسبه الذي يوصله الى اسماعيل ، فانه لا يوجد اختلاف في النسب الذي يوصله بمحمد . ولا بأس من ايراد نسب الرسول كما جاء في السيرة . فهو : محمد - عبدالله - عبد المطلب - هاشم - عبد مناف - قصي - كلاب - مرة - كعب - لؤي - غالب - فهر - مالك - النضر - كنانة - خزيمة - مدركة - الياس - مضر - نزار - معد - عدنان (٤) . واتنا لنذكر حلقات هذه السلسلة لانها اساس القبائل التي تفرعت وكونت الشعب الاسماعيليين او العدنانيين او المعدي او النزاريين تمييزاً له عن الشعب الاول وهو القحطاني . وكما كان لسبأ حمير وكهلان - او كما يقول « سمث » كهلان وقضاعة التي تنتسب الى قحطان عن طريق حمير (٥) - ، كذلك كان لنزار ربيعة ومضر اللذان تفرعت منها اشهر القبائل الاسماعيلية فيما بعد . ولا بأس من رسم سلسلة تشير الى اهم هذه القبائل :

(١) R. A. Nicholson: A Literary History of the Arabs—XXVI ص

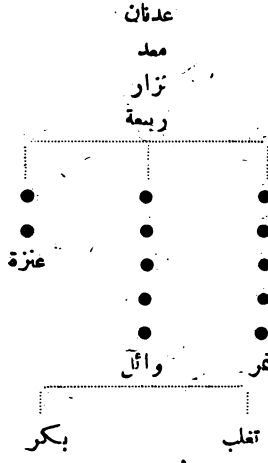
(٢) ص ٥ - ٦ السيرة

(٣) ص ٣ نفس المصدر

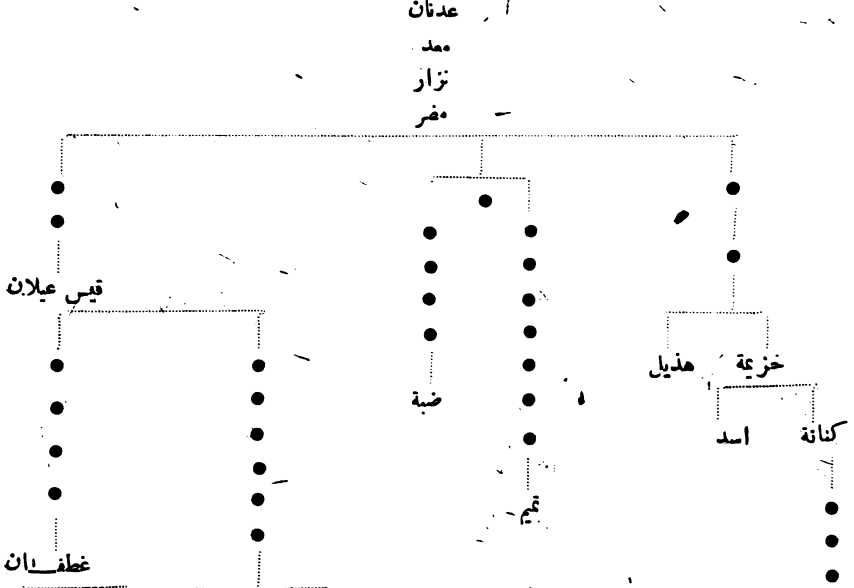
(٤) ص ١١١٢ ج ١ - تاريخ الطبري

(٥) ص ٨ R. Smith : Kinship and Marriage in Early Arabia

بطون ربيعة



بطون مضر



هجر (قريش) (١)

(١) - تشير كل نقطة في الرسمين الى حلقة واحدة في سلسلة النسب وتعرف القبائل (ضبة - تميم - خنزعة - هذيل - اسد - كنانة - قريش) بخندف ، وذلك تمييزاً عن قيس عيلان .

يراجع Nicholson XIX

الاختلاف بين الشعبين : ولا يصعب على الباحث ان يستنتج من الروايات التي تتعلق باحوال هذين الشعبين التقطاطي والعُدائي استنتاجاً عاماً شاملاً ، فلاحظ ان اهل الجنوب كانوا يتمتعون بنظام اجتماعي ارفع بكثير من نظام عرب الشمال . فقد كان في اليمن استقرار أدى بهم الى بناء قصور وقلاع . وبالتالي الى حضارة ثابتة ، بينما سادت البداوة بين جيرانهم الشماليين فغلب عليهم الرحيل وعدم القرار ، ولهذا لم يتروكوا ، كما ترك اهل الجنوب آثاراً كلما اكتشف منها شيء دل على عظمتهم ومضمارهم في الرقي والحضارة .

وقد كان الشعبان في نزاع حتى الى زمن النبي . ولربما كان هذا النزاع قائماً في الاصل على ما بين البداوة والحضارة من نزاع مستمر (١) . وكان هذا النزاع يتجلى في اشتباك القبائل اليمنية والنزارية قبل الاسلام وفي المفارقات التي كان يتنافس بها شعراء الفريقين كقولهم مثلاً :
إذا افتخرت قططان يوماً بسؤدد

أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا (٢)

وتجلت هذه العداوة ايضاً بين الانصار اليمنيين وقريش . وقد بلغت حدتها بعد وفاة النبي . ومن ثم أثرت تأثيراً ظاهراً في القرنين الاولين من تاريخ الاسلام . وبما يروى في مروج الذهب : « وكان السفاح يعجبه المحادثة ومفارقات العرب من نزار واليمن والمذاكرة بذلك (٣) » . والظاهر ان الاديان والمعتقدات والعادات واساليب المعيشة كانت ايضاً مختلفة عند الشعبين ، حتى ان هنالك اختلافاً بالاسماء الشائعة بينهما . ولعل اشهر وجوه الاختلاف بينها اللغة (٤) . فلقد كان لليمنيين لغة تختلف كل الاختلاف عن لغتنا العربية ، ولم يكن يعرفها من العرب

(١) راجع ص ٦٢٩ ج ٢ Enc. of Islam

(٢) ص ١٤٢ ج ٢ - مروج الذهب .

(٣) ص ١٣٦ ج ٦ نفس المصدر .

(٤) ص ٦٢٩ ج ٢ Enc. of Islam

الشماليين (ان كان بينهم من يعرفها) إلا القليل القليل .

اما الشعراء اليمنيون الذين نبعوا في الجاهلية والاسلام فانهم من تلك القبائل اليمنية التي نزحت عن اليمن وسكنت بطن الجزيرة ، وشمال الحجاز والشام والعراق وغيرها من الاماكن في بلاد العرب ، والتي اصحت لا تختلف عن غيرها من قبائل مضر وزبيعة في العادات والمعتقدات واللغة . ولهذا نرى الكتب الأدبية تتكلم عنهم وعن شعرائهم كما تتكلم عن غيرهم من العرب الشماليين دون غيرهم . وعليهم معاً قصرت الآداب العربية بحوثها ومآثرها واسعارها . ولا عجب في ذلك فان ادب النجوم لا يكون الا بلبغة ذلك القوم . ولهذا نرى كل من عني بدراسة الآداب العربية او اي فرع منها ، قديماً وحديثاً انما يتناول في حديثه شيئاً من اعمال عرب الحجاز ومن يليهم وان كان يتطرق الى احاديث اخرى تدور في جوارها على ما له من صلة مباشرة او بعيدة بهم ^(١) .

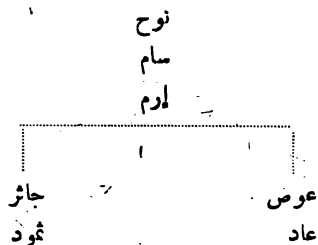
الفصل الثاني : اساطير العرب البائدة

ولم تقتصر اساطير العرب على ذكر القريب من حوادث هذين الشعبين ، وانما قد تجاوزت حتى قحطان وعدنان . ولقد اشرنا في صفحات سابقة الى قصصهم عن بناء مكة والكعبة ، والى رواياتهم التي ترجع الى عهد اسماعيل وابراهيم منذ ان وفدا الى الحجاز في زمن لا نعرفه تماماً . ومن المعلوم ان هنالك اساطير خاصة اخرى تناولت اقواماً قد سأت عدنان في القدم غفى عليها الزمن وابادها الدهر . وهم من اعتدنا ان نطلق عليهم اسم العرب البائدة . وأشهر قبائلهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرم والعائلة .

اما عاد وثمود فشقيقتان في النسب ، او هما بالأحرى بنات اعمام اشير الى مصيرهما في القرآن وعيداً وموعظة للذين كفروا . وهما من طغى

(١) اراجع كتاب في « الأدب الجاهلي » للدكتور طه حسين ص ٨٤ - ٨٧ .

بعد ان اهلك الله الناس بطوفان نوح الذي تتبسان اليه عن طريق إرم وسام . فالنسب كما جاء في الطبري ^(١) يوضحه الرسم الآتي :



عاد : وكانت منازل عاد ، كما يذكر ياقوت ، الاحقاف ^(٢) . ويقول ابن قتيبة : « وكانت عاد ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمل ، وبلادهم أخصب بلاد الله ، وكثرتهم وذيارهم بالهو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان الى حضرموت الى اليمن ^(٣) » . ولا ندري كيف نوفق بين نزولهم الاحقاف ، تلك المنطقة العقيمة الجرداء ، او الرمل على رأي ابن قتيبة ، وبين قوله : وبلادهم أخصب بلاد الله ؟

ولعل الآية : « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة » ^(٤) هي التي جعلت المؤرخين العرب والمفسرين يوقنون بان هؤلاء الاقوام عاشوا بعد نوح وانهم كانوا عمالقة جبارين حتى قيل : « كان اقصرهم ستين ذراعاً واطولهم مائة ذراع ! » ^(٥) .

هؤلاء الذين قيل فيهم : « واذابطشتم بطشتم جبارين » ^(٦) كانوا اهل

(١) ص ٢٣١ ج ١ - تاريخ الطبري .

(٢) ص ١٠٢٧ ج ٤ معجم البلدان .

(٣) ص ١٥ كتاب المعارف .

(٤) القرآن الكريم س ٧ آية ٦٧ .

(٥) ص ٢٦٧ ج ١ الكشف للعشري

(٦) القرآن الكريم س ٢٦ آية ١٣٠

اوثان يعبدونها . وهي على رأي الطبري صدا ، وصودا ، وهبا (١) . ثم ظلموا في الارض وجحدوا « واتبعوا امر كل جبار عنيد » (٢) . فأرسل الله اليهم اخاهم هودا فعصوه وكذبوه الا قليلاً منهم (٣) فاصابهم القحط الشديد فجهزوا منهم وفدأ الى مكة يستسقون لهم فنزل الوفد بظاهر مكة في خارج الحرم ضيوفاً على سيد المكان معاوية بن بكر ، واقاموا عنده شهراً يشربون ويقصفون وتغنيهم « الجرادتان » - قينتان لمعاوية - حتى نسبوا الغاية التي وفدوا من اجلها . فاعوز معاوية الى قينتيه فذكرتاها ، غناءً ، بالامر الذي جاءوا من اجله فخرجوا الى مكة يستسقون لعاد ، وهناك ظهرت لهم سحائب ثلاث : بيضاء وحمراء وسوداء . ثم نادى من السحب مناد : يا قيل (احد رؤساء الوفد . وكان بينهم لقمان صاحب ابد) اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب . فاختر السوداء طمعاً بكثرة ماها . فقال المنادي :

اخترت رماداً زمدأ لا تبقي من عاد أحداً

وظارت السحابة الى مغيث ، وادي عاذ ، فاستبشروا ، وقالوا هذا عاوض بمطرنا ، فقتل لهم : « بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها » (٤) . فصعدوا للسحابة يصدونها ، واخذوا يرمونها بالسهام ويقولون : بأسنا أشد من بأسك يا رب هود !! غير انها كلنت تحمل الواحد منهم فتدق عنقه ، وهكذا حتى قيل بهم : « فاهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليلال وثمانية ايام احسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية » (٥) . ولم يهلكوا فحسب ، وانما ارسلت عليهم طيور سود فنقلتهم الى البحر ،

(١) ص ٢٣١ ج ١ تاريخ الطبري راجع ص ٦٠ ج ١ - الكامل في التاريخ

(٢) القرآن الكريم س ١١ آية ٦٢ .

(٣) راجع القرآن الكريم س ٢٦ آية ١٢٣ - ١٤٠ .

(٤) القرآن الكريم س ٢٦ آية ٢٤ .

(٥) القرآن الكريم س ٦٩ آية ٦ - ٨ .

وهذا يفسرون « فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم » (١) .

ثم ارتحل هود ومن آمن معه الى مكة - على رأي ابن قتيبة - (٢)
فلم يزالوا بها حتى ماتوا . وفي رواية اخرى الى بلاد اليمن حيث نزلوا
هناك ، واقاموا حولين كاملين . وادركت هوداً الوفاة ودفن في ارض
حضر موت (٣) . وقد اشارت الآية الى نجاة هود وصحبه فقالت : « ولما
جاء امرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا » (٤) .

ارم ذات العماد : ولم تكن الاساطير التي حيكت حول مدينتهم
باقل طلاوة من اساطير القبيلة نفسها . ولقد ذكر القرآن هذه المدينة في
سورة الفجر فقال : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي
لم يخلق مثلها في البلاد » (٥) .

وكان لعاد ولدان شداد وشديد ، ملكا زمناً وقهراً . ولما مات
شديد انقرض شداد بالحكم ، وملك الدنيا ودانت له ملوكها . وقد سمع
بذكر الجنة فاراد ان يضاهيها ببنائه « ارم » في بعض صحاري عدن .
وكيف لا يبني شداد مثل هذه المدينة العظيمة ، وعنده من الرجال ما
يبلغ الواحد منهم ، ليس فقط ستين ذراعاً او مائة ذراع - كما نقلنا -
وانما اربعمائة ذراع ، اذا اتى الصخرة العظيمة ، حملها والقاهها على الحي
بكامله فأهلكه ! (٦) .

يقول الهذلي : « ان ارم ذات العماد في تيه (أبين) وهو
غائط بين حضرموت وبين (ابين) . وما سمعنا احداً قال انه عاينها

(١) القرآن الكريم ص ٤٦ آية ٢٤ .

(٢) ص ١٥ كتاب المعارف

(٣) يراجع للقصة تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٣١-٢٤٤ وقصص الانبياء ص ١٠٣-١١٠

والكامل في التاريخ ج ١ ص ٦٠-٦٣

(٤) القرآن الكريم ص ١١ آية ٤١

(٥) القرآن الكريم ٦٩ آية ٥ - ٨

(٦) ص ٤٧٠ ج ٢ الكشف للزحشرى

الا ما يذكر من خبر الرجل الذي اضل ابله في تيه (ابيز) فالتقطها
ووصف بناءها وعجائبها في زمن معاوية . « (١) . ولقد اسهب ياقوت
في وصفها (٢) ولهذا نلخص ما جاء عنها في معجمه .

رووا ان شداد بن عاد ، لما سمع بالجنة قال لكبرائه اني متخذ
في الارض مدينة على صفتها ، ثم وجه لعملائه في الارض ان يجمعوا ما
في البلاد من اموال واحجار كريمة ، واختار فضاء فلاة من ارض
الين . فجعل طول المدينة اثني عشر فرسخاً وعرضها كذلك ، واحاطها
بسور عال مشرف . وبنى فيها ثلاثمائة الف قصر ، وجعل لها غرماً فوقها
غرف معدنة باساطين الزبرجد والجزع والياقوت . ثم أجرى تحت المدينة
وادياً ساق اليها تحت الارض اربعين فرسخاً ، ثم أمر فأجرى في شوارعها
المتضوعة بالمسك والزعفران سواقي مطلية بالذهب وجعل حصاها انواع
الجواهر وهي تجري بالماء الصافي .

وكان قصره وسط المدينة مشرفاً على القصور الضاربة في السماء ثلاثمائة
ذراع ، وبنى خارج المدينة وسورها الشاهق اكماً محدقة ينزلها جنوده
ومكث في بناء المدينة خمسية عام ... ولم يستجب لدعوة هود ...
فلما وافاه الموكلون ببناء المدينة واخبروه بالفراغ منها عزم على الخروج
اليها في جنوده ، فخرج في ثلاثمائة الف من حرسه وشاكرته ومواليه .
وخلف على ملكه بحضرموت ابنه « مرثد » . ولم يقتربوا منها حتى
اخذتهم صيحة من السماء ! ومات بالصيحة جميع من كان في المدينة
من الوكلاء والعمال ... وبقيت خلاء لا انيس بها ... وساخت المدينة
في الارض ، فلم يدخلها بعد ذلك احد إلا رجل واحد في ايام معاوية
يقال له عبد الله بن قلابة .

ثمود : وكذلك افسدت ثمود في الأرض فألقها بعاد ، ولهذا جاء

(١) ص ٤٠ ج ٨ الاكليل للهمداني .

(٢) ص ٢١٢ - ٢١٤ ج ١ معجم البلدان .

في النجم : « وانه اهلك عاداً الاولى ، وثمود فما ابقى » ^(١) . وكما انذر هود قومه عاداً كذلك ارسل صالح من بعده الى ثمود التي كانت تحت الجبال بيوتاً لها ^(٢) ، فكان يدعوهم الى عبادة الله وينهاهم عن عباداتهم ، فشكروا في دعوته وكذبوه وعصوه ^(٣) .

« وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله » ^(٤) لا يلتفتون الى دعوات هذا النبي الجديد . ولما ألح صالح في دعوته طلبوا منه ان يأتي لهم بمعجزة شأن كل الذين ارسلت لهم انبياء .. واخيراً استقر رأيهم على ان تكون آيته ناقة بيضاء تحلب لهم لبناً صافياً ، ويتبعها فصيلها وتتطق لصالح بالرسالة ، والله بالوحدانية . واشتراطه هو بدوره عليهم ان لا يركبها احد ، ولا يرميها بحجر ولا سهم ، ولا يمنع شربها ولا مرعاها .. ثم اخرجهم الى صخرة ، فاذا هي تن كذا تن المرأة عند الطلق ، وتنمض كما تنمض الحامل !! والناقة تدور في جوانبها كما يدور الولد في بطن امه . ثم تفرجت عن ناقة « كأنها قطعة جبل . ووقفت بين يدي صالح وبعينها شعاع وتور ، وعليها زمام من اللؤلؤ ومن سنامها الى ذنبها سبعائة ذراع وعرضها سبعون ذراعاً ولها اربعة اضرع ، لكل اضرع اثنتا عشرة حلة ، وما بين الحلة الى الاخرى عشرة اذرع وطول كل قائمة من قوائمها مائة وخمسون ذراعاً » .. ثم وضعت فصيلها على صفتها .. وكانت ترعى في رؤوس الجبال تاركة مراعي ثمود الى مواشيمهم .. ثم تدخل المدينة بلسان فصيح : من أراد اللبن فليخرج !!

وكان في القوم امرأتان ذواتا مواش كثيرة .. عرضت الاولى ، ذلت الجمال البارع نفسها على من يعقر الناقة ، والاخرى عرضت احدى

(١) القرآن الكريم س ٥٣ آية ٥١-٥٢

(٢) القرآن الكريم - تراجع الآيات ٧١-٨٣ من س ٧

(٣) القرآن الكريم - تراجع س ١١ آية ٦٥

(٤) س ٢٤٠، ٢٤١ ج ١ - تاريخ الطبري

بناتها الاربع الجميلات على آخر لهذا الغرض .. وهكذا كان عقر ناقة صالح او ناقة الله ^(١) . التي أمروا أن لا يمسوها بسوء ^(٢) فكان ذلك شؤماً عليهم ، حتى قيل : « أشأم من احمر عاد » - قدار بن قديرة - الذي اهلك الله بفعله قبيله ثمود ^(٣) .

ولقد صعد الفصيل بعد عقر امه جبلا ثم رغا ، فاتاهم العذاب ولهذا تقول العرب : « رغا فوقهم سقب السماء » ^(٤) اذا هلكوا .. وكانوا قد اندبروا ثلاثة ايام حيث اصفرت وجوههم في اليوم الاول كأنها طليت بالخلق . واحمرت في اليوم الثاني كأنها خضبت بالدماء . واسودت في اليوم الثالث كأنها طليت بالبقار . ولما اصبحوا في اليوم الرابع اتهم الصيحة من السماء ^(٥) ... وهكذا « اخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائئين » ^(٦) . وارتحل صالح ومن آمن معه فسار الى الشام ونزل فلسطين ... ثم انتقل الى مكة ^(٧) .

على ان ثمود ، خلاف عاد ، قد اوجدت لها مكاناً في التاريخ ، فلم تكن بالكلية ، حتى ان بطليموس ودiodorus الصقلي يذكرانها على انها كانت موجودة في زمنها ، لا بل يرى البعض براهين تثبت على بقاء ثمود في عالم الوجود حتى القرن الخامس للميلاد ^(٨) .

الحجور : بلد ثمود . ذكرها الاصطخري فقال : « والحجر قرية صغيرة قليلة السكان ، وهي من وادي القرى على يوم بين الجبال . وبها كانت ديار ثمود الذين قال الله فيهم : (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) .

(١) يراجع قصص الانبياء ص ١١٥ - ١١٨ .

(٢) يراجع القرآن الكريم س ١١ آية ٦٧ .

(٣) ص ٣٢١ ج ١ الامثال للمبدئي

(٤) ص ١٦ كتاب المعارف

(٥) ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ج ١ - تاريخ الطبري

(٦) القرآن الكريم س ١١ آية ٧٠

(٧) ص ٦٧ ج ١ الكامل في التاريخ

(٨) ص ٣ Nicholson

ورأيت تلك الجبال ونحتهم الذي قال الله : (وتحتون من الجبال بيوتا فارهين) . ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في اضعاف جبال ، وتسمى تلك الجبال الاثالب . وهي جبال في العيان متصلة حتى اذا توسطتها رأيت كل قطعة منها قائمة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف ، وحواليها ومل لا يكاد يرتقي الى ذروة كل قطعة منها احد الا بمشقة شديدة . وبها يثر ثود التي قال الله في الناقة : (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) « (١) » . وقول الاصطخري : « ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا » ينفي ما يروى من المبالغات في اجسام تلك الاقوام . وعلى ذلك يعلق Sale فيقول : ان مساكن الثوديين ذوات النسبة العادية لحجة على هؤلاء المخطئين الذين يدعون انه كان للثوديين اجسام المردة (٢) . اما البلدة ، فلا توجد اليوم (٣) وان بقيت بعض الصخور المنخوة والآثار التي تدل عليها .

والظاهر ان اسطورة عاد وثود ، والاشارة الى نبيها هود وصالح لا ذكر لها في التوراة ، وان كان امرهم مشهوراً عند العرب في الجاهلية والاسلام . وبهذا يلمح الطبري (٤) ويوافقه قول كندر Conder انه يستثنى من الاساطير العربية الواردة في القرآن اسطورتان لم يوجد لهما اثر في غير البلاد العربية ، وهما حديث ناقة صالح ، ورسالة هود الى عاد في ارم (٥) . طسم وجديس : ان لم تكن هاتان القيلتان شقيقتين (٦) فهما تقريباً أبناء اعمام (٧) . وعلى كل فهما تنتسبان الى « نوح » مثل « عاد » و « ثود » .

(٢) ص ١٩ - ٢٠ ، ممالك المالك للاصطخري

(٢) ص ٧ ، G. Sale : The Koran

(٣) ص ٣٠١ ج ٢ ، Enc. of Islam

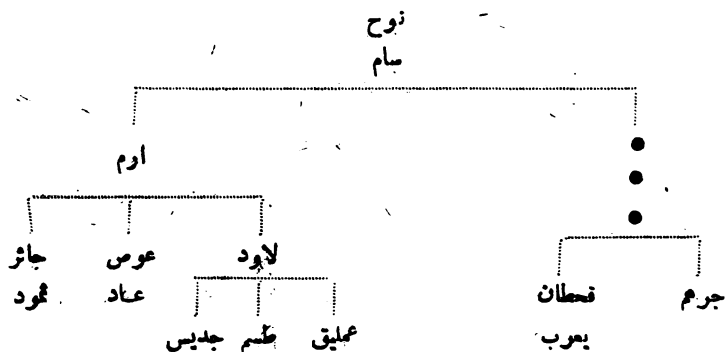
(٤) يراجع تاريخ الطبري ص ٢٥١ ج ١ ، والكمال في التاريخ ص ٦٧ ج ١

(٥) ص ٣٣٩ ، C. R. Conder : Syrian Stone-Lore

(٦) ص ١٤ - كتاب المعارف .

(٧) ص ٥ - البيرة .

عن طريق « ارم » و « سام » . ولا بأس من وضع سلسلة توضيح حلقاتها نسب هذه القبائل التي تكتنفها الحرافات من كل جانب ، نستمدّها من ابن قتيبة ^(١) ونرسمها على الوجه الآتي :



وكما اعتاد المؤرخون ربط عاد وحمود وحوادثها متفقين ذكر القرآن لها معاً ، كذلك اعتادوا أن يربطوا بين « طسم » و « جديس » اللتين لا تكادان ان تذكرتا إلا معاً ، لا بل انها بخلاف عاد وحمود قد عاشا في زمن واحد ، ومكان واحد ، واقتسما اسباب الحياة ، فتاريخهما او بالحقيقة أساطيرهما لا تكاد تفصل لوثيق العلاقات بينهما .

ولقد ورد لطسم وجديس ذكر في جغرافية بطليموس ، فلا سبيل الى القول بانها لم يكن لهما وجود وكيان . ويقال ان حوادثها ، كما يرى Caussin de Perseval قد امتدت حتى اواسط القرن الثالث للميلاد ^(٢) وتلخص الروايات عن طسم وجديس بانها كانتا قبيلتين تسكنان اليامة « جو » وما حولها الى البحرين . وحدث ان تملك طسم حتى حكم رجل منهم يقال له « عمليق » . وقد نادى في الظلم الى ان تنازعت امرأة من جديس يقال لها « هزيلة » وزوجها على غلام لهما . فخاصمته الى زعيم طسم الذي ما كان منه ، بعد استماعه الى اقوالهما ، إلا ان امر

(١) ص ١٣ - ١٥ : كتاب الماراف

(٢) ص ١٩٩٢ م ١ : Enc. of Islam .

بأن تباع هي وزوجها فتعطي عشر ثمنه ، ويعطي خمس ثمنها ، وأمر
بالغلام أن ينزع منها ويجعل في غلمانه وهكذا استرقوا جميعاً ، فغضبت
المرأة وأنشأت آياتاً سمعها عمليق فأثارت غضبه . وعندئذ امر أن لا
تؤف بكر من جدیس حتى تساق اليه فيفتزها قبل زوجها .

وذلت جدیس زمناً حتى تزوجت أخت سيد جدیس « الاسود بن
غفار » وكانت تسمى « عقيرة » ويقال لها « الشمس » . فلما دخلت
على عمليق امتنعت ، إلا أنها خرجت أخيراً من عنده بدماء العار شاقة
ثوبها ، ومارة بأخيها وهو في جمع من قومه تتدب وتنتحب وتندب
الاشعار حتى نكست رؤسهم خجلاً وذلة ، وألمبت نفوسهم غضباً وحمية .
ونققت الحيلة لأخيها « الاسود » بعد أن سارعت جدیس الى طاعته ،
فقال لهم : قد رأيت أن اصنع للملك طعاماً ثم ادعوه وقومه فإذا جاءوا
يرفلون في الحلل فمت الى الملك وقتلته ، وقام كل واحد منكم الى رئيس
من رؤسائهم ، حتى اذا فرغنا من الاعيان ، لم يبق للآخرين قوة .

ونتهم الشموس عن الغدر رغم الحادث الجلل ، فلم يأبه الأسود ،
وصنع الطعام في ظاهر البلد ، ودفنوا السيوف مشهورة تحت الرمال .
وجاء الملك وأعيانه ، فلما جلسوا للأكل وثب الاسود على عمليق فقتله ،
ووثب كل رجل على جليسه من رجال طسم حتى ابادوهم .

وهرب رجل من طسم يقال له رباح بن مرة حتى لحق مع بقية ضئيلة
من طسم بـ « حسان بن تبع » الحميري ، فاستغاثه على جدیس ، فأجابه
الى طلبه ، وبعث بجيوشه - ويقال سار بنفسه - الى اليمامة .

ولما كان على ليلة من منازل جدیس استوقفه « رباح » وقال له ان
له اختاً متزوجة في « جدیس » يقال لها « يمامة » ترى الشخص
على مسيرة يوم وليلة ، وهي ابصر خلق الله على بعد . فخشوا ان تراه
وتنذر بهم القوم ، فأمر الملك رجلاً ان يصعد الجبل فيكشف امرهم ،
فأبصرته « زرقاء اليمامة » - وهي زرقاء العينين - واندوت به قومها

بعد ان اخبرتهم بماذا يضع فوق الجبل ، فكذبوها .
 وطلب رباح من الملك ان يأمر اصحابه فيقطع كل رجل شجرة ويسير
 بها امامه ، وهكذا كان حتى اذا دنوا من اليامة ليلاً ، نظرت زرقاء
 اليامة فأبصرت القوم ، واندوت بهم جديساً فكذبوها ثانية ... وصاحبهم
 « حسان » بحمير فأبادهم وخرّب بلادهم ودك حصونهم وقصورهم ، وقبض
 على زرقاء اليامة وقلع عينها فرأى عروقها محشوة بالاثمد ... وهو حجر
 اسود كانت تدقه وتكتحل به ، فهي أول من اكتحل بالاثمد من
 العرب .

وفر الاسود بن غفار واخوته الشوس ومعه نفر من قومه ولحق بجيلي
 « طيء » قبل ان تنزلها « طيء » - وكانت تنزل الجوف من اليمن -
 فنزل هناك . ورجع حسان الى بلاده بعد ان اطلق على « جو » اليامة
 تسمية لها بالتي كانت ابصر خلق الله على بعد ، والتي ضرب بحدة نظرها
 المثل فقيل : « أبصر من زرقاء اليامة » (١) .

جورم والعماليق : ومن بين الشعوب العربية البائدة يذكرون « جورم »
 التي سكنت ، كما يقول ياقوت (٢) تهائم اليمن ثم لحقت بمكة ، ونزلت
 على اسماعيل الذي نشأ فيها وتزوج منها . وقد مر حديث نزولها حوالي
 مكة ، فلا مجال لاعادته .

ومن بينها أيضاً « العماليق » الذين كانت منازلهم موضع
 « صنعاء » ثم خرجوا فنزلوا ايضاً حول مكة ، ولحقت طائفة
 منهم بالشام ومصر وتفرقت طائفة منهم في جزيرة العرب الى العراق
 والبحرين الى عمان (٣) . ولا يكتفي « ابن قتيبة » بمصر والشام ،

(١) راجع للقصة : تاريخ الطبري ص ٧٧١ - ٧٧٥ ج ١ والأغاني ص ٤٨ - ٥٠ ج ١٠
 وكتاب الخوارزمي ص ٣٠٨ والميداني ص ٩٣ - ٩٤ ج ١ والكامل في التاريخ ص ٢٥١ - ٢٥٤
 ج ١ وغيرها .

(٢) ص ١٠٢٨ ج ٤ معجم البلدان

(٣) نفس المصدر .

وانما ينسب اليهم قسماً من ملوك فارس وخراسان^(١). وكذلك ينسبون لهم شعوباً قديمة جداً كالكنعانيين والفلسطينيين^(٢). ولهذا يطلقون على من سكن ديار الشام في ذلك الزمن « الجبارين ». قال ابن عباس ذاكراً أريجاً في غور فلسطين : « أريجاً قرية الجبارين . كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العماقة ورأسهم عوج بن عنق »^(٣) .

عوج بن عناق : وحمل ما يروونه عن عوج وامه عنق او « عناق » : لقد كانت امه احدي بنات آدم لصلبه .. هائلة مخيفة .. كل اصبع من اصابعها ثلاثة أذرع في عرض ذراعين .. وفي رأس كل اصبع منها ظفران حديدان مثل المنجلين .. وكان موضع جلوسها جريباً من الارض .. وهي اول من بنى على وجه الارض .. وعمل الفجور والسحر ، وجاهر بالمعاصي .. ولهذا ارسل الله عليها اسوداً كالغليظة ، وذئاباً كالأبل ونسوراً كالحر فقتلوا .. واراخوا الارض من شرها !!

ولدت عوجا - رحم الله أباه - فكان يجتجز السحاب فيشرب منه ، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ، ثم يأكله ! وعمر حتى ادرك الطوفان الذي طبق الارض وعلا رؤوس الجبال ، فما جاوز ركبتيه ! لا بل انه طلب السفينة ليغرقها !!

وامتد به العمر حتى أدرك موسى الذي لما استقر لقومه الأمر بمصر امر ان يرتحلوا الى اريحا ، قرية الجبارين الذين سموا بذلك لامتناعهم وطول قاماتهم وقوة اجسادهم ، وهم كما ذكرنا من العماقة وبقية قوم عاد . واختار موسى اثني عشر نقيباً من كل سبط من اسباطهم نقيباً ، وبعضهم لما قربوا من المدينة يتجسسون اخبار قومها فلقيهم عوج وعلى رأسه حزمة من الحطب فوضعهم فوقها - او في كفه ! - وسار الى امرأته ، ونثرهم امامها يريد طعنهم ، فقالت امرأته ، بل خل عنهم حتى

(١) ص ١٤ كتاب المعارف .

(٢) ص ٣ Nicholson

(٣) ص ٧٠ ج ١ - تاريخ الخميس .

يُخْبِرُوا قَوْمَهُمْ فَمَرَّ بِهِمْ كَمَا طَلَبْتَ مِنْهُ .

ثم ذهب عوج الى الجبل وقوّز صخرة على قدر مفسكر موسى ،
وحملها ليطبقها عليهم ، فبعث الله هدهداً ففقر الصخرة ونزلت من رأسه
الى عنقه فمنعته الحركة .. ووئب موسى وقومه فجهزوا عليه ! (١)

الفصل الثالث : اساطير العرب الباقية

وللعرب الباقية من قحطان وعدنان اساطير وخرافات غير التي اعتدناها
من أحداث العهد القديم ، وهي تتعلق بازمان ليست جد بعيدة من
العصر الجاهلي المعروف ، او المدة التي نعبّر عنها احياناً بما قبل الاسلام .
وليس لنا في هذا المقام الا ان نختار من بين هذه الاساطير بعضاً مما
كثر ذكره في الجاهلية . ولا بأس هنا من الكلام عن سد مأرب ،
والقصور المشهورة في الادب العربي ، وحادثة الفيل ، واخيراً ايام العرب .
مأرب : قبل ان نتحدث عن سد هذه البلدة وخرابه ، نحب ان
نشير الى مادة مأرب لـ « ادولف جروهمن » في الموسوعة الاسلامية (٢) .
فهي بحث شيق وبخصوصاً ما تناول الكلام عن زرار هذه المدينة .
كارنود ، ١٨٤٣ Th. J. Arnaud ، وهالفي ١٨٦٩ F. Halévy ، وغلارز ١٨٨٨
E. Glaser . وعن اقوال هؤلاء واحكامهم . ولقد احاط جروهمن باطراف
البحث ، واستوفى الاطلاع على مأخذة القديمة والحديثة .

اما نحن بكلمتنا هذه ، فلا نطرق الا ناحية واحدة نفتش عنها في
ذخائر الادب والتاريخ وغيرها من الكتب العربية .

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان . عن يمين وشمال ، كلوا من
رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسلنا
عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خبط وأثل وشيء

(١) ٧١ - ٧٢ نفس المصدر .

(٢) ص ٢٨٠ ج ٣ Enc. of Islam

من صدر قليل ، وذلك جزيناهم بما كفروا وهل تجازي الا الكفور .
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير
سيروا فيها ليالي واياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا ، وظلموا
انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور » (١) .

والجنتان ، كما يقول الهمداني ، عن بين السد ويساره (٢) ، ولا شك
في ان ما جاء في القرآن ، وما قاله الهمداني الذي وقف على حقيقة
مأرب في زيارته لتلك الاماكن هما اوثق الاخبار القديمة عن هذا السد ،
واكثر مطابقة لوصف من ذكرنا من النقاين وغيرهم ممن اكتشفوا آثار
الحزان المشهور .

ولقد حدثت من شاهد مأرب - على ذمة ياقوت - فقال عن السد :
« هو بين ثلاثة جبال ، يصب ماء السيل الى موضع واحد ، وليس
لذلك الماء مخرج الا من جهة واحدة ، فكان الاوائل قد سدوا ذلك
الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما
يختص من مياه الشول فيصير خلف السد كالبحر ، فكانوا اذا ارادوا
سقي زروعهم فتحوا من ذلك بقدر حاجتهم بابواب محكمة وحركات
مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه اذا ارادوا » (٣) .

وبما يلاحظ ان هنالك اختلافاً في الكتب التاريخية على باني السد ،
غير اننا لا يهمنا ما إذا كان بانيه « لقمان بن عاد » او « سبأ بن يشجب »
او « بلقيس » او غيرها بقدر ما يهمنا خبر خرابه وقصة سيل العرم .
القصة : كان ما كان في قديم الزمان ملك كاهن يقال له « عمران » ..
وكان بيده علم من بقايا دعاة « سليمان »

وفي اواخر ايامه اخذ ينذر قومه بخراب بلادهم وتشتيتهم في البلدان

(١) القرآن الكريم س ٣٤ آية ١٤ - ١٩

(٢) ص ٥٢ ج ٨ - الاكليل

(٣) ص ٣٨٣ ج ٤ - معجم البلدان .

فيقولون : شيخ كبير ! ولما حضرته الوفاة ، وقد بلغ اردذل العمر ،
طاوياً اربعة قرون ، دعا اخاه « عمرآ بن عامر » ^(١) - الذي كان قد
بلغ ثلاثماية عام - وقال له : ان امرأة من قومه يقال لها « ظريفه »
- بنت الخير الحجورية - ستوث علمه .. ثم انذره ثانية بخراب البلاد
ومات .. فولي « عمرو » الملك وتزوج ظريفه .

وكان عمرو هذا ملكاً عظيماً بأرب . وكان له تحت السد من الجنان
ما لا يحاط به ، حتى ان المرأة كانت تمشي من بيتها وعلى رأسها ائاء ،
فلا تصل الى بيت جاريتها إلا وهو ملآن بالفواكه دون ان تمس منها
شيئاً ! وكان الرجل يمشي تحت ظلال الشجر شهرين . فلا تصل اليه الشمس !
وحدث ان كانت ظريفه نائمة ذات ليلة فرأت كأن أتياً جاءها وقال
لها : ما تحبين يا ظريفه ؟ علماً تطيب به نفسك ، او مولوداً تقرب به
عينك ؟ فاختارت العلم .. فجر بيده على صدرها ، ومسح بظاهر كفه
بطنها فعمقت ولكنها اتسعت في العلم !!

وكانت مرة نائمة الى جانب عمرو ، فهبت مذعورة اذ رأت كأن
سحابة غشيت التين وهي تروق وترعد ... فسألها : مالك يا ظريفه ؟
فقال : ازف بكم الفرق ، واتاكم من الامر ما قدر وسبق ..
ولم يلبث عمرو أياماً حتى خرج ومعه قيتتان الى بعض حدائقه ،
فطلبته ظريفه ومعها وصائفها ... فاعترضها في طريقها ثلاث مناجد ^(٢)
منتصبات على ارجلهن ... ثم غبن ، فتابعت سيرها ، فوثبت امامها من
خليج ماء سلحفاة ووقعت على التراب ، واستلقت على ظهرها ، ثم
عادت الى الماء . فعلمت ظريفه من المناجد والسلحفاة اشياء ... وتابعت
سيرها ، حتى دخلت الحديقة نصف النهار ، فرأت شجرها يتأيل من غير ريح !
وظن عمرو ان غيرتها حملتها على القدوم ، فاخرج الجاريتين ، وقال

(١) في من ٣٨٤ « نفس المصدر » عكس في الترتيب ، حيث يحمل يافوت الاول وارث الثاني
والسمودي (في مروج الذهب ج ٣ من ٣٧٨ و ٣٨٦ فا بعد) يوافق الهمداني إلا انه يخطئ في
موت عمران فيجعله يشاهد بيع الملك ، ويصف لمن يود الرحيل عن اليمن البلدان ليختاروا منها ما يشاءون
(٢) « وهي دواب تشبه اليرابيع - مروج الذهب : من ٣٨٠ ج ٣ »

لها مرحباً يا ظريفة ، هلمي الى فراشك ...
فقلت : هيهات ! والور والظباء ، والارض والسماء ، ليهلكن
الشجر بالماء . وعلم انها كرهت اخباره وعنده القيتان فابعدهما .. وعندئذ
انذرتة بالخطب ... وكان لا يزال متكئاً على الارائك فاستوى جالساً ،
وقال لها : صدقت ، فما وجه ما تذكرين ؟

فقلت : انطلقوا الى ظهر الوادي ، فيسترون الجرذ العادي ، يجر
كل صخرة صيخاد باناب حداد ، واطافر شداد ...
فانطلق حتى اشرف على السد ، فاذا يجرذان حمر تحفر السد وتبحث
برجليها ، فتقلع الصخرة التي لا يستقلها مائة رجل .. ثم تدفعها بمخالب
رجليها .. فاغتمّ وصدق قول ظريفة ، ثم رجع مهيمواً فسألته : ما
وراءك ؟ فاجابها بما رأى « شعراً » ..

فقلت : يا عمرو ، إذا ظهر الجرذ الحفار ، فاستبدل لنفسك داراً
من دار وجاراً من جار ، فعندها تنزل الاقدار ...
وطلبت منه النجاة .. فرتب حيلة لكي يترك ملكه ، ونفذهما ،
ثم باع ملكه كما باع ذووه ضياعهم ، وارتحلوا عن ارض اليمن .. وكان
ذاك الجرذ قد خرب السد ، فطغى الماء وأغرق البلاد حتى لم يبق من
جميع الزروع والعمار إلا ما كان في رؤوس الجبال ، والامكنة البعيدة .
وكان اكثر ما خرب بلاد كهلان وعامة بلاد حمير ! اما القبائل
اليمنية التي ارتحلت عن اليمن فقد سكنت الحجاز والشام والعراق وعمان
وغيرها من بلاد العرب .

والقصة ^(١) تمت فتذكر حروب هذه القبائل مع سكان المنازل الجديدة

(١) ١ - يمدد المهذاني في الاكليل « ج ٨ من ١٣٥ - ١٣٧ » نحواً من ٧٠ سدا في بلاد
اليمن ، ويذكر ان بعضهم حدثه بانه يوجد في « بحصب الملو » - مكان في اليمن - ٨٠ سدا ،
ولهذا يقول احدم : « وفي الربوة البيضاء من ارض بحصب ثمانون سداً تقلس الماء سائلاً صفة
جزيرة العرب : ص ١٠١ »

ب - تراجع القصة في : الاكليل ص ٢٦٣ - ٢٨٧ ج ٨ ومروج الذهب ص ٣٧٨ - ٣٩٤
ج ٣ ومجمع البلدان ص ٣٨٤ - ٣٨٨ ج ٤ والكشاف ص ٢٠٣ ج ٢

بما يطول ذكره .. ولتكشف اذاً بجبر النكبة التي حلت باليمن على اثر
انقجار السد (١) .

القصور : والقصور التي ذكرها الادب العربي كثيرة نكتفي هنا
بالإشارة الى اثنين منها وهما غمدان والخورتى .

غمدان : اول قصور اليمن وأعجبها ذكراً ، وأبعدها صيتاً (٢) .
يرجعون بناءه الى « سام بن نوح » فهو اول من أسسه (٣) .. ومنهم
من ينسب بناءه الى « ابي شرح بن يحصب » (٤) . وقال قوم انه احد
القصور الثلاثة التي امر سليمان الجن ببنائها لبلقيس (٥) . وقيل وجد حجر
فيه مكتوب بالمسند : « بناء غمدان » ... وعلى كل فإن صاحبه الذي
بناه حينما اراد ان يتخذ قصرأ باليمن ، احضر البنائين والمقدرين ، فمدوا
الحيط ليقدروه ، فانقض على الحيط طير وخطفه ... فتبعوه حتى القاه
في موضع غمدان فبناه صاحبه هناك على اربعة اوجه : وجه بمجارة
سوداء ، ووجه بمجارة بيض ، ووجه بمجارة حمر ، ووجه بمجارة
خضر (٦) .

ويزعمون انه بني ساعة طلوع « الثور » وفيه « الزهرة »
و « المريخ » ... ومن خاصة هذا البرج ثبات الاشياء وقلة تغيرها ..
ولقد بلغ القصر في بعض الروايات سبعة سقوف ، بين كل سقف
وسقف اربعون ذراعاً (٧) . والثبت عند الهذاني انه اعشرون

(١) من ٥ ج ٨ الاكليل

(٢) من ٦ نفس المصدر

(٣) من ٢٤ من المصدر نفسه . « وفي معجم البلدان من ٨١١ ج ٣ ليشرح بن يحصب »

(٤) من ٨١٢ ج ٣ معجم البلدان

(٥) من ٢٦ ج ٨ : الاكليل

(٦) من ٦-٧ ، ٢٤-٢٥ ج ٨ : الاكليل . وفي معجم البلدان من ٨١١ ج ٣ يستفيض

باقوت باللون الأسود لونا اصفر

(٧) من ٢٣ ج ٨ : الاكليل ومن ٨١١ ج ٣ : معجم البلدان

سقفًا ، كل سقف عشرة اذرع ، وهذا يكون مائتي ذراع ، ولا يتعذر - في رأيه - ذلك عليهم لقدرتهم على كل معجز من البناء (١) .
ولما بلغ صاحب غمدان غرفته العليا التي يبلغ ارتفاعها اثني عشر ذراعاً - وهي مجلس الملك - اطبق اسقفها برخامة واحدة ، فكان يستلقي على فراشه في الغرفة ، فيمر بها الطائر فيعرف به الغراب من الحدأة .. وكان للغرفة اربعة ابواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب .. وفي زوايا القصر الاربعة تماثيل اربعة اسود من نحاس مجوفة .. اذا هبت الريح زأوت كما تزار الأسود (٢) .

وكان صاحب القصر يأمر بالمصاييح احياناً ، فتسرج فيه ليلاً ، فكان سائر القصر يلمع من ظاهره ، حتى اذا اشرف على الانسان من بعض الطرق ظنه برقاً . ولا يعلم ان ذلك من ضوء المصاييح (٣) . وفيه يقول علقمة:
مصاييح الصليت يلحن فيه اذا يمسي كتوماض البروق (٤)
ويروى انه كان في الغرفة العليا منه ستور فيها اجراس ، اذا ضربت الريح تلك الستور ، سمعت اصوات من الاجراس من مكان بعيد (٥) . وكانت الى جنب القصر نخلة يانعة سحوق تطرح بعسبانها الى بعض ابوابه (٦) . وقد طاول هذا القصر الزمن حتى قيل ان فيه نزلت الآية : لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم (٧) : فارسل النبي احدهم ليهدمه فلم يقدر على هدمه ، وعندئذ احرقه . ولم يهدم إلا بعد وفاة النبي (٨) ،

(١) ص ٢٣-٢٤-٨ الاكليل

(٢) ص ٢٠-٢٤ ج ٨ : الاكليل ، ص ٨١١ ج ٣ : معجم البلدان

(٣) ص ٨١١ ج ٣ معجم البلدان

(٤) ص ٢٥ ج ٨ الاكليل .

(٥) ص ٢٥-٢٦ ج ٨ الاكليل

(٦) ص ١٧ نفس المصدر .

(٧) القرآن الكريم ص ٩ آية ١١١

(٨) ص ٢٦-٢٧ ج ٨ : الاكليل .

حيث لم تزل « حمير » تنزله وتريد فيه حتى أخرب في أيام عثمان (١) .
 وذكر ان قيل لعثمان ان كهان اليمن يزعمون ان الذي يهدمه يقتل ،
 فأمر بإعادة بنائه ، فقيل له لو اتفقت عليه خرج الارض ما أعدته كما
 كان ، فتركه ... فلما خرب ، وجد على خشبة مكتوب عليها برصاص
 مصبوب : « اسلم محمدان هادمك مقتول » ، فهدمه عثمان فقتل (٢) .
 فاذا صح ، كما يرى زيدان ، قول الهمداني وياقوت ان بانيه هو
 « البشراح بن محصب » كان بناؤه في القرن الاول للميلاد . ويكون
 قد عاش نحواً من ٦٢٠ عاماً (٣) .

الخورتق : ولعله أشهر القصور التي كانت في نواحي العراق ، والتي كان
 طالما يذكر بعضها معه في احاديث العرب واسعارهم ولقد مر معنا قول
 بعضهم :

اهل الخورتق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
 واذا ما اختلفوا في باني الخورتق فانهم لا يختلفون في بنيه « سنار »
 فابن الاثير يذكر ان بانيه « يزجرد الاثيم » ، حيث سأل عن منزل
 صحي ، فدل على ظاهر الحيرة ، فدفع ابنه « بهرام جور » الى « النعمان »
 يأمره ببناء الخورتق مسكناً له في بوادي العرب (٤) .

وقال « الهيثم بن عدي » ان الذي امر ببنائه هو « النعمان بن امرئ
 القيس » . وكان قد ملك ثمانين سنة ، وبني الخورتق في ستين سنة .
 بناء رجل له من الروم يقال له سنار فكان يبني السنين والثلاث ويغيب
 الخمس سنين ، واكثر من ذلك واقل ، فيطلب فلا يوجد ثم يأتي
 فيحتجب ... ولم يزل هكذا ستين عاماً حتى فرغ من بنائه .

(١) ص ١٩ نفس المصدر .

(٢) ص ٢١٢ ج ٣ معجم البلدان .

(٣) ص ١٤٥ : العرب قبل الاسلام

(٤) ص ٢٨٧ ج ١ - الكامل في التاريخ

وصعد النعمان على راس القصر ونظر الى البحر تجاهه والبر خلفه فرأى
الحوت والظبي والنخل ، فقال ما رأيت مثل هذا البناء قط .
وتشاء المنية لسنار ان يتفلسف فقال : اني اعلم موضع آجرة لو زالت
لسقط القصر كله ، فقال النعمان : ايعرفها احد غيرك ؟ فقال : لا ،
قال : لا جرم لادعنها وما يعرفها احد . ثم امر به فقذف من أعلى
القصر الى اسفله فتقطع ^(١) . فضربت العرب فيه المثل فقالوا : « جزاء
سنار » للذي يصنع خيراً فيجازى شراً ^(٢) .

عام الفيل : كنا ذكرنا ما كان من امر ابرهة وبثائه « القليس »
بصنعاء ، وكتابه الى « النجاشي » بانه سيعرف اليها حج العرب . وكيف
ان احد النساء أرسل من احدث فيها ، فغضب ابرهة وحلف ليسيون
الى الكعبة ليهدمها .

ويكمل ابن اسحاق حديثه فيقول : ان ابرهة امر الحبشة فتهيات ،
وساروا بالليل الذي ما سمع بقدومه العرب حتى استعظموه
وفي طريقه الى مكة خرج اليه رجل من اشراف اليمن برجاله يقال
له « ذو نفر » ليصده فاسره ابرهة .. ولما كان هذا في ارض « خثعم »
عرض له « نفيل بن حبيب » الحثعمي بقبيلتي خثعم « شهران وناهس »
ومن تبعهم ، فكان نصيبه ما اصاب « ذا نفر » .

وتابع ابرهة سيره حتى مر بالطائف ، فخرجت له ثقيف يقدمون
الطاعة ليصرفوه عن بيتهم « اللات » .. وارسلوا معه « ابا وغال » يده
على طريق مكة ، إلا انه مات عند « المغنس » فرجعت العرب قبرة
ولما نزل ابرهة هناك ، بعث بجيشي (الاسود بن مفضود) فاستاق اموال
تهامة - وكان اهلها قتلوا رجلاً أمره « ابرهة » ان ينادي بمجيج القليس
- واصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب كبير قريش وسيدها .. وهمت

(١) ص ٤٩١ ج ٢ : معجم البلدان

(٢) ص ١٣٤ ج ١ : الميداني

قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله ، إلا أنهم عرفوا أن
لا طاقة لهم به .

وطلب ابرهة سيد قريش بعد ان اخبره انه لم يجيء إلا لهدم البيت ،
ولا حاجة له بمجرهم .. فانطلق عبد المطلب اليه فقابلته ابرهة بالترحاب ،
وكان بينهما ما ذكرناه سابقاً ، من طلب ابن هاشم ابيه فقط لانه ربهما
ولان للبيت رباً يحميه .

وخرج عبد المطلب بابله ، وأمر قريشاً ان يتحزروا في شعاف الجبال ،
واخذ مع نفر من قومه يستنصرون رب البيت على ابرهة ، ثم انطلقوا
من مكة الى الجبال ينتظرون ما ابرهة فاعل .

واصبح ابرهة مجتمعاً على هدم البيت فعبا جيشه وهياً فيله ، وكان
اسم الفيل محموداً ، وعندئذ اقبل نقيل بن حبيب واخذ بأذن الفيل وقال :
« ابرك محموداً وارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام » . ثم
ارسل أذنه فبرك الفيل ، ونفر ابن حبيب حتى صعد الجبل .

وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، وفعلوا به الكثير عبثاً ، فوجهوه الى
اليمين فقام يهرول ، وكذلك الى كل الجهات إلا جهة مكة ان وجهوه
اليها برك .

وارسل الله عليهم طيراً من البحر امثال الخطاطيف مع كل طير منها
ثلاثة احجار بمنقاره ورجليه ، كالخص والعنكبوت ، لا يصيب الحجر منها
احداً إلا هلك ، لأنها كانت تخترق جسد الرجل من رأسه .

وطلبوا النجاة ولكن ابن المفر ؟ وخرجوا يتساقطون بكل طريق ،
واصيب ابرهة في جسده ، فكان يتساقط انملة انملة ، حتى ما وصلوا به
صنعاء إلا وهو مثل فرخ الطير ومات هنالك (١) .

وفي هذه الحادثة يقول تعالى (٢) « ألم تر كيف فعل ربك باصحاب

(١) تراجع : ط ٢٩ - ٣٨ السيرة .

(٢) القرآن الكريم - سورة الدليل .

الفيل ، الم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيراً ابابيل ،
ترميهم بججارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » ^(١)

ايام العرب : يقول ثشر Thatcher انه لا يوجد بين القصص المتداولة
في زمن محمد ذات قيمة الا « ايام العرب » او تلك المعارك الداخلية
التي كانت تقع في البلاد العربية بين القبائل ^(٢) .

وبدهي ان لا نتحدث هنا عن كل هذه الايام فهي كثيرة ،
والحديث عنها ، وحدها ، يحتاج الى كتب ، ولهذا نقف على بعضها
كعرب « البسوس » و « يوم ذي قار » !

البسوس : تجاور « جساساً بن مرة » خالته « البسوس » التميمية ،
وكان لها ناقة - وفي رواية اخرى ناقة لجار لها من « جرم » اسمه
« سعد » - يقال لها « سراب » .

وتمر لكليب ابل بالناقة ، فتنازع عقلاها حتى تقطعه ، وتتبع الابل .
وكليب وائل حامي مواقع السحاب وبحير الوحش ، فكيف ترد
سراب مع ابله ؟

ولهذا انكرها حيناً رآها واشتد عليها بسهم فرمى ضرعها .
وتنفر الناقة المسكينة وهي ترغو حتى تجيء البسوس فتصبح هذه
واذلاه واجاراه !

وتنشد اشعاراً يلتهب لها جساس .
فيهب ومعه صديقه « عمرو بن الحارث » حتى يدخلها على كليب .
ويعاتبه جساس فيجيبه : اترك مانعي ان اذب عن حماي ؟
فيطعنه جساس وعمرو .. وبهذا يجران على « بكر » الحرب .
وتتحل بنو شيبان .

(١) راجع تفسيرها وقصتها في تفسير الطبري ص ١٦٤-١٨٩ ج ٣٠ وفي الكشف ص ٤٨٦
ج ٢ ويطالع الكامل لابن الاثير ص ٣٢٠ - ٣٢٤ ج ١
(٢) ص ٢٦٣ ج ٢ Enc. Brit

وَيَتَشَرُّ أَخُو اللَّهِ « عدي بن زيد » شقيق القليل ثم يملّ ، وهو
المهلل الشاعر المعروف ، ويستعد لحرب بكر ... فيقرر شعره ...
ويترك النساء والغزل ... ويجرم القمار والشراب طلباً للتأثر الرهيب .

وتشتعل نار حرب شعواء بين « بكر » و « تغلب » وتتجلى البطولة
في أروع مظاهرها ، وتنظم الحرب ملحمة على أجل ما تكون الملاحم ،
لا ينقصها إلا عنصر الآلهة حتى ترتقي الى ذروات القصص البطولي الخالد .
ولا يبالي المهلل بأي قبيلة من قبائل بكر أوقع ، وتطول هذه الحرب
التي أثارها قتل ناقة وتستمر أربعين عاماً حتى يصلح بين الفريقين « عمرو
ابن هند » ويردّهم عن القتال ...

هذا القتال الذي كان شؤماً على « بكر » و « تغلب » بالسواء ،
فحضر بالبسوس وناقته المثل فقيل : « أشأم من البسوس » و « أشأم
من سراب » .

وليس لنا ، كما قلنا ، ان نعدد أيام العرب حتى ولا أيام حرب
البسوس نفسها ، فنصف بوقائعها بالتفصيل وخير ما هنالك الرجوع
الى مواضعها في خزائن الادب والتاريخ^(١) حيث تستلهم أروع المواضيع
الشيقة لشعراء اليوم وادبائه .

وكما اشرنا الى كثرة أيام العرب ، لا بد وان نشير ايضاً الى الطلاوة
المتعة التي يشعر بها القارئ احياناً ، والحقيقة ان أيام العرب تمثل نواحي
من حياتهم في الجاهلية اجمل تمثيل . وختاماً لا يسعنا إلا ان نشير الى
حرب الفجار^(٢) بين « هوازن » و « كنانة » ثم الى حرب « داحس »
و « الغبراء »^(٣) بين « عبس » و « ذبيان » ، قبل ان نذكر شيئاً

(١) اراجع : المقد الفريد : ص ٣٥٥-٣٦١ ج ٣ والميداني : ص ٣١٩-٣٢٠ ج ١ ،
الكامل : ص ٣٨٤-٣٩٧ ج ١ .. وغيرها

(٢) انظر اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٤٥-١٦٢

(٣) انظر الكامل لابن الاثير ص ٤٢٠-٤٣٥ ج ١

عن ذي قار ، اول يوم انتصفت فيه العرب على العجم .

ذوقار : هاء لبكر بن وائل قريب من الكوفة .

وبطل هذه الواقعة ، على ما هو مشهور ، هانيء بن مسعود الذي استودعه النعمان سلاحه ، فامتنع عن تسليمها الى كسرى ، غير ان « ابن عبد ربه » يقول : « لم يكن هانيء بن مسعود المستودع حلقة النعمان » ، وانما هو ابن ابنه واسمه (هانيء بن قبيصة) بن (هانيء بن مسعود) لأن وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي ﷺ وخبر أصحابه بها . (١)
وهكذا تتضارب الآراء فيما اذا كان هانيء بن مسعود بطل ذي قار او حفيده هانيء بن قبيصة (٢) ولعل هذا التضارب راجع الى مشابهة الاسمين ...

وعلى كل فالبطل هو هانيء .

يقتل النعمان « عدي بن زيد » لاسباب .. فيسعى ابنه « زيد بن عدي » عند كسرى حتى يهبه عليه ويستثمر غضبه .. فيخرج النعمان يطوف بالقبائل محتبياً من كسرى ، فلا تجيره حتى يصل الى بني شيان فيلتقي بهانيء ، ويقيم عنده في ذي قار .
ويرد كتاب من كسرى الى النعمان يستدعيه على الامان ، فاستودع هانيئاً سلاحه وماله وأهله ...

وسار الى كسرى .. فما كان من هذا الملك إلا ان سجنه - وقيل قتله - حتى مات ... وولّى مكانه طائياً على العرب . ثم يطلب من هانيء ودائع النعمان ... ولكن هيات ! أيسلمها يطل شيان ويخون عهداً اخذه على نفسه ؟

(١) ص ٣٨٣ ج ٣ المقد الفريد .

(٢) تراجع ص ١٠٢٨ - ١٠٢٩ ج ١ تاريخ الطبري .

عندئذ يرسل ملك الفرس جيوشه لحرب العرب .

والتقت الأعاجم والعرب في ذي قار ..

وتفتك نبال الفرس أولاً بالعرب ... فيحملون حملة المستميت دفعة واحدة على الفرس .

ويقتك العطش بالفرس فيميلون الى الشرب، فيشتد العرب عليهم فيشتتون شملهم . وتبلي « بنو عجل » في ذلك اليوم بلاء حسناً ، وتفتخر « بكر بن وائل » كلها بهذا الظفر ، وينتشر صيت البطل هانيء بالآفاق ، وتوجع العرب أشعار الانتصار في كل صقع (١) .

(١) تراجع تاريخ الطبري ، ج ١ ص ١٠٢٨ - ١٠٣٧ والمقد الفريد ، ج ٣ ص ٣٨٣

الباب السابع

ما وراء الطبيعة

الفصل الاول : الله والملائكة

لا نعني بقولنا : « ما وراء الطبيعة » هنا ، ما يقصدونه عادة من علم الـ Metaphysics الذي يرمي الى النظري اسطقات (Principles) الوجود الاولى وما يتصل بها من اسرار المادة والجوهر والزمن والحيز والعلة والذات وغيرها ، او ما أراد به أرسطو من مباحث العقل التي وضعها في كتبه بعد مباحث الطبيعة حيث كان يسمى علم ما وراء الطبيعة بالفلسفة الاولى First Philosophy التي كان يعالج فيها دقائق الكون ... كما اننا لا نعني بـ « ما وراء الطبيعة » علم اللاهوت او علم الكلام ، وانما نقصد به عالم الروح ، ان صح تعبيرا هذا ، او كل ما بعد عن عالم الحسيات والمعقولات . وبكلمة اخرى : ما خالف المادة ومركباتها ، او ما جاوز الموجودات الطبيعية ، واختفى وراء الطبيعة .

ولما كان الموجود الاول هو منبت الكليات والجزئيات في الفلسفة والدين ، فلنبدا بذكر شيء مما كان يعرف عنه العرب الجاهليون ... عن الله عز وجل ... خالق الطبيعة وما وراءها .

الله : غير الحنيفة ، واليهودية ، والمسيحية ، ضئيل الاثر جداً - هذا ان وجد - في اعطاء العربي الجاهلي فكرة « الله » ، وما تحمله هذه اللفظة من معان لا تختلف كثيراً في الجوهر عما نعرفه نحن حتى اليوم . ومن الواضح ان تلك الفكرة لم تكن واضحة إلا لجماعات وافراد

قلائل ، اما الاكثرية ، وان سمعت بالله ، فانها كانت وثنية عبدة اصنام واحجار وظواهر وموجودات اخرى ، كما بينا ذلك واسهنا في فصول سابقة .

ولا يشك في وجود كلمة « الله » في الجاهلية ، ففي القرآن والسيرة والشعر شواهد كثيرة وبراهين لا تقبل الرد على وجودها بمعانيها قبل الاسلام . ويكفي دلالة عليها « اسم عبد الله » . على انه يجب ان يلاحظ اننا لا ندري ما اذا كان هنالك - او لم يكن - معبود آخر بين مؤلفاتهم الكثيرة اسمه « الله » ، فيكون عندئذ « عبدالله » « كعبد قيس » و « عبد مناف » و « عبد شمس » .. ضاعت اخباره اما مع ضياع الكثير من الروايات ، لعدم التدوين ، وموقف الاسلام السلبي من الوثنية ، واما لعدم تمكن الروايات ذاتها منه . ومعلوم انهم كانوا يطلقون على اللات « الرب » ، وان كلمة « الاله » كانت تطلق ايضاً على الصنم ، كما ان المؤنث منها « الهة » كان يطلق على الشمس . وقد سبق معنا ان « الالهة » اسم من اسماء الشمس .

هذا ، ولربما كان مثل قول « مرجوليوت » من ان النبي اراد مرة ان يترك اسم الله الى غيره ^(١) حجة في ايدي من يظن انه كان هنالك معبود جاهلي بهذا الاسم .

و « الرب » ، كما هو معلوم ، من اسماء الله ، غير ان جمعه « ارباب » كان يطلق ايضاً على اصنام العرب وآلهتهم . و « الرب » إلهة ثقيف . وبدعي القول ان القرآن والسيرة هما اوثق المصادر التي يمكن ان يرجع اليها الانسان لتكوين فكرة عن الله في العصر الجاهلي ، او بالاحرى عن معرفة العرب الجاهلين بالله . ولكن القرآن والسيرة في نفس الوقت لا يحددان فكرة واضحة عن هذه المعرفة . فالقرآن ، مثلاً ، يعطينا فكرة الله كما يعرفها الاسلام ، اكثر مما يصور لنا هذه الفكرة

عند الجاهليين الذين نخصهم بالذكر في هذا البحث .

ولتقرأ قول امية بن الصلت :

الى الله اهدي مدحتي وثنائيا وقولا رضيا لابي الدهر باقيا
الى قوله :

حنانك ان الجن كانت رجاءهم وانت الهى ربنا ورجائنا
رضيت بك اللهم ربا فلن ارى ادين الها غيرك الله ثانيا (١)
ثم قول زيد بن عمرو بن نفيل :

اسلمت وجهي للذي اسلمت له الارض طرأ صخورا صقالا
دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هي سبقت الى بلدة اطاعت فصبت عليها سجالا (٢)

وكلا الرجلين كما تفيد الاخبار قد تأله ، وترك عبادة الاصنام ، فلا بد وان يكونا متشربين بالتعاليم التي بثها اليهود والنصارى في بلاد العرب قبل الاسلام ، وما تبقى من تعاليم الحنيفية قبلها . ولا عجب ان يذكرنا ، وغيرهما من الشعراء ، شيئاً عن الله ، واليوم الاخر ، والجنة ، والحساب ، والعذاب ، ويشيروا الى الكثير من احداث العهدين القديم والجديد .

والحقيقة انه ليس لدينا ما يؤيد ان فكرة الله كانت في البدء غريبة بالكلية عن الوسط الجاهلي ، ثم دخلته ، وانتشرت به عن طريق ممثلي الاديان في بلاد العرب . اما الكلمة « اله » ففي الاصل - كما يرى البعض - سامية من ايل « IL » التي تعطي نفس المعنى . وكذلك « رب » فهي - كما يقولون - متخذة من العبرية (٣) وتعطي في التوراة معنى العبرية حيث تأتي Rab بمعنى العظيم ، و Rabbi بمعنى سيدي ، كما

(١) ص ٣٦ - ٣٧ ج ١ : البداية والنهاية

(٢) ص ١٤٨ السيرة لابن هشام

(٣) Enc. of Rel. & Eth. مجلد ٦ ص ٢٤٨

تأتي كالعربية تماماً بمعنى النقيض لكلمة عيد^(١) . وفي العبرية أيضاً توجد « El » و Eloah و Elohim مرادفة لكلمة « اله » العربية و « God » الانجليزية^(٢) .

وليس بعيداً ان تكون الكلمة في الاصل غريبة عن العربية ، فالكلمة « يوه » - YHWH - نفسها ، كما يظن ، لم تكن معروفة بين العبرانيين قبل موسى ، ولهذا يؤكد البعض ان الاسم على الاقل - ان لم يكن المعبود نفسه - كان من اصل اجنبي^(٣) .

اما العرب فتقول ان « الله » اصله إله على وزن فعال بمعنى مفعول (كامام) لانه مألوه ، اي معبود - هكذا يشاء اللغويون - فلما ادخلت عليه الالف واللام حذفت المهزة تخفيفاً لكثورته في الكلام . وجوز سيبويه ان يكون اصله « لاه » . ثم انهم يستخرجون له جذراً ، كعادتهم في الاسماء ، فيقولون ان اصله من أله يأله الها بمعنى تحيّر ، لان العقول تأله في عظمتها او بمعنى اشتد جزعه عليه مثل وله ، او بمعنى لجأ اليه لان الله هو المفزع الذي يلجأ اليه . ويذكرون لذلك قول الشاعر :

ألهت النيا والحوادث حمة

او قول الآخر :

ألهت اليها والركائب وقف^(٤)

هذا ، وليس بغريب على العربية ان تكون اللفظة من اسماها اجنبية عنها ، وانها ربما كانت هي نفسها أصلاً للجذر « أله » خلافاً لما يدعون من انها مشتقة من هذا الجذر . ولعل اهم المعاني التي كانت تحمله فكرة الله وقتئذ السيادة ووجوب

(١) The Jewish Encyclopaedia مجلد ١٠ ص ٢٩٤

(٢) » » مجلد ٦ ص ١

(٣) » » مجلد ٦ ص ١٣

(٤) راجع لسان العرب ج ١٧ ص ٣٦١ .

تقديم العبادة اليه . ولقد جاء في القرآن الكريم على لسان فرعون :
 « يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري ، فاقصد لي يا هامان على
 الطين فاجعل لي صرحاً لعلني اطلع الى اله موسى واني لاطنه من
 الكاذبين » (١) . والآية هذه تعطي ما كان يقصد بالاله الذي كان يطلق على
 موجودات حية وغير حية تقدس فتعبد . وبهذا ترقى الى مرتبة الالهية ،
 كما يطلق على خالق الوجود ومسبب الحياة الدنيا والعليا ، وان كان
 بعض الجاهلين لا يعتقد - كما بينا سابقاً - بالبعث والنشور وبدء حياة
 جديدة بعد الموت . وقد جاء في اللسان بهذا المعنى ان « الاله الله عز
 وجل ، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً اله عند متخذة . والجمع آله .
 والآله الاصنام سموا بذلك لاعتقادهم ان العبادة تحت لها واسماؤها تتبع
 اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه » (٢) .

وبعد هذه الكلمة الموجزة نتقدم الى عرض الكلام عن اقرب المخلوقات
 الى الله ، وهم سكان السماوات او الملائكة :

الملائكة : هم الملأ الأعلى او سكان السماوات . ان تحدث عنهم في
 الأرض فانما هم نازلون من اعلى عليين . ولهذا طلب قوم من قريش الى النبي
 في أوائل دعوته ان يكون الرسول ملكاً او ينزل عليه ملك من السماء
 يأخذ بيده ، كما جاء في الكتاب : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام
 ويمشي في الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيراً » (٣) .

والآية هذه تدل دلالة واضحة على وجود الملك في عقلية الجاهلين ،
 ولا اظن انه اختلف عما عرفه الاسلام فيما بعد ، لان المصدر الذي
 استمدوا منه معلوماتهم عن الملك يكاد يكون واحداً .

والملك ، مجموعاً ، ورد في قول امية بن ابى الصلت :

(١) القرآن الكريم س ٢٨ آية ٣٨ .

(٢) لسان العرب ج ١٧ ص ٣٥٨ .

(٣) القرآن الكريم س ٢٥ آية ٨ .

وكان يرفع والملائكة حوله (١)

لا بل كان يعرف من صفات الملائكة ما عرف النبي نفسه فيما بعد .
وبما يروى ان النبي قد تعجب من بيت لأمية جمع بين صور حملة العرش
من الملائكة فقال :

رجل وثور تحت يميني رجله والنسر اليسرى وليث ملبد (٢)

وعن ابن عباس ان النبي قال : صدق أمية في قوله (٣)

هذا ولا يوجد في القرآن وصف او اشارة الى المادة التي نشأ أو
خلق منها الملك ، لا بل ورد قوله تعالى : « وما يعلم جنود ربك إلا
هو » (٤) ، وذلك بخلاف الانسان والجان حيث جاء في القرآن الكريم :
« خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من
نار » (٥) . والمارج هي النار الصافية الخالصة من الدخان (٦) .

ويؤثر عن عائشة ان النبي قال : خلقت الملائكة من النور وخلق
الجن من مارج من نار (٧) . وكذلك ابن عباس يرى ان الملائكة
خلقت من نور واسكنت السماء ، والجان خلقت من النار عينها واسكنت
الارض . وهو يقول ايضاً : « ان الله خلق الفلك وخلق تحته بجرأ من
نار لا دخان لها ، وخلق نوعين من الملائكة : خلق من لها نوعاً
ومن جمرها نوعاً فالذين خلقهم من لها (ويقصد نورها) سماهم الملائكة
والذين خلقهم من جمرها سماهم جانا » (٨) .

(١) لسان العرب ج ١٢ ص ٣٨٦ .

(٢) عجائب المخلوقات للزويني : ص ٥٦ .

(٣) الاغانى ج ٣ ص ١٩٠ .

(٤) القرآن الكريم س ٧٤ آية ٣٤ .

(٥) القرآن الكريم س ٥٥ آية ١٣ - ١٥ .

(٦) تاريخ الحميس للديار بكري ج ١ ص ٣٧ .

(٧) انوار التنزيل للبيضاوي ج ١ ص ٥٢ .

(٨) تاريخ الحميس ج ١ ص ٣٦ .

وينقل القاسمي عن المضمون الكبير للغزالي قوله : « الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق اختلافاً يكون بين الانواع » وعن الاحياء : « والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير ، وافادة العلم ، وكشف الحق ، والوعد بالخير ، والامر بالمعروف ، وقد خلقه وسخره لذلك . والشيطان عبارة عن خلق خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر ، والامر بالفحشاء والتخويف عند اهم بالخير ، وبالفقر » (١).

واذا ما اختلف المفسرون في حقيقة الملائكة ، فانهم اتفقوا بالاكثارية على انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل بصور مختلفة . ولقد حص القزويني النظر في الملائكة فقال : « زعموا ان الملك جوهر بسيط ذو حياة ونطق وعقل . والاختلاف بين الملائكة والجن والشياطين بالحقائق كالاختلاف بين الانواع . وذهب بعضهم الى ان الاختلاف بينهم كالاختلاف بين الكامل والناقص وبين الخير والشر . واعلم ان الملائكة جواهر مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة الغضب لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، طعامهم التسييح وشرابهم التقديس ، وأنهم يذكر الله تعالى ، وفرحهم بعبادته . خلقهم الله تعالى على صور مختلفة واقدار متفاوتة لاصلاح مصنوعاته واسكان سماواته . » (٢)

وقد يستدل من القرآن الكريم ان الملائكة خلق مجنحة . والاية : « الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع » (٣) تدل دلالة واضحة على ذلك . والكثير منهم جميل الصورة جداً حتى لا يستطيع الانسان او الملائكة الاخرى ان تنظر الى نور حسنه الاخاذ ، فيضع برقعاً او يخفي وجهه باحد الاجنحة لهذا الغرض . والفن الفارسي لم يجرؤ على اظهار ملامح الامام علي « وبقيّة الائمة » ،

(١) مجلة المقتبس (١٩١٠) ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) عجائب المخلوقات ص ٥٥ .

(٣) القرآن الكريم : س ٣٥ آية ١ .

فكان وجهه ، مغطى بقناع وذلك للاعتقاد الناشئ في فارس خاصة بأنه لا يمكن للحضور ان يتحملوا تألق نوره ... أما إذا تمكنوا فانهم غير جديرين بهذه النعمة (١) .

وضرب المثل بمجال الملك . وفضل بيثنة على ذلك ما جاء على لسان النسوة اللواتي لمن امرأة العزيز على مرادتها يوسف عن نفسه . فقد جمعتهن الاميرة واطلعت يوسف عليهن فقلن : « حاش لله ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم » (٢) .

على ان هذا النوع من الملائكة لا يمكن ان يكون كجبريل ذي الستائة جناح . روي عن النبي انه سأل جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك ، قال اني احب ان تقبل ... فخرج الرسول في ليلة قراء فاتاه جبريل في صورته فغشي عليه ... ثم افاق فقال ما كنت ارى ان شيئاً من الخلق هكذا ، فقال جبريل : فكيف لو رأيت اسرافيل ؟ له اثنا عشر جناحاً ، جناح في المشرق وجناح في المغرب وان العرش على كاهله .. وانه ليتضاءل احياناً لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع (٣) . اما الوضع فهو العصفور الصغير .

والملائكة تتمثل بصور مختلفة . وبما يدل على هذا الاعتقاد ما جاء في السيرة : « ومرو الرسول (ﷺ) بنفر من اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة ، فقال : هل مر بكم احد ؟ قالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله (ﷺ) : ذلك جبريل ! بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم » (٤) .

(١) Asiatic Mythology ص ٤٩ .

(٢) القرآن الكريم : س ١٢ آية ٣١ .

(٣) الكشف للعنبري ج ٢ ص ٢١١ .

(٤) السيرة ٦٨٤-٦٨٥ .

وقيل ان جبريل تمثل لابي جهل بفعل من الابل (١) . ويقول ابن كثير ان جبريل كان يأتي النبي في صفات متعددة ، فتارة في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة اعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها (٢) .

وفي حنين وبدر ظهرت الملائكة في صور مختلفة تحارب مع المسلمين ضد الكفار (٣) .

وكما تمثل جبريل لمحمد بصورة دحية الكلبي ، كذلك كان قد اتى مريم من قبله في صورة آدمي شاب وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق ، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً (٤) . ولقد جاء حديث ذلك في سورة مريم : « واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجاباً ، فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » (٥) . اما الآية : « والملك على ارجائها » (٦) - أي على ارجاء السماء - فتدل على كثرة عدد الملائكة الذي لا يحصى ، كما تدل الاخبار والاحاديث . روي عن (ابن ذر) قول النبي : « اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون . اطت السماء وحق لها ان تظط ، ما فيها موضع اربع اصابع إلا عليه ملك ساجد ... » (٧) . ولقد اشرنا الى القول ان الملائكة لا يعرفهم غير خالقهم ، إلا ان صاحب الشريعة - كما يقول القزويني - أخبر بعضهم وهم

(١) السيرة لابن هشام ١٩١ ، ٢٥٨

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٤٠ - ٤١

(٣) السيرة ٤٥٠ ، ٤٦١ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٨٤٩

(٤) الكشف ج ٢ ص ٤

(٥) القرآن الكريم س ١٩ آية ١٦ - ١٨

(٦) القرآن الكريم س ٦٩ آية ١٧

(٧) مسند ابن حنبل : ج ٥ ص ١٧٣ وقد جاء في عجائب المخلوقات ص ٥٥ : قال سلم :

« أظت السماء وحق لها ان تظط ما فيها قدر شبر إلا وعليه ملك راکع أو ساجد »

الملائكة المقربون . ولهذا نرى ان من المفيد تلخيص ما جاء في « عجائب المخلوقات » عن هذه المخلوقات لتصوير فكرة قديمة عن الملائكة . فمنهم :

١ - حملة العرش : -- اعز الملائكة . وهم ، كما ذكرنا ، على صور مختلفة . وقد قال تعالى فيهم : « والملك على أرجائها ، ويجعل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ^(١) . وقال ابن عباس : وهم اليوم اربعة فأذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى بأربعة .

٢ - الروح : - كل نفس من انفسه تصبح روحا لحيوان وهو موكل بادارة الافلاك وحركات الكواكب .

٣ - اسرافيل : - قدماء تحت الارض السابعة ورأسه عند قوائم العرش !. فكيف لا يكون اهل من جبريل ؟ وهو نافخ الارواح ، ومدير الاوامر .

٤ - جبريل : - امين الوحي ، والروح الامين وافضل الملائكة . وهو وان كان ، كما يظهر ، اضعف من اسرافيل ، واقل حجما ، الا انه كما قال فيه تعالى : « ذي قوة عند ذي العرش مكين » ^(٢) . ويكفيه قوة انه رفع قري قوم لوط بجناحيه ، وصعد بها حتى سمع اهل السماء صياح ديكهم ، ثم قلبها !!

٥ - ميكائيل - موكل بالارزاق للاجساد ، والحكمة والمعرفة للنفوس ... وهو ان فتح فاه لم تكن السماوات في فيه الا كخردلة في بحر ! وهو لو اشرف على اهل السماوات والارضين لاحترقوا من نوره .

٦ - عزرائيل : - مسكن الحركات وفاصل الارواح عن الاجساد ، له اعوان بعدد من يموت . وهو رفيق بأهل التوحيد يقبضهم بيمينه في حرية بيضاء مغموسة في المسك . واما اهل الكفر فيشماله في سربال من قطران . وهناك قصة صداقته لسليمان تنفض النظر عنها لضيق المقام .

(١) القرآن الكريم س ٦٩ آية ١٧

(٢) القرآن الكريم س ٨١ آية ٢٠

٧ - الكروبيون : - تنبئ احاديث النبي عنهم انهم خلق لا يعرفون الا العكوف في حضرة القدس ، والاستغراق في التسبيح ليلاً نهاراً لا يفترقون .

٨ - ملائكة السماوات السبع : - يسبحون حتى قيام الساعة ، فاذا قامت ، يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك . وهم في السماء الدنيا على صور البقر ، وفي الثانية على صور العقبات ، وفي الثالثة نسور ، والرابعة بخیل ، والخامسة حور عين ، والسادسة ولدان ، والسابعة بنو آدم !! موكل بهم على الترتيب ، الملائكة : اسماعيل ، ميخائيل ، صاعديائيل ، صلصائيل ، كلصائيل ، سمحائيل ، روبائيل . وفوق السماوات السبع ملائكة اخر لا يعرفون بعضهم لكثرتهم ، يسبحون الله بلغات مختلفة كالرعد الصاعق !

٩ - الحفظة : - وهم الكرام الكاتبون ، الموكلون بتسطير افعال الانسان . قال الله تعالى : « كلا بل تكذبون بالدين ، وان عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون » (١) .

١٠ - المعقبات : - ينزلون بالبركات ويصعدون بارواح البشر واعمالهم ليل نهار .

١١ - منكر ونكير : - الملكان اللذان ، بحاسبات المرء في قبره بسؤاله عن ربه ونبيه ...

١٢ - السياحون : - يسيحون في الارض ويغشون مجالس الذكر ، ويرفعون ما يشهدون الى الله ، وهم غير الحفظة .

١٣ - هاروت وماروت : - وقد مر عنها الحديث في كلامنا عن العزى او كوكب الحسن التي اغرت حتى الملائكة كما شاهدنا بذلك ، الاعتقاد بتركيب شهوة الجسد حتى في صلب الملائكة .

١٤ - الموكلون بالكائنات : - وهؤلاء شأنهم اصلاح الكائنات ودفع

(١) القرآن الكريم س ٨٢ آية ٩ - ١٢

الفساد عنها . يقوم بعضهم بهندسة جسم الانسان اثناء غوه بالتغذي (١) .
وللاحظ ان القزويني في هذا الوصف العام ، انما وافق بين ما جاء
في القرآن والسنة وما عرف عن ارسطو والافلاطونية الحديثة .. مستهدفاً
ما يرمي اليه في كتابه من رسم صورة للعالم المخلوق في دقائقه واعاجيبه .
ولا بدع ان الكثير من هذه المعلومات الاسلامية عن الملائكة وغيرها ،
انما هي دخيلة ومستمدة من الفكر غير الاسلامية كالفلسفة والمسيحية
والثنوية والوثنية (٢) . وبها الكثير من الاسرائيليات حتى ان ابن كثير
يرى ان حديث هاروت وماروت بالجملة خبر اسرائيلي مرجعه الى كعب
الاحبار . ويقول ايضاً : « وقد ورد في قصتها وما كان من امرها
آثار كثيرة غالبها اسرائيليات » (٣) .

وليس غريباً ان يؤخذ بمن ذكرنا بعض المعلومات ، وقد احتك بهم
الجاهليون منذ عصور خلت . وكيف لا تكون هذه الاخبار وامثالها
غريبة في البدء عن الوسط الجاهلي ، والكلمة « ملائكة » الاصلية انما
هي جمع تكسير - كما يقول مكدونلد - للكلمة السامية القديمة « ملاك » -
بمعنى رسول (٤) . وليس بعيداً ان تكون اخذناها عن العبرية . والتخفيف
في العربية معروف . وهل اسهل من نقل « ملاك » الى « ملك » ؟ -
والجميل انك اذا استشرت اللسان وجدت ان ابا عبيدة انشد قول رجل
من عبد القيس ، جاهلي ، يمدح ملكاً فيقول :

فلست لأنسي ولكن للمأك تنزل من جو السماء يصب (٥)

(١) عجائب المخلوقات ص ٥٥ - ٦٣ وراجع البداية والنهاية ج ١ ص ٤٠ - ٥٠ . ومثالك
في القزويني (على هامش الدميري) فصل زائد عما في نسخة وستفيلد تتعلق بصور من ذكرنا من
الملائكة وملابسهم .

(٢) Enc. of Islam : مجلد ٣ ص ١٩٢ .

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٤٨ .

(٤) Enc. of Islam : مجلد ٣ ص ١٨٩ .

(٥) لسان العرب ج ١٢ ص ٣٨٦ .

فاللام في « ملك » كانت ساكنة فحركوها بنقلهم اليها حركة الهمز .
 فتأخذا جمعه ردوا في الجمع الهمز الاصلي ، فقالوا ملائك وملائكة .
 واقرب من ذلك ما جاء في تفسير الطبري من ان اصل الملك
 « الرسالة » كما قال الشاعر الجاهلي عدي بن زيد :
 أببلغ النعمان عني ملائكاً انه قد طال حبسي وانتظاري^(١)
 وهذا ما يوافق تماماً قول مكدونلد ان كلمة « ملك » العربية سامية
 قديمة « بمعنى رسول » اتخذناها عن اللغة العبرية .

الفصل الثاني : الجن

قديم الاعتقاد بالجن : أن الجن بحث طلي بمتع . والاعتقاد بالجن قديم
 جداً ، ولربما شأى بالقدم الاعتقاد بالآلهة . وتكاد الميثولوجيا العالمية لا
 تخلو من هذا الاعتقاد الذي حافظ على بقائه منذ ان خشي الانسان
 خوافي الطبيعة ، او الارواح المحتجة عن عيوننا حتى يومنا هذا .
 ولكل أمة قديمة جن وشياطين تلعب دوراً هاماً في حياتها ، لا يقل
 احياناً كثيرة عن دور الآلهة . وهي تختلف بالاسماء والافعال بحسب
 عقلية الشعب وما ورثه من معتقدات ومؤثرات وقصص .
 ومن بين تلك الشعوب القديمة امم الساميين^(٢) الذين بزغت في اراضيهم
 الديانات الثلاث الكبرى ... ونخص بالذكر هنا الشعب العربي الذي
 سكن بلاد العرب ، وحافظ في وجوده الخالد وحياته لغته على تراث
 الساميين اكثر من غيره .
 والبحث يطول ويتسع مهما أسهبنا فيه ، فلا نستطيع هنا الا ان نحيط
 بمختصر مفيد يشمل حديث هذا الباب ..
 لقد عم الاعتقاد في الجن الخاصة والعامة ، فلم يخالف احد -

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ١٥٢ .

(٢) راجع ص ٣٥٢ (Semetic) V. 5 The Mythology of All the World

كما يقول ابن تيمية - من طوائف المسلمين في وجود الجن ، وجهور طوائف الكفار على اثبات الجن . أما اهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كأقرار المسلمين ، وان وجد فيهم من ينكر ذلك ، كما يوجد بعض طوائف المسلمين ، كالجهمية والمعتزلة . «^(١) . وهذا يقول الدميري : « فاعلم ان الاحاديث في وجود الجن والشياطين لا تخصى ، وكذلك أشعار العرب واخبارها ، فالنزاع في ذلك مكبرة فيما هو معلوم بالتواتر »^(٢) .

ما هي الجن ؟ : ومن الصعب تحديد الجن بتعريف خاص ؛ ولا اظن ان تعريفاً محدوداً يعطينا ما تعطينا هذه اللفظة وحدها : « الجن » . قال القزويني : - والكلام ، كما يقول القاسمي ، لابن سينا في كتاب الحدود^(٣) - « زعموا ان الجن حيوان هوائي مشف الجرم من شأنه ان يتشكل بأشكال مختلفة »^(٤) . وفي حياة الحيوان ، قال الدميري في تعريف الجن انها « اجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة »^(٥) .

وما هذان التحديدان إلا عبارة عن محاولة لتعريف الجن بحسب ما وصلت للمؤلفين الاخبار منذ الجاهلية . والتعريفان يكادان يجمعان أهم النقاط التي وردت في غيرهما من تعاريف العلماء والمفسرين والفلاسفة^(٦) . وخير ما يتحصل من كلامهم انها مخلوقات مجردة عن الجسمية قادرة على التشكل !

وهم مخطئون في تحديدهم للجن ، لانهم لا يفرقون بين نوع وآخر ،

(١) ص ٥ : آكام المرجان في احكام الجن لبدر الدين الشبلي .

(٢) ص ١٨٨ ج ١ : حيان الحيوان الكبرى للدميري وراجع ص ١٠٤٦ Enc. of Islam

(٣) راجع ص ١١٧ - مجلة المقتصر ١٩١٠ .

(٤) ص ٣٦٨ : « عجائب المخلوقات للقزويني .

(٥) ص ١٨٥ ج ١ : الدميري .

(٦) راجع اقوالهم مختصرة في المقتبس ص ١٧٧ - ١٩٤ .

فهي ، كما نستدل من اعتقاد القوم الذي تحمله لنا الاخبار ، أصناف مختلفة : منها ما يقدر على التشكل ويبدأ حيزاً ، ومنها ما يتشكل وهو جرم خيالي .

والسائد ان الله خلق الملائكة - كما ذكرنا - من نور ، وخلق الجن والشیاطین من اللهب والدخان . وقد ورد في الكتاب آيات تحبر ان النار عنصر الجن . قال تعالى : « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » (١) . وفي مكان آخر : « وخلق الجان من مارج من نار » (٢) وعلى لسان ابليس حينما عصى ربه ولم يمثّل بالسجود لآدم : « خلقتني من نار وخلقته من طين » (٣) .

جن سليمان : والجن ، كما جاء في الاخبار ، هم سكان الارض قبل النوع البشري : اربعون فرقة كل فرقة ستمائة الف ... اكثروا في الأرض فساداً وثاروا على الآلهة ، فلاحقهم الملائكة وحاربهم ، ثم شنتهم وطردتهم الى اطراف الجزائر في البحور بعد ان أسرت منهم الكثير . كل ذلك وآدم لم يخلق بعد ، ولم يسكن الارض (٤) .

ولعلمهم لم يحشدوا ثانية إلا لسليمان ، حيث نادى جبريل : ايتها الجن والشیاطین ، أجبوا بأذن الله تعالى نبيّه سليمان بن داود ، فخرجت الجن والشیاطین من المغارات ومن الجبال والآكام والادوية والفلوات والآجام وهي تقول : ليك ليك ... والملائكة تسوقها سوق الراعي غنمه حتى حشرت لسليمان طائفة ذليلة . ثم وقفوا بين يديه فجعل ينظر الى خلقها وعجائب صورها وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق ، على صور الخيل والبغال والسباع ... ولها خراطيم واذناب وحوافر وقرون .. ثم قام

(١) القرآن الكريم س ١٥ آية ٢٧ .

(٢) القرآن الكريم س ٥٥ آية ١٥ .

(٣) القرآن الكريم س ٧ آية ١١ .

(٤) راجع تفسير الطبري ص ١٥٣ ج ١ ، والقزويني ص ٣٦٨ والشبلي

ص ٩ - ١٠ ، ثم Langdon ص ٣٥٢ .

سليمان وبنيه الخاتم ، فخرت الجن والشياطين ساجدة ، فأخذ يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم ... ورأى المردة منهم يهيمون بالفساد ، ففرقهم على الاعمال الشاقة ليدعم قوة ملكه .

ولقد خرف وهب بن منبّه فقال : لما حشدت الريح الصرصر الجن لسليمان ، وجدهم على صور عجيبة . منهم من كان وجهه على قفاه يخرج من فيه النار ، ومنهم من كان يمشي على اربع ، ومنهم من كان له رأسان ، والبعض له رؤوس الاسد وابدان الفيلة . ورأى سليمان شيطاناً نصفه صورة كلب ، والنصف الآخر صورة سنور ، وله خرطوم طويل ، فسأله عن نفسه فذكر اسمه وقال صنعتي الغناء وعصر الخمر وشربه ، وتزين ذلك للبشر . فصفده . وسأل آخر قبيح الشكل يقطر الدم من كل شعرة على بدنه ، فأجابه ان عمه سفك الدماء ، فأمر بتصفيده ، ولكنه قدم عهداً بأن لا يفسد ، فحتم على عنقه واطلقه .

ومر به ثالث في صورة قرد له اظافر كالمناجل ، وهو قابض على يربط ، فسأله عن اسمه وعمله ، فقال انا مرة بن الحارس ، اول من وضع هذا الربط وحرّكه ، فلا يجد احد لذة الملاهي الا بي ، فأمر بتصفيده ^(١).

مواطن الجن في بلاد العرب : ولعل للوهم والخوف اكبر الأثر في تحديد اماكن الجن ومساكنها عند الاعراب ، والا فلماذا لا تكثر معارضات الجن للاعراب الا في البوادي الجرداء ، وبطون الاودية ؟ والا لماذا لا تعبت وتحوم الا في الخرائب والاماكن المهجورة ، حيث تحاك من حولها الخرافات الخيفة والاساطير التي تحذر الناس من الاقتراب من هذه المواضع ؟ ينقل الجاحظ عن بعض اصحاب التفاسير : « ان جماعة من العرب كانوا اذا صاروا في تيه من الارض وتوسطوا بلاد الحوش ، خافوا عبث الجن والسعالي والغيلان والشياطين ، فيقوم احدهم فيرفع صوته : انا عائدون بسيد هذا الوادي ، فلا يؤذيهم احد ، وتصير

لهم بذلك حفاوة » (١) .

وللاحظ ان الجن ، التي قالوا عنها انها حشدت لسليان ، خرجت من المغاور والجبال والآكام والادوية والقلوات . . . وكلها اماكن رهيبة تلقي الرعب - وخاصة في هدأة الليل - في قلوب الناس . ويقول الجاحظ ايضا : « وترغم الاعراب ان الله تعالى حين اهلك الامة التي كانت تسمى (وبّار) كما اهلك طسماً وجديساً وعملاق وغوداً وعاداً ، سكنت الجن في منازلهم وحمتها من كل من ارادها ، وانها اخضبت بلاد الله واكثرها شجراً واطيبها ثمراً واكثرها حباً وغناً واكثرها نخلاً وموزاً ، فان دنا اليوم انسان من تلك البلاد متعبداً او او غالطاً حثوا في وجهه التراب ، فان ابي الرجوع خبلوه وربما قتلوه » (٢) .

وقد ضرب المثل في بعد الاهتداء لوّبار ، وكثرت في ذلك الاشعار . وهم يتحدثون عن (وبار) كما يتحدثون عما يجدونه بالدو ، والصمان ، والدهناء ، ورمل يبرين . يقول الجاحظ : « قالوا فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الوحشية . والحوش من الابل عندهم هي التي قد ضربت فيها فحول ابل الجن . . . فالحوشية من نسل ابل الجن ، والعنبدية والمهرية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش » (٣) .

وكثيراً ما تذكر الشعراء مواضع للجن يضرب بها المثل ، وهي في اماكن شتى في بلاد العرب ، كأن يقولوا : جن البدي وجن البقار ، وجيهم ، وابرق الخنات الذي يسمع فيه عزيف الجن ، وذو سمار ، وعبقر (٤) وغيرها .

والهمداني حينما يشير الى الاماكن التي ذكرها لييد في قصيدته

(١) البيان والتبيين للجاحظ ص ٦٧ ح ٦

(٢) المصدر نفسه ص ٦٦

(٣) المصدر نفسه ص ٦٦ .

(٤) ص ١٢٨ ، ١٥٤ : صفة جزيرة العرب .

الكبرى ويأتي على البيت :

غلب تشذر بالذحول كأنها جن البدي رواسياً اقدامها
يقول : « البدي موضع ينسب اليه كثرة الجن . ولا يكاد يعرف ،
كما يقال جن عبقر وجن ذي سمار . وذو سمار موضع معروف .
ويقولون غول الربضات : موضع معروف بنجد ، وجن وبار ، وهي ارض
كانت امم من العرب العاربة تسكنها ، ولم التى من يعرفها » (١) .
« وقالوا شيطان الحماطة ، وغول الفقر وجان العشر ، وشيطان عبقر .
ونسب كل شيء في الجودة الى عبقر حتى قيل لم ار عبقرياً مثله » (٢) .
عبقر : ولعل عبقر اشهر ما يلفت النظر من هذه الاماكن . فهي
نحجة كثر الاختلاف في تعيين موقعها . يقولون انها في ارض اليمن ،
ويقولون انها موضع بنواحي اليمامة ، ويقولون ان عبقر اسم لجل بالجزيرة
كان يصنع به الوشي . ويعلق ياقوت بعد ذلك بقوله : ولعله كان بلدًا
قديمًا وخرب ، كان ينسب اليه الوشي ، فلما لم يعرفوه نسبوه الى الجن ،
ومن ثم نسب كل شيء جيد الى عبقر (٣) .
وخير ما في المعاجم اللغوية ان عبقر قرية يسكنها الجن فيما زعموا ،
ينسبون اليها كل عمل دقيق وعظيم (٤) .

يقول امرؤ القيس في وصف جسرته الذلول :

كأن صليل المروحين تطيره صليل زيوف ينتقدن بعبقرا (٥)
وبما جاء في مقدمة « عبقر المألوف » ان عبقر على رأي (ادي اشير)
فارسية من كلمة (ابكلار) بمعنى الروتق والعزة والكمال او على رأي
الاستاذ انتساز الكرمل ي يونانية من كلمة Hyperkheir بمعنى (الذي

(١) ص ٢٢٣ : صفة جزيرة العرب .

(٢) ص ٢٨١ ج ٢ محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني .

(٣) راجع ص ٦٠٦ - ٦٠٧ ج ٣ : معجم البلدان .

(٤) ص ٣٧٩ ج ٣ : لسان العرب .

(٥) ص ١٣٠ العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين .

تتال يده ما وراء مكنته) او كلمة Hyperkheiria بمعنى (المحامية
القوية اليد والقديوة) وهذا لقب يونون او هيرا اليونانية Héra التي
كرمها القدماء ، وكل ذلك من معاني العبقرية أي الكمال من كل شيء
او التفوق والقوة (١) .

انتقال قوى الجن : وكثيرة تلك الروايات التي من شأنها اثبات
اعتقادهم بانتقال قوى الجن بكاملها من مكان الى مكان بسرعة مذهشة ،
كأن يقولوا مثلاً : مررنا بقوم ونزلنا للراحة عندهم ، ثم غادرناهم ،
وعدنا بعد قليل فلم نجد للقوم اثرأ فعلمنا انهم الجن . والشيلي في كتابه :
« آكام المرجان في احكام الجان » ينقل عن الزنخشري ، قال : « تقول
الاعراب ربما نزلنا لجمع كثير ، ورأينا خياماً وناساً ثم فقدناهم من
ساعتنا . يعتقدون انهم الجن وان تلك خيامهم وقبايعهم . » (٢) .
ولا يستبعد ان يكون هذا الاعتقاد ناتجاً عن سرعة انتقال البدو من
منتجع الى منتجع ، حتى إذا مر بهم قافل لم يجد إلا آثارهم ، فيقول في
نفسه كأنهم الجن . والبدوي لا يعوقه شيء في السفر ، وهل سفر
البدوي غير هد ورحيل ؟

مطايا الجن : ومن لطيف ما يروى ان الجن تركب انواعاً كثيرة
من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات . ذكر الراغب الاصفهاني
قال : « ادعوا ان الجن يركب كل وحش من البهائم والطيور الا
الارانب ... والضباع .. والقرود ... وقالوا بكثير ركوبها القنفذ والورل ...
وقالوا من قتل من اول الليل بعض هذه المراكب لم يأمن على فعل
ابله . ومضى اعتراه غم او مرض في ماله واهله حكموا بأن ذلك عقوبة
من قتلهم » (٣) .

وكثيراً ما يمتطون الظباء في البوادي . قال بعض الاعراب : « احلف

(١) ص ٥ : عبق شفيق الملوغ

(٢) الشيلي ص ٢٣ .

(٣) الراغب الاصفهاني : ص ٢٨١ ج ٢

بأنه لقد كنت أجد بالطباء التوقيع في ظهورها والسمة في الأذان « (١) »
ولم تنج الذئاب من ركوب الجن . جاء في الأغاني عن رجل روى
فقال : « بينا نحن نسير بين انقاء من الارض تذاكرنا الشعر ، فاذا
راكب اطللس يقول : اشعر الناس زياد بن معاوية ، ثم تلمص فلم نره » (٢) .
على ان اشهر مطايا الجن ، واحب المركوبات اليها ، النعام ، كما
يظهر من اخبارهم . وفي عجائب المخلوقات قصة طريقة جرى ذكرها ،
كما يزعمون ، في مجلس عمر بن الخطاب ، ثبتها على سبيل التفكيه
والاستشهاد قال راويها : « خرجت عاشر عشرة نريد الشام ، فتأخرت عن
اصحابي حتى اختلط الظلام ، فرفعت لي نار فقصدتها ، فاذا أنا بحيمة
أمامها جارية جميلة ، فقلت لها ما تصنعين في هذا المكان ؟ فقالت انا
جارية من فزارة اخطفني عفريت ، وهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار ،
فقلت لها امضي معي ، فقالت اخاف على نفسي الهلاك ، فالحقت
عليها ، فأركبتها ناقتي ، وجعلت أمشي حتى طلع القمر ، فالتفت فاذا
ظليم عظيم عليه راكب ، فقالت : ها هو قد أتانا ، فما نريد نصنع ؟
فأتمت الراحلة وانزلتها ، وخططت حولها ، وقرأت آيات من القرآن
وتعوذت بالله ، فتقدم وانشأ يقول :

يا ذا الذي للحين يدعوه القدر

خل عن الحسناء رسلا ثم سر

اني امرؤ مالك حين قاصطبر

فأجبت وقلت :

يا ذا الذي للحين يدعوه الحق

خل عن الحسناء رسلا وانطلق

فلست بالجن بأول من عشق

(١) البيان والتبيين للجاحظ ص ٧٤ ج ٦

(٢) ص ١٦٣ ج ٩ الأغاني .

- فبرز الي في صورة اسود فتصارعنا ، فلم يغلب احد منا صاحبه . فقال لي هل لك في خصلة من خصال ثلاث ؟ قلت ما هي ؟ قال : تجز ناصيتي وتعرض عن الجارية ، قلت ناصيتك اهون شيء علي . قال : فتأخذ ما تشاء من الابل . قلت : لا ابيع ديني بعرض من الدنيا . قال : فاخدمك ايام حياتك . قلت : مالي الي خدمتك حاجة . فأنشأ يقول :

بلى جسدي - والحب يبلى جديده ولم يبلى مني اذ بلى جسدي ، وجدي عليك سلام الله يا دعد ما جرت . رياح الصبا في الغور يوماً وفي نجد فسرت بها الى اهلها ، فزوجوها ولي منها اولاد « (١) .

وفي الاغاني روى حاج بصري قال : فاني لاسير في ليلة اضعيانه ، اذ نظرت الى رجل شاب راكب على ظليم ، قد زمه بمخظامه ، وهو يذهب عليه ويحيي وبرتجز... فعلمت انه ليس بانسي ، فاستوحشت منه ، فتردد علي ذاهباً وراجعاً حتى انتست به فسألته عن اشعر الناس فأجاب... ثم ذهب (٢) .

ولم يكن المعتقد بركوب الجن للنعامه عند الاعراب فحسب ، فلقد كان للنعامه صلة بالجن في الميثولوجيا العربية ، كما كان لها علاقة بالجن في الميثولوجيا البابلية ايضاً (٣) .

اصناف الجن : وتختلف الروايات التي تضع الجن في مراتب وتقسمها الى اصناف . وقد نقل الشبلي قول ابي عمرو ، بن عبد البر ، قال : « الجن عند اهل الكلام والعلم منزلون على مراتب ، فاذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جني ، فان ارادوا انه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر ، والجمع عمار . فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا ارواح ، فان خبت وتغزّم فهو

(١) ص ٣٧٣ - ٣٧٤ القزويني

(٢) ص ٧٩-٧٨ ج ٨ الاغاني .

(٣) ص ٦ Langdon ويراجع الدميري ص ١٨١ ج ١

شيطان ، فان زاد على ذلك فهو مارد ، فان زاد على ذلك وقوي امره قالوا عفريت ، والجمع عفاريت « (١) . وهم في الجملة جني وخواف فاذا ظهر الجني ونطق واتقى وصار كله خيراً فهو ملك « (٢) . وجاء في عيون الاخبار ان الشياطين مردة الجن ، والجان ضعفة الجن « (٣) .

وقد سئل وهب بن منبه عن الجن فقال : « هم اجناس ، فاما الصميم الخالص من الجن ، فانهم ريج لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون في الدنيا ولا يتوالدون . ومنهم اجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم الشعالي والغيلان والقطارب وأشباه ذلك « (٤) .

وفي عرض الحديث عن الجن يقول ابن كثير : « والمقصود ان الجان خلقوا من النار وهم كبني آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون « (٥) . وينسبون الى النبي احاديث يؤخذ منها ان الجن اصناف : منها ما هو كالريح يطير في الهواء وبأجنحة ، ومنها حيوانات كالحيات والعقارب وخشاش الارض ، ومنها ما يحل ويظعن كالآدميين وعليهم الحساب والعقاب « (٦) . وفي عجائب المخلوقات يأتي القزويني على فصل في ذكر بعض المتشيطنة واشهرها الغول والسفلاة . وقبل ان تذكر شيئاً عنها نود ان نسوق كلمة عن شيخ الشياطين ...

ابليس : في رواية للطبري ان ابليس كان على رأس الملائكة الذين ارسلهم الله الى محاربة الجن في الارض قبل آدم « (٧) . وفي الاخبار ، كما نقل القزويني ، ان ابليس كان في الأرض صغيراً حينما هبطت جنه الملائكة

(١) ص ٨ الشبلي

(٢) البيان والتبيين ص ٥٩٠٥٨ ج ٦

(٣) ص ١٠٩ ج ٢ : عيون الاخبار لابن قتيبة

(٤) الدميري ص ١٩٢ ج ١

(٥) ص ٥٦ ج ١ البدايه والنهاية

(٦) الدميري ص ١٨٥ ج ١ وراجع الشبلي ص ١٧-١٨

(٧) ص ١٥٣ ج ١ تفسير الطبري .

«وشتت الجن وأسرت منهم الكثير . وكان نفسه بين الأسرى حيث نشأ مع الملائكة» (١) حتى سادهم ... الى ان كانت قصة العصيان ...
ففي الاولى نجد ان ابليس ملك تقي ثم انقلب الى شيطان رجيم ،
وفي الثانية نجده في الاصل شيطانا ... وارتفع الى مصاف الملائكة ثم
انحدر من علياء الجنان ملتعنوا الى جحيم الأرض ، ولا بأس فقد مر
معنا امكانية انتقال الجني الى ملك اذا اتقى وصار خيراً كله ، او بالعكس
كما حدث لهاروت وماروت .

وفي الكتاب آيتان يستدل من الأولى ان ابليس ملك من الملائكة
وهي « واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
وكان من الكافرين » (٢). وفي الثانية نرى تصريحاً بان ابليس كان من
الجن وهي « واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن » (٣) . وترك الآيتين كما هما دون تأويل مشيرين الى ان
اختلاف الآراء في ابليس إنما راجع لهما . اما القائلين بان ابليس من
اصل جني فاكثروا واشهر . يقول البيضاوي « على ان الملك لا يعصى ،
وانما عصى ابليس لانه جنياً في اصله » (٤) . وذكر المسعودي ان الله
تعالى خلق الجن من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من
من آدم وان الجن غشيها فحملت منه » (٥) .

وقال الدميري « واعلم ان المشهور ان جميع الجن من ذرية ابليس ،
وبذلك يستدل على انه ليس من الملائكة ، لان الملائكة لا يتناسلون
لانهم ليس فيهم اناث » (٦) .

(١) ص ٣٦٨ القزويني .

(٢) القرآن الكريم س ٢ آية ٣٢ .

(٣) القرآن الكريم س ١٨ آية ٤٨ .

(٤) ص ٥٦٥ ج ١ : انوار التنزيل .

(٥) ص ٣٢٠ ج ٣ : مروج الذهب .

(٦) ص ١٩١ ج ١ : الدميري .

ثبوته : وتتلخص غلبة الله على ابليس بكبريائه وترفعه بعنصره « النار » .
(وهذا ما يؤيد انه من مصاف الجن) على الصلصال والحما المسنون .
ويبتديء النضال الروحي بين ذريته وذرية خصه آدم . وقد طلب منذ
البدء من الله ان ينظره الى يوم يبعثون ليضل الانسان عن سبيله . وقد
جاء على لسانه : « قال رب بما أغويتني لازيت لهم في الارض ولاغوينهم
اجعين » (١) .

بعد هذا كله نرى ان ابليس : اسمه وقصة عصيانه ، انما هما من
مستوردات العرب ، وليس لنا بها شيء أصلي البتة . قال النووي « ابليس
كنيته ابو مرة . واختلف العلماء في انه هل هو من الملائكة من طائفة
يقال لهم الجن ام ليس من الملائكة ، وفي اسمه هل هو اسم اعجمي ام
عربي » ؟ (٢) وجاء في الديميري ان اسمه كان بالعبرانية عزازيل (٣) ..
وكما نقرأ شيئاً عنه يتبين لك شعورهم باجنية ابليس وما يتعلق به .

وقد عرض لذلك Langdon في كتابه « الميثولوجيا السامية » فرأى
ان اسطورة عصيان ابليس الاسلامية على الخالق انما هي مستمدة من
القصة المسيحية اليهودية المذكورة في « اسفار آدم وحواء » .

اصل الكلمة : ويرى كذلك ان الكلمة نفسها « ابليس » مستعارة
في العربية من الكلمة اليونانية Diabolos بمعنى الشيطان Devil (٤) . ومن
هذا القبيل يرى نلدكه ان كلمة جن نفسها ربما كانت متعلقة باصطلاحات
دينية استعملت في بعض اللغات السامية ، وان كان يرى ان جمعها
(جناح) ذو شبه كبير بالكلمة Ganen الحبشية التي تعطي نفس المعنى ،
وكذلك يرى ان كلمة « شيطان » مستعارة في اللغة العربية فهي

(١) القرآن الكريم س ١٥ آية ٣٩ .

(٢) الديميري ص ١٩١ ج ١ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) ص ٣٥٤ - ٣٥٥ Langdon .

تتفق كل الاتفاق مع « شيطان » الحبشية المشتقة من Satan العبرية ^(١) .
فتنة للبشر : هذا ، ويتخذ ابليس عرشه على الماء . ومن هناك يرسل الشياطين لفتنة البشر ، وتكون المكافأة نسيئة مع مقدار هذه الفتنة . اعظمهم عنده منزلة اشدّهم فتنة . والظاهر ان التفريق بين الرجل وزوجه شيء مستحب عنده ^(٢) . وهو مجازي اولئك الذين يعجزون عن فتنة البشر مجازاة قاسية . جاء في « آكام المرجان في احكام الجان » :
« ان ابليس اتخذ عرساً على الماء وוכל بكل رجل شيطانين واجلها سنة ، فان فتناه ، وإلا قطع ايديها وارجلها ، وصلبها ثم بعث له شيطانين آخرين » ^(٣) .

اولاد ابليس : ومن الشياطين الابطال خمسة ، يزينون الصغار والكبار للناس ، وهم اولاد ابليس على رأي مجاهد ، قال : « لابليس خمسة من الاولاد ، وقد جعل كل واحد منهم على شيء من امره ، فذكر ان اسماءهم : ثبر ، والاعور ، ومبسوط ، وداسم ، وزلنبور ! اما ثبر فصاحب المصايب يأمر بالثبور وشتى الجيوب ، واما الاعور فانه صاحب الزناء يأمر به ويزينه في اعينهم .. واما مبسوط فصاحب الكذب ، واما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينها البغضاء .. واما زلنبور فهو صاحب السوق ، وبسببه لا يزال اهل السوق محاصرين » ^(٤) .

مصايد النساء : ومن لطيف ما ينسبون الى النبي - عن ابي امامة - قوله : « ان ابليس لما نزل الى الارض قال : يا رب انزلني وجعلتني رجلاً فاجعل لي بيتاً ، قال : الحمام .. قال : فاجعل لي مجلساً ، قال : الاسواق ، وجميع الطرق .. قال : فاجعل لي طعاماً ، قال : ما لم يذكر اسم الله عليه .. قال : فاجعل لي شراباً . قال : كل

(١) Enc. of Religion and Ethicth ١ ج ٦٦٦

(٢) الثبلي ص ١٧٥

(٣) نفس المصدر ص ١٧٦

(٤) الغزويني ص ٣٦٨

ميسكر .. قال : فاجعل لي مؤذناً . قال : المزامير ، قال : فاجعل لي قرآناً ، قال : الشعر .. قال : فاجعل لي خطاً ، قال : الوشم .. قال : فاجعل لي حديثاً ، قال : الكذب . قال : فاجعل لي مصيد ، قال : النساء .. » (١) .

الغيلان والسعالي : الغول أشهر الماشيطنة في رأي القزويني . وهو ، كما زعموا « حيوان مشوه لم تحكمه الطبيعة ، وانه لما خرج مفرداً لم يستأنس وتوحش ، وطلب القفار ، وهو يناسب الانسان والبهيمة ، وانه يتراءى لمن يسافر وحده في الليالي واوقات الفلوات ، فيتوهم انه انسان فيصد المسافر عن الطريق » (٢) . وقد خدده الجاحظ قبل ذلك فقال : « الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والسياب ذكراً كان ام انثى ، إلا ان الأكثر على انه انثى » (٣) . والدميري يقول : « الغول بالضم احد الغيلان ، وهو جنس من الجن والشياطين ، وهم سحرتهم » . ونقل عن الجوهري قوله : « هو من السعالي والجمع اغوال وغيلان ، وكل ما اغتال الانسان فأهلكه فهو غول ، والتغول التلون .. ويقال تغولت المرأة إذا تلونت . ويقال غالته غول ، إذا وقع في مهلكة » (٤) .

وقال المسعودي : « وللعرب في الغيلان والتغول اخبار طريقة لانهم يزعمون ان الغول يتلون لهم عند الخلوات ، وانها تظهر لخواصهم في انواع من الصور يخاطبونها ، وربما باضعوها ، وقد اكثرنا من ذلك في اشعارهم » (٥) . « يزعمون ان رجله رجلا غير ، فكانوا اذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون فيقولون :

(١) القزويني ص ٣٦٨

(٢) نفس المصدر ص ٣٧٠

(٣) البيان والتبيين ص ٤٨ ج ٦

(٤) الدميري ص ١٦٧ ج ٢

(٥) مروج الذهب ص ٣١٤ ج ٣

يا رجل غير انهقي نهيقاً لن نترك النسب والطريقا
وذلك انها كانت تتراعى لهم في الليالي واوقات الخلوات ، فيتواهمون
انها منهم ، فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق الذي هم عليه ، وتتيهمهم^(١) .
وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه ، فلم يكونوا يزولون عما هم عليه
من القصد . فاذا صبح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الاودية
ورؤوس الجبال »^(٢) .

ومن غريب ما يروون عن الغول انها اذا ضربت ضربة واحدة
ماتت ، إلا ان يعيد عليها الضارب قبل ان تقضي ضربة اخرى ، فان
فعل ذلك لم تمت . ولهذا اشار الشاعر بقوله :

فثنيت والمقدار بحرس اهله فليت يميني قبل ذلك شلت^(٣)
واما السعلاة فلا اراها تقترب عن الغول . قال الجاحظ « والسعلاة
سم لواحدة من نساء الجن تنغول لتفتن السقار . قالوا وانما هذا على
العبث او لعلها ان تقزع انساناً فيتغير عقله من اجله عند ذلك ، لأنهم لم
يسلطوا على الصحيح العقل »^(٤) . ويرى الدميري انها اخبت الغيلان ، ونقل عن
غيره ان السعالي سحرة الجن^(٥) . واخذ عن السهيلي قوله ان « السعلاة ما
يتراعى للناس بالنهار والغول ما يتراعى للناس بالليل »^(٦) . واما القزويني فيرى
ان السعلاة نوع من المتشيطنة متغايرة للغول . وانها اكثر ما توجد في
الغياض ، وإذا ظفرت بانسان ترقصه وتلعب به كما يلعب الهرة بالفأرة .
ويذكر أن الذئب يفترسها فتستغيث ، إلا ان القوم يعلمون انها السعلاة
فلا يغيبها احد فياً كلها الذئب »^(٧) . ولا ادري كيف يتمكن الذئب

(١) راجع الدميري ص ١٦٧ ج ٢ .

(٢) مروج الذهب ص ٣١٥ الى ٣١٦ ج ٣ .

(٣) البيان والتبيين ص ٧٢ ج ٦ .

(٤) نفس المصدر ص ٤٨ .

(٥) الدميري ص ١٨ و ١٦٨ ج ٢ .

(٦) الدميري ص ٢٠ ج ٢ .

(٧) القزويني ص ٣٧٠ الى ٣٧١ .

من افتراس من يلعب بالانسان كما يلعب القط بالفأر ؟ وكثيرون من الناس من يفترون الذئب نفسه !!
وبما ذكره ابن منظور ان السعلاة ساحرة الجن كما ذكر الدميري ، على انه اشار الى القول بانها هي الغول عينها التي تذكرها العرب في أشعارها (١).

تشكل الغيلان والشياطين : وكما ان للملائكة القدرة على التشكل ، كذلك تتشكل الغيلان وغيرها من الجن في صور مختلفة . وقد ضرب ابن زهير تلون الغول مثلاً لتحول « سعاد » فقال :

وما تزال على حال تكون بها كما تلون في اثوابها الغول
وقد زعموا ان الجن والشياطين والغيلان يتحولون في اي صورة شاءوا
إلا الغول فانها تتحول في جميع صور المرأة ولباسها إلا رجلها فلا بد ان يكونا رجلي حمار (٢) . وقال الشبلي لا شك ان الجن يتطورون ويتشكلون في صور الانس والبهائم فيتصورون في صور الحيات والعقارب ، وفي صور الابل والبقر والغنم والحيل والبعال والحمر ، وفي صور الطير ، وفي صور بني آدم كما اتى الشيطان قريشاً في صورة سراقه بن مالك بن جعشم لما ارادوا الخروج الى بدر « وكما يروى انه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في امر الرسول صلى الله عليه وسلم هل يقتلوه او يحبسوه او يخرجوه » (٣)
كذلك تمثل ابليس في صورة شيخ نجدي وجاء قريشاً لما اختلفت في امر الركن والتجأت الى محمد (٤) .

صباح الديكة : والجن كما تظهر (في اعتقادهم) للناس احياناً ، خفية ، على الاكثر ، عن العيون ، في حين أنها تظهر لبعض الحيوانات . روى

(١) لسان العرب ص ٤١٨ ج ٧

(٢) البيان والبيان ص ٦٨ ج ٦

(٣) الشبلي ص ١٨ الى ١٩

(٤) الشبلي ص ١٨٧

عن ابي هريرة ان النبي قال : « اذا سمعتم صياح الديكة ، فأسألوا الله من فضله ، فانها رأَتْ ملكاً . وإذا سمعتم نقيق الحمام ، فتعوذوا بالله من الشيطان ، فانها رأَتْ شيطاناً . . » (١)

معارك الجن : وكنا ذكرنا في الكلام عن مراتب الجن ان منها من لا يأكل ولا ينام ولا يتوالد . ومنها ما هو على عكس ذلك ، يعيش بأسباب الحياة كلها ، بل يتنازع البقاء ويحارب بعضه بعضاً . قال « سمث » ان الزواجع في كثير من الاساطير العربية ، عبارة عن الظواهر المرئية لمعركة بين عشرين من الجن (٢) .

ابليس وجمعه بين الذكورة والانوثة : وذكرنا ايضاً ان لابليس نفسه خمسة اولاد ، على ان الشياطين كلها من ذريته كما ان البشر من ذرية آدم . وقد جاء في الكتاب : « افتخذونه وذريته اولياء من دوني » (٣) ... على اننا لا نعرف لابليس زوجة ، وان قيل انها خلقت منه كما خلقت حواء من آدم ، بينما نعرف عن امنا حواء الاخبار الطوال .

على انهم يذكرون ان في الجن ذكوراً واناثاً (خلاف الملائكة) فيتوالدون من ذلك .. ومن الطريف قولهم ان في ابليس وحده اعضاء الذكورة والانوثة معاً وذلك في فخذه .. وبذلك يتوالد فيخرج له كل يوم عشر بيضات في كل بيضة سبعون شيطاناً ، وشيطانة (٤) ..

زوجة ابليس : لكنهم لا يكتفون بذلك ، بل يروون ان الله قال لابليس : لا اخلق لآدم ذرية إلا ذراتك مثلها ، فليس من ولد آدم احد إلا وله شيطان قد قرن به .. كما يروون حديثاً عن النبي ان الله لما اراد ان يخلق لابليس نسلاً وزوجة ، التقى عليه الغضب فطار

(١) الشبلي ص ١٩٣ .

(٢) Smith : Rel. of the Semites ص ١٣٤

(٣) القرآن الكريم ص ١٨ آية ٤٨

(٤) الدميري ص ١٩٢ ج ١ .

منه شظية من نار فخلق منها امرأته (١) .

التوابع والقروناء : وخلاصة القول في الجن انها مخلوقات خفية
يسخروا لفتنة الناس .

وكما لكل انسان ملك موكل به ، كذلك له قرناء من الشياطين .
رووا في حديث لعائشة ان النبي خرج من عندها ليلاً ورجع فتوسم فيها
الغيرة ، فقال : مالك يا عائشة ؟ أغرت ؟ فقالت : ومالي لا يغار مثلي
على مثلك ؟ فقال الرسول : فأخذك شيطانك ؟ فقالت : يا رسول
الله ، أو معي شيطان ؟ قال : نعم لا ومع كل انسان . قالت :
ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم .. ولكن ربي عز وجل اعانني عليه (٢) .
وكثيراً ما اجمعوا ان لكل انسان قريناً من الشيطان . ولقد مر
معنا ان عمرو بن لحي كان كاهناً ، وله رأي ، وكذلك غيره من
الكهان الذين يسخرون توابعهم في اغراضهم وحيلهم . كما ظن القرشيون
ان في محمد رثياً . فقالوا له انهم مستعدون ان يلتمسوا له الطب
والتعاويد ! ولعل اشهر هذه التوابع والقروناء اولئك الذين يلقون الشعر
على السنة الفحول من الشعراء ، ويعرفون « بشياطين الشعراء » وسنأتي ،
بعد ، على ذكرهم .

الخوف من الجن ، وعبادتها : وكانت العرب في خوف دائم من
الجن ، فلذلك كانوا اذا احتوتهم هوجل ، يستجيرون منها رهبة لا رغبة .
قال الراغب : « كانت العرب اذا سار احدهم في تيه من الارض ، وخاف
الجن يقول رافعاً صوته : انا مستجير بسيد هذا الوادي . ويصير له بذلك
خفاة » (٣) . وقد اشار الكتاب الى هذه الاستعاذة فقال : « وانه
كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » (٤) .

(١) الديمري ص ١٩٢ ج ١ .

(٢) الشبلي ٢٦ .

(٣) الراغب الاصبهاني ، محاضرات الادباء ص ٢٨٠ ج ٢ .

(٤) القرآن الكريم ص ٧٢ آية ٦ .

ولم يقفوا عند حد الاعادة والاستجارة بهم ، فقد قدموا لهم الذبائح ، و « ذبائح الجن ان يشتري الرجل الدار أو يستخرج العين أو ما شبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة . وكانوا في الجاهلية يقولون اذا فعل ذلك لم يضر أهلها الجن . » (١) ويستفاد من بعض الأخبار ان هذه العادة أو هذا الخوف من الجن قد استمر حتى بعد ان نهى النبي عن ذبائح الجن ، وعن اكل ما ذبح لهم وعلى اسمهم . وقيل ان بعض الخلفاء قد ذبح للجن حينما استنبط عيناً ، وذلك خوفاً من ان يغوروا ماءها (٢) .

والعامة ، حتى في أيامنا هذه ، لم تخل من الاعتقاد بهذه الخزعبلات حيث يقولون ان هذه الدار مأهولة بالجن ، وذاك المكان عامر بالارواح ! هذا ، وقد غالوا في الجاهلية حتى عبدوا الجن ، كما مر سابقاً . ومنهم من روى انه الآية : « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب .. » (٣) الى آخر الآية .. انما نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نقرأ من الجن (٤) .

كل ذلك لان الجن تستهوي الأنس وتحطفهم (٥) . وقد سبت رجلاً من الأنصار وأبقته عندها أعواماً (٦) . وضرب بمن استهوته الشياطين المثل فقيل : « كالذي استهوته الشياطين في الأرض حوله اصحاب يدعونه الى الهدى » (٧) . وتردد حديث « خرافة » الذي استهوته الجن حتى ضرب به المثل ايضاً . قالت عائشة : « حدث رسول الله ﷺ ، نساء ذات ليلة حديثاً ، فقالت امرأة ، يا رسول الله كانت الحديث حديث

(١) الديميري ص ١٩٦ ج ١

(٢) الشبلي ٧٨

(٣) القرآن الكريم ص ١٧ آية ٥٩

(٤) الشبلي ١٢٢

(٥) راجع من استهوته الجن في محاضرات الادباء ص ٢٨١ ج ٢

(٦) الديميري ص ١٨٧ ج ١

(٧) القرآن الكريم ص ٦ آية ٧٠

خرافة فقال : أتدرون ما خرافة ؟ ان خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية ، فكث فيهن دهرًا طويلاً ثم رده الى الانس . فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس : حديث خرافة « (١) » .

ولم تكف الجن باستهواء الانس ، فقد كانوا يقتلونهم عند الاساءة اليهم . وهذان حرب بن أمية ، ومرداس بن ابي عامر السلمي - رجلان عاشا قبل محمد بجبل (٢) - تقتلها الجن لاحتراقها شجر القرية . قال ابو الفرج : « وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها ، وتواترت الروايات بذكره » (٣) . وكذلك قتلت علقمة بن صفوان وسعد بن عبادة (٤) . وكثيراً ما يروون ان الانس يقتلون الجن ، وهذا تأبط شراً يحمل الى قومه رأس الغول ، وذاك عمر بن الخطاب يصرع جنياً (٥) . وذلك عمار بن ياسر يقاتل مع النبي الانس والجن ، ويروي عن نفسه يقول : « أرسلني رسول الله ﷺ ، الى بئر أستقي منها ، فرأيت الشيطان في صورته ، فصارعتي فصرعته ، ثم جعلت أدمي أنفه بفهر كان معي او حجر » (٦) .

الفوام بين الثقليين : على ان هذا الصراع الغريب المتواصل لم يمنع الثقليين من الوقوع في حب بعضها البعض . وقد مرت معنا قصة الجنى عاشق الجارية الفزارية . ومن الجنيات من يقعن في رجال من الانس . ويستدل من قصة ذكرها الجاحظ ان الصرع نفسه (وهو لا يقع إلا للأنس رجالاً كانوا ام نساء) إنما هو نتيجة لهذا الحب ، وهو ليس عندهم الا على جهة ما يعرفون من الضجاع (٧) . « وهم

(١) مسند ابن حنبل ص ١٥٧ ج ٦ .

(٢) Smith : Rel. of the Semites ص ١٣٣ .

(٣) الاغاني ص ٩٢ ج ٦ . راجع الاغاني ص ١٣٥ ج ٢٠ .

(٤) البيان والتبيين ص ٦٤ ج ٦ .

(٥) محاضرات الادباء ص ٢٨٠ ج ٢ .

(٦) الدميري ص ١٨٩ ج ١ .

(٧) البيان والتبيين ص ٨١ ج ٦ .

يزعمون ان المجنون إذا صرعه الجنية ، وان المجنونة إذا صرعا الجنى ، ان ذلك إنما هو على طريق العشق والهوى وشهوة النكاح ، وان الشيطان يعشق المرأة منا ، وان نظره اليها من طريق العجب بها أشد عليها من حمى ، وان عين الجان أشد من عين الانسان » (١) .

وتشير الآية : « . لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » (٢) . الى اعتقاد القوم بالصرع او محلاطة الجن للانسان ، وامتلاكهم مدة عيفة من الزمن . هذا الاعتقاد الذي يظنه « نلدركه » غريباً ، وإن كان معروفاً لدى العرب في عصورهم التاريخية ، او - كما يقول - زاده الاحتكاك مع الأجانب متانة على الأقل (٣) .

وتتردد مثل هذه الصلات بين الجن والانسان ، مما دعا الشبلي في كتابه « آكام المرجان في احكام الجن » يقول : انه كما تجري مناكحة الجن فيما بينهم ، كذلك يمكن وقوع المناكحة بين الانسان والجنية ، وبالعكس (٤) . وجاء في الدميري : « قال الجاحظ وزعموا ان التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والانسان لقوله تعالى : وشاركهم في الأموال والأولاد . وهذا ظاهر ، وذلك ان الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الانسان على جهة العشق في طلب السفاد . وكذلك رجال الجن لنساء الانسان . ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء . قال تعالى : لم يطمئنن انن قبلهم ولا جان . ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ، ولم يكن ذلك في تركيبه ، لما قال الله تعالى هذا القول » (٥) .

وتكثر القصص والروايات في ذلك . ومن حديث لامرأة قالت : « معي جنني يأتيني في اليوم مراراً ، واجد في نفسي ما أجد اذا جامعني

(١) البيان والتبيين ص ٨٧ ج ٦ .

(٢) القرآن الكريم س ٢ آية ٢٧٦ .

(٣) ص ٦٧٠ ج ١ Enc. Rel.

(٤) الشبلي ٦٦ .

(٥) نفس المصدر ص ٧٧ .

زوجي» ، وقالت اخرى : «ان جنياً يأتي كما يأتي الرجل المرأة» (١) .
وقد استمر الاعتقاد بنكاح الجن للانس الى ما بعد العصور الجاهلية .
حدث شيخ قال : « علق رجل من الجن جارية لنا ثم خطبها لنا ،
وقال اني اكره ان انازل منها محرماً فزوجناها منه . قال فظهر معنا
يحدثنا ، فقلنا : ما انتم ؟ فقال : امم امثالكم ، وفيما قبائل كقبائلكم
قلنا : فهل فيكم هذه الاهواء ؟ قال : نعم . فينا من كل الاهواء : القدرية ،
والشيعية ، والمرجئة . قلنا : من ايها انت ؟ قال من المرجئة .. » (٢) .
« وقد سئل مالك بن أنس رضي الله عنه ، فقيل ان ههنا رجلاً من
الجن يخطف الينا جارية ، يزعم انه يريد الحلال ! فقال : ما اري بذلك
بأساً في الدين ، ولكن اكره اذا وجدت امرأة حامل قيل لها من
زوجك ؟ قالت من الجن ، فيكثر الفساد في الاسلام بذلك .. » (٣) .
وهو ، في الحقيقة ، تحفظ حكيم من الامام مالك ! وفي حديث ان
النبي نهى عن نكاح الجن (٤) .

النتاج المشترك : والكلام يجرنا الى « النتاج المشترك » ، فقد زعموا
أن رجلاً من الاعراب تزوج السعلاة وانما كانت عنده زماناً ، وولدت
منه ، حتى رأت ذات ليلة برقاً على بلاد السعالي ، فطارت اليهن (٥) .
ومن هذا النتاج المشترك ، وهذا الخلق المركب عندهم بنو السعلاة من
بني عمرو بن يربوع . وبلقيس ملكة سبأ . وجرم ، حيث زعموا ان
أباها من الملائكة الذين عصوا في السماء ، فانزلوا الى الارض ، كما حدث
لهاروت وماروت (٦) . وفي آكام المرجان ان احد ابوي بلقيس كان

(١) الدميري ص ٢٠ ج ٢ .

(٢) الشلي ٦٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٦٧ .

(٤) الدميري ص ١٩٤ ج ١ .

(٥) البيان والبيان ص ٦٠ ج ٦ . راجع الالوسي ص ٣٤٠ - ٣٤١ ج ٢ .

Rel. of the Semites ص ٥٠ .

(٦) البيان والبيان ص ٦٠ - ٦١ ج ٦ .

جنباً .. كان أبوها من عطاء ملوك اليمن ، تزوج امرأة من الجن يقال لها ربحانة بنت السكن ، فولدت له بلقيس . وتسمى بلقيس ، ويقال ان مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة (١) .

فعمر بن يربوع متولد من السعلاة والانسان ! ولذلك دعوا قومه بني السعلاة ، وبلقيس من الانسان والجنية ، وجرم تولدت من وقوع الملائكة على بنات آدم ! ورووا ايضاً ان ذا القرنين من هذا النوع الأخير ، اي ان امه آدمية واباه ملك ! .. ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب - كما يذكر الدميري - رجلاً يتنادي رجلاً يا ذا القرنين ، قال : أفرغتم من اسماء الانبياء ، فارتفعتم الى اسماء الملائكة (٢) ؟

هذا ، وزيدان ، تعليقاً على ما ذكرنا سابقاً من تشخيص العرب للأجرام السماوية ، وما ذكرنا هنا من اخبار بلقيس وسواها من النجاسات المشتركة ، يقول : « وأما اصل هذه الاعتقادات ، فاما هندي او يوناني او مصري .. اما الكلدان فقلما كانت لهم عناية بأمثال ذلك » (٣) .

صلة الجن بالكهان والاوئان : وللجن ، في الجاهلية ، صلة وثيقة بالكهان . وفي الحديث ان الشياطين كانت تسترق السمع في الجاهلية ، وتلقيه الى الكهنة فتزيد فيه ما تريد وتقبله الكفار منهم (٤) . ويقول النويري : وكانت كهنة العرب ، لهم اتباع من الشياطين يسترقون السمع ، ويأتونهم بالاخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الامور حتى جاء الاسلام (٥) .

فالكهانة - كما في معجمة وجدي - « هي استخدام الجن في معرفة الامور المغيبة » . ويقول ان هذه الصناعة كانت معروفة عند العرب ،

(٢) الشبلي ص ٧٠ .

(٣) الدميري ص ١٨ ج ٢

(٣) زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٨٥ ج ١

(٤) لسان العرب ص ٢٤٤ ج ١٧

(٥) النويري : نهاية الآداب ص ١٢٨ ج ٣

فكان إذا تاب احدهم امر يريد معرفة داخلته او مستقبلة منه ، ذهب الى الكاهن فاخبره بما فيه . وكان لكل كاهن منهم صاحب من الجن يحضر اليه فيخبره بما يريد (١) .

ويرى ابن خلدون الكهانة من خواص النفس الانسانية التي لها استعداد للانسلاخ من البشرية الى الروحانية . والكاهن لا يقوى على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان .. ولهذا يعرض له الصدق والكذب .. فيفزع الى الظنون والتخمينات والسجع (سجع الكهان) حرصاً على الظفر بزمه وتمويهاً على السائلين . ويرى ايضاً ان علوم الكهان كما تكون من الشياطين ، كذلك تكون من نفوسهم .. ولهذا لم تبطل الكهانة في رأيه ، وهو رد على من يقول انها انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب (٢) .

وبعض يقول ان الكهانة متعلقة فقط بالانبياء عن المستقبل ، كما ذكر زاده في تعريف علم الكهانة ، قال : « وهو مناسبة الارواح البشرية مع الارواح المجردة من الجن والشياطين واستعلامها (منها) الاحوال الجزئية الجارية في عالم الكون والفساد ، لكنها مخصوصة بالامور المستقبلية (٣) » .

ومما يذكر ان الارواح الخفية هذه ، كانت تسكن الاصنام وتحل الاوثان ، وكثيراً ما كانوا يسمعون - على رؤسهم - من اجوافها هممة واصواتاً . على ان الجاحظ يعرض بذلك فيقول : « وما اشك انه كان للسيدة حيل والطاق لمكان التكسب » (٤) . اما الاعراب فيرون بذلك ان الكهنة واقعون تحت تأثير الآله المباشر ، ولهذا اعتقدوا بان فيهم قوى الاخبار عن امور الناس المستقبلية .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ص ٢٢٥ ج ٨

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٠١

(٣) طاش كبرى زادة : مفتاح السادة ص ٣٠١ ج ١

(٤) البيان والنبين ص ٦٢ ج ٦

الكهّان : وكما كان للقبيلة خطيبها وشاعرها ، كذلك كان لها كاهنها ، أو كاهنتها . ولم يكن عمل الكاهن مقتصراً على ما ذكرنا من كشف غيوب المستقبل ، فهو ايضاً ساجع القبيلة ، وخطيبها احياناً ، ومستشارها ، وطبيبها ، وحكمها . اذا بت في مشكلة فكلامه انقول الفصل الذي لا استثاف بعده . وكثيراً ما يكون الكاهن شريفاً ارستقراطياً ذا مكانة عائلية مرموقة في الجاهلية ، يفخر به في المفاخرات كأن يقولوا مثلاً : « ومنا المأمور الحارثي ، والدّيان بن عبد المدان الحارثي ، والشريفان الكاهنان » (١) .

قال لامنس : « وقد يدعى الكاهن احياناً بالحكم ، وهي رتبة تقرض عادة رتبة السيادة ، وتدعو الناس الى استشارة صاحبها ضرورة قبل القيام بأية غزوة أو غارة . ولا يخفى ان تأثير هؤلاء الحكم ، واختبارهم الشخصي ، اذا قرن بما كان ينسب اليهم من انوار علوية ، افادنا مبلغ النقوذ الذي كان لهم ، والاثر البعيد الذي كان لاقوالهم واسرارهم ، واذاً فليس بغريب ان يستشيرهم القوم في طريق الغزو ، وان يطلبوا اليهم الدلالة على الغيب . هذا اذا لم يلجأوا الى ساحرة أو كاهنة أو (ساحرة عجوز) يرجون منها معاونتهم على الاعداء فتوسل ، الاسجاع ، النافذة » (٢) .

وبما هو مأثور ان لفظة « كاهن » تشبه Kohen العبرية ، و Kāhnā Kahen (Kāhnā) - بمعنى قسيس - الآرامية . وكذلك « حازي » ، وان كانت عربية ، إلا انها تشبه كلمة « hoza » العبرية ايضاً (٣) . وعليه يعتقد زيدان ان الكهانة من العلوم الدخيلة على العرب ، ويرجح ان الكلدان حملوها اليهم مع علم النجوم ، ويؤيد ترجيحه هذا بان الكاهن يسمى بالعبرية « حازي » أو « حزاء » وهو على ما ذكر لفظ

(١) كتاب الحيوان للباجظ ص ٢٨٠ ج ١

(٢) مجلة المشرق ص ٩ - ١٠ م ٣٦

(٣) ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ ج ٢ . Enc. of Islam

كلداني معناه الاشتقاقى - كما يقول - الناظر او الرائي او البصير . وهو يدل عندهم على الحكيم والنبي . واما لفظ الكاهن فقد اقتبسه العرب - على رأيه - من اليهود الذين تزحوا اليهم على اثر ما اصلهم من التكببات في اورشليم وخصوصاً بعد خرابها على يد طيطس سنة ٧٠ للميلاد (١) . هذا والكهان كثيرون قتلى باخبارهم كتب الأدب . ولقد مر معنا ذكر طريفة وزرقاء اليمامة . ولحقنا الى لغتهم الخاصة التي تتنازل بالسجع المعروف بسجع الكهان .

شق وسطيح : واشتهر من بين هؤلاء الكهان اكثر من غيرهم اثنان : شق وسطيح . وهما اللذان فسرا لملك اليمن رؤياه وافقوا بالتفسير على انفراد وان اختلفا في فقراتها المسجعة (٢) . واللذان يقول فيها الطبري : « ولم يكن في زمانهما مثلها من الكهان » (٣) .

اما الاول - فكما تخبرونا عنه كتب الأدب - كان شقاً انسان بيد ورجل وعين (٤) . وانما سمي بشق لانه ولد شقاً واحداً (٥) . واما الثاني (٦) فكان يُدرج كما يدرج الثوب ، ولا عظم فيه الا الجمجمة (٧) . ولشق وسطيح اخبار كثيرة عجيبة منها رؤيا تبع الحميري ، وما فسراه له ، وكذلك خبر سطيح في رؤيا الموبدان وارتجاج الايوان (٨) . ولا يمكننا هنا الاسهاب في اخبار الكهان وخاصة شق وسطيح لضيق المقام وللنظرة الشاملة في الموضوع . على ان في اخبارهما في ابن هشام ، والطبري ، والمسعودي ، والدينوري ، وابن عبد ربه ، والترويتي ، والدميري ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٨٧ ج ١ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ص ٩ - ١٢ .

(٣) تاريخ الطبري ص ٩١١ ج ١ .

(٤) راجع اخباره في الالوسي ص ٢٧٨ - ٢٨١ ج ٣ .

(٥) تاج المروس ص ٣٩٦ ج ٦ .

(٦) الالوسي ص ٢٨١ - ٢٨٣ ج ٣ .

(٧) مقدمة ابن خلدون ١٠٨ .

(٨) مروج الذهب ص ٣٩٥ ج ٨٣ .

والديار بكري ، والابشيبي ، وغيرهم من المؤرخين ولأدباء غنى عما
يمكننا ان نذكره مختصراً في هذا الباب .

العرافة وغيرها : والعرافة اخت الكهانة ، وان كانت مختصة بالأمور
الماضية ، فبعض العرب يسمي الكاهن - عرافاً ايضاً ^(١) . وقد حدد زاده
علم العرافة بقوله : « وهو الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث
الآتية بمناسبة بينها او مشابهة خفية . او ارتباط بينها إما لكونها
معلولي أمر واحد او لكون ما في الحال علة لما في المستقبل بشرط
ان يكون الارتباط بينهما خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد إما بتجارب
شاهدوها في أمثالها او بحالة مودعة في نفوسهم عند الفطرة بحيث يغلب
على طالعهم سهم الغيب ^(٢) » .

وقد كثر العرافون بين العرب وذكرهم في اشعارهم ، قال احدهم :
فقلت لعراف اليامة داوي . فإنك إن داويتني لطيب
وقال آخر :

جعلت لعراف اليامة حكمه . وعراف نجد إن هما شفياني

فقالوا شفاك الله والله ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان

قال ابن خلدون : « وعراف اليامة هو رباح بن عجلة ، وعراف نجد
الأبلى الأسدي » ^(٣) . وتلحق بهذه الأمور علوم أخرى دعوها العيافة
والقيافة ، والريافة ، والظيرة ، وزجر الطير ، والقال ، وتعبير الرؤيا ، والطرق
بالخس ، وغيرها من المعتقدات والممارسات .

السحر : على ان أوثق هذه الأشياء التي تتصل بالكهانة والعرافة
هو السحر . والسحر أمر لم يتخلص منه ومن ممارسته الانسان حتى
يومنا هذا .

هناك اختلاف فيما إذا كان الاعتقاد في الجن والشياطين قد سبق

(١) الألويسي ص ٣٠٧ ج ٣ .

(٢) مفتاح السعادة ص ٢٩٣ ج ١ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٠٨ .

الاعتقاد بالآلهة أنفسهم . أما السحر فقد اعتبر سابقاً لديانات وميثولوجيا الأمم والشعوب المتقدمة ^(١) . وهو معروف ومتداول بين عرب الجاهلية منذ القدم . قال ابن هشام انه كان في قرية من قرى نجران ساحر يعلم غلمان اهل نجران السحر ^(٢) .

وأراد نفر من قريش ان يجمع على رأي في النبي فقالوا للمفجرة « نقول كاهن ! قال لا والله ما هو بكاهن ! لقد رأينا الكهان فيما هو بزمنة الكاهن وسجعه ! قالوا فنقول مجنون ! قال : ما هو بمجنون ! لقد رأينا الجنون وعوفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ! قالوا فنقول شاعر ! قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الخمر كله : رجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه . فما هو بالشعر ! قنلوا فنقول ساحر ! قال ما هو بساحر ! لقد رأينا السحار وسحرم فما هو بنفته ولا عقده ! » ^(٣) ويدعو النبي شجرة - كما يزعمون - امام ركاة بن عبد يزيد (ليتقي طله ويتبع أمر رسوله) ، فتقبل حتى تقف بين يدي محمد ! ثم يقول يقول لها ارجعي مكانك فترجع ! وعندئذ يرجع ركاة الى قومه مندهشاً فيقول : « يا بني عبد مناف ، ساحروا بصاحبكم لهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ! » ^(٤) .

والآيات عن السحر والسحرة كثيرة في القرآن ، والأخبار حولها في كتب التفسير المعروفة اكثر ، ولولا حصر هدفنا في هذا الباب لأنتنا على جملتها .

والذي نلاحظه انهم كانوا يرمون بالسحر كل من يأتي بشيء يثير دهشتهم كما رمي الأنبياء من قبل ، وكما رمي محمد من بعدهم « وعجبوا ان جاءهم منذر منهم » وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، أجعل

(١) S. H. Langdon : Mythology of All the world ص ٣٥٤ .

(٢) السيرة ٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ١٧١ .

(٤) المصدر نفسه ٢٥٨ .

الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب .. » (١) .

والسحر كما عرفه زاده « ما خفي على اكثر العقول سببه وصعب استنباطه ، وحقيقته كل ما سحر العقول ، وانقادت اليه النفوس بالتعجب والاستحسان والاصغاء من الأقوال والأفعال فهو علم باحث عن معرفة الأحوال الفلكية ، وأوضاع الكواكب وارتباطها مع الأمور الأرضية من المواليد الثلاثة على الوجه الخاص ليظهر من هذا الامتزاج أفعال غريبة واسرار عجيبة خفية الأسباب والعلل (٢) . ثم يقول : « وأعلم ان استحداث الحوادث إن كان بمجرد التأثير النفساني فهو السحر ، وإن كان على سبيل الاستعاذة بالفلكيات فهو دعوة الكواكب وإن كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالأرضية فهو الطلسمات !! » (٣) .

الساحر الجاهلي : ولا اظن ان الساحر الجاهلي (لبساطته !) توصل في سحره الى أنظمة وتعاليم كالتي يبسطها زاده وغيره ، فالجاهلي الساحر إنما كان على ما أرى كاهناً أو شبه كاهن يتوصل - على زعمه - (ولسداجة الاعراب) ! بتسخير الجن وغيرها من الأرواح الخفية الى اوهام يحسبها الناس احداثاً مفتعلة . وهو أقرب الى اصحاب العزائم والرقى منه الى السحرة الذين يفوقونه بضروب الاخفاء والحيل . ولعل طرقة لا تختلف كثيراً عن طرق السدنة والكهان في طلب الرزق . قال الجاحظ : « وما أشك انه كان للسدنة حيل والطاق لمكان التكسب » (٤) .

(١) القرآن الكريم س ٣٨ آية ٣ - ٤ .

(٢) مفتاح السعادة ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ج ١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٠ .

(٤) البيان والتبيين ص ٦٢ ج ٦ .

الباب الثالث

صدى المعتقدات والأساطير في الشعر

الفصل الاول : حقيقة الشعر الجاهلي

يتلخص رأي العيد الدكتور طه حسين بالادب الجاهلي في قوله : « ان الكثرة المطلقة مما نسيه ادباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء ، وانما هي منتحلة بعد ظهور الاسلام فهي اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم واهوائهم اكثر مما تمثل حياة الجاهليين . وأكاد لا أشك في ان ما بقي من الادب الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء ، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الادبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي . وانا اقدر النتائج الخطرة لهذه النظرية ، ولكنني مع ذلك لا أتردد في اثباتها واداعتها ، ولا اضعف عن ان اعلن اليك والى غيرك من القراء ان ما تقرأوه على انه شعر امرئ القيس او طرفة او ابن كلثوم او عنبرة ليس من هؤلاء الناس في شيء ، وانما هو انتحال الرواة او اختلاق الاعراب او صنعة النحاة او تكلف القصاص او اختراع المفسرين والمحدثين والمكلمين . » (١)

والدكتور العيد في نظريته هذه ، يعتمد اولاً على نصوص المعلقات وغيرها من الشعر الجاهلي ، فيرى فيها من التشابه ما يخالف التباين في لغات القبائل ولهجاتها ، وهو ، في نفس الوقت ، يعجب كيف استقامت اوزان الشعر وبحوره وقوافيه كما دونها الخليل لقبائل العرب كلها دون تباين ،

(١) ص ٦٣ « في الادب الجاهلي » .

بينما لم يستطع القرآن نفسه ان يستقيم ادائه لها . ويرى الدكتور في هذا الشعر عجزاً عن تصوير الحياة الجاهلية فيلتبس من القرآن تلك الحياة التي تظهر في شعر الاسلاميين اكثر من ظهورها في شعر طرفة وبشر وعنترة . وهو ينكر كل ما يضاف الى اهل الجنوب من شعر وسجع ونثر قيل بلغة اهل الشمال قبل الاسلام ، مستنداً في ذلك على رفضه قصة السيل العرم ، وروايات هجرة اليمنين من اساسها لأنها خالية من النصوص . ولا نعلم ان العجز عن اثبات الحقيقة ينفي وجودها .

ويعتمد الدكتور طه حسين ثانياً على اسباب الانتحال وهي كثيرة ، واهمها في نظره : السياسة ، والدين ، والقصص ، والشعوبية ، واهواء الرواة . وعليه يرى ان « كل شيء في حياة المسلمين في القرون الثلاثة الاولى كان يدعو الى انتحال الشعر وتلفيقه سواء في ذلك الحياة الصالحة : حياة الاتقياء البررة ، والحياة السيئة : حياة الفسق واصحاب المحون » (١) والدكتور حينما ينفي ما يروى عن عاد وثمود ، وطسم وجديس ، وجرم والعالمق ، وما يروى عن تبّع وحمير وشعراء اليمن واخبار الكهّان ، وما يتصل بالسليل العرم ، وتفرّق العرب بعده يقول انه موضوع لا أصل له . غير اننا لا نشتم رفضاً من الدكتور او ميلاً الى رفض ما جاء في القرآن ، وفي القرآن نصوص تؤيد هذا الاصل . . . وفي رأيه ان كل ما يروى من ايام العرب وما يتصل به من الشعر خلق ان يكون موضوعاً .

هذا ويصعب التوفيق بين كلام الدكتور طه حسين ، وبين كلام الاستاذ تشر Thatcher الذي يقول انه لا يوجد بين القصص المتداولة في زمن (محمد) ، ذو قيمة إلا « ايام العرب » او تلك المبارك الداخلية التي كانت تقع في البلاد العربية بين القبائل (٢) .

(١) ص ١٨١ « في الأدب الجاهلي » .

(٢) سبق ان اشرنا الى ذلك .

والبحث يطول جداً مع الدكتور في نقاش هذه النظرية ، و اظهار مقدار ما له منها من الآراء ، وفيها من الصواب . ولقد رد عليه جبهة من الكتاب . والتصدي لآرائهم ايضاً وتعدد النقاط التي اخطأوا فيها رمي الهدف يشغل حيزاً كبيراً لا تتسع له فصول من كتاب .
والحقيقة ان (الوضع) في الشعر ملموس منذ القدم ، وللباحظ نفسه شكوك في الشعر الجاهلي ربما بنيت على اسباب دقيقة بما يدل على ارهاق ملاحظة هذا الكاتب الفذ . ولقد شك في قصيدة لشاعر جاهلي « وهو الأوفى الأودي » لمجرد قوله فيها ان الشهب التي يراها انما هي قذف او رجم .
ولذلك قال الحافظ : « فهذا دليل آخر على ان القصيدة مضوعة ! »^(١) .
على أنه مهما كان من شأن تلك النظرية قبل الدكتور طه حسين وبعده ، وما قيل فيها من اخذ ورد ، لا يسعنا ان نأخذ برأي من يقولون مع Lyall ان ما تبقى من الشعر الجاهلي ، مهما قيل في حقيقته ، ودون الإلتفات الى اكثرية الضائعة ، يكفي لأعطائنا فكرة واضحة شاملة عن حياة ذلك العصر وميزاته . اما قضية ناظيه فيها قيل فيها ، انما هي لأغراضا شيء ثانوي^(٢) .

كلاً .. انه لا يسعنا ان نذهب هذا المذهب ، كما أننا لا نجري مجرى Nicholson في قوله المحدود : ان الشعر القديم يمكن ان نعتبره عرضاً تصويرياً « illustrative criticism » لحياة الجاهليين وعقليتهم قبل الاسلام^(٣) .
لقد ضاع شيء كثير من الشعر الذي قيل في خلال قرن ونصف تقريباً قبل الاسلام . وكانت الاسباب كثيرة ، اهمها اثنان : عدم التدوين ، ونحن نعلم انه لم يبتدىء المسلمون بتدوين الاحاديث والشعر رسمياً إلا بعد انقضاء ما يقرب من قرن بعد الهجرة - وفي هذه المدة لا بد وان يكون عدد كبير من رواة الشعر وغيره قد قضى ، كما ان

(١) م. ٩٠ ج ٦ البيان والتبيين .

Ch. J. Lyall : Translation of Ancient Arabian Poetry XXXII (٢)

(٣) م ٧٨ - ٨٩ R. A. Nicholson : A Literary History of the Arabs .

تشتيت القبائل في الأصقاع البعيدة أدت الى نسيان كثير من اخبار الجزيرة وخاصة الوثنية منها ومفاخر الجاهلية .

واما الثاني فموقف الاسلام عموماً من الحياة الوثنية ، ومناحي التفكير فيها ، ولا سبيل الى القول ان آثاراً عديدة (وخص بالذكر ما يمت الى النواحي الدينية بصفة) قد دثرت وطبست الحياة الاسلامية - قصداً او عن غير قصد - معاملة حتى لا يعوق الدعوة في عفاها شيء جاهلي . وطبيعي ان تمحى اشعار الوثنيين فيما تمحى من المعالم والآثار .

ولقد سبقنا عمرو بن العلاء الى هذه الملاحظة فقال : « ما انتهى اليكم بما قالت العرب الا اقله . ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »^(١) . وتحدث يعقوبي عن العرب والشعر فقال : « ولم يكن لهم شيء يرجعون اليه من احكامهم وافعالهم الا الشعر : فيه كانوا يختصمون ، وبه يتشولون ، وبه يتفاضلون ، وبه يتقاسمون ، وبه يتناضلون ، وبه يمدحون ويعابون »^(٢) . وروي عن الراشد عمر قوله : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه »^(٣) . وقال ابن سلام : « وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون واليه يصيرون »^(٤) .

كل هذا حسن ، غير اننا - وان لم نكن مطلقي الوفاق مع الدكتور طه حسين - لا نرى في الشعر القديم معرضاً كاملاً تتمثل فيه الحياة الجاهلية كما يذهب اليه الكثيرون . ولا عجب فانا نكاد نفقد كل اثر شعري وثني ، وليس ما بين ايدينا من تنف الاشعار التي تشير الى الأصنام ، والانصاب ، والعتو لها ، وضرب القداح عندها ، سوى اثر خثيل جداً ان لم يكن بعضه مصنوعاً ، فقد ابقاه المسلمون ليظهروا : فيما احبوا ان يظهروا - ما كانت عليه قريش والعرب من الضلال ، ومن الرجوع

(١) ص ١٠ طبقات الشعراء لابن سلام الجهمي

(٢) ص ٣٠٤ ج ١ تاريخ ابن واضح يعقوبي

(٣) ص ١٠ طبقات الشعراء

(٤) نفس المصدر

الى الحق (فيما بعد) والاعتراف بالله ، والتكول عن عبادة الآلهة الوثنية .
ولرب قائل يذهب الى ما ذهب اليه Lyall فيقول ان من الافضل
ان نستنتج ان بدوي بطن الجزيرة لم يهتم في عصور ما قبل الاسلام
بدين ما ، وذلك لانعدام البراهين التي تثبت كثرة الاشعار ذات العلاقة
بالعبادة الوثنية (١) . وهنا نجيبه اننا لا نشك في ضعف الايمان التقوي
عند الاعراب عامة ، غير ان هذا الجدال الذي جادلت به قريش رسول
الله ، وهذا الدفاع الذي دافعت به عن مكانتها الدينية (مهما كان سببه)
وهذه الحروب الشعواء التي شنتها على النبي وأصحابه في اوائل الدعوة
تذبّ عن آلهتها (فيما تذبّ عنه) لجديرة بان تلهب في شعرائها وشعراء
من ناصرها من القبائل الحماس الديني ، فتذكر فيما تذكر ، في ردها
على شعراء الرسول ، اسماء الآلهة التي تعبدها على الاقل ، وتشير الى
الشعائر والمراسم التي تفخر بها وتقيمها لها من وقت الى آخر .. وانك
لتقرأ اشعار السيرة كلها ، وخصوصاً ما قيل في الوقائع الهامة بين
المسلمين وقريش امثال بدر ، وأحد ، والخذق ، وفتح مكة ، فلا تجد
شيئاً من ذلك كله ، حتى انك لا تجد شيئاً يشبه قول أبي سفيان في
معركة أحد ، مخاطباً الله مكة : اعلُ هبل ! اعلُ هبل .
قال لامنس : « وقد يكون وجود اللات والعزى في أحد آخر
مظهر لعارض هذه البيوت او الحجارة المؤلمة . فيكون ان سراة مكة ،
وقد منوا بانكسار بدر فقداعت اركان جمهوريتهم شاءوا هزّ الشعور
هزاً عنيفاً فلبأوا الى احياء هذه المشاعر القديمة في مظاهر غريبة يدفعون
بها الوطنيين الى التأثر بمرآى آلهة مدينتهم العريقة ، فاستعادت الثقة بها
والايمان بتأثيرها بعد ان كاد هذا الايمان يمحى بما قُطر عليه البدوي
من عبث وعدم تقوى » (٢) .

(١) Lyall XXVII (١)

(٢) ص ٢٢٠ - ٢٢١ مجلة المشرق عدد ٢ المجلد ٣٧ .

والحقيقة انهم هزّوا شعور المحاربين القومي هزاً عنيفاً فحاربوا مستيتين في أحد وغيرها من المعارك الشديدة . اما ان لا تكون الآلهة التي كادت ان تدول دولتها في هذه الحروب العنيفة بين الوثنيين والمسلمين سبباً في اثاره الشاعرية بشعراء قريش وغيرها من القبائل فلا نزاه قولاً وجيهاً مهما قيل في عبث البدوي وعدم تقواه !

فلا شك ، إذآ ، في ان قسماً كبيراً من ذلك الشعر الوثني كان متداولاً حتى اواخر القرن السادس لليلاد رغم خشية المسلمين من روايته .. حتى إذا شرعوا في التدوين ، اسقطوا منه وحوّروا فيه - وما اسهل نقل اللات ، بالاشعار ، الى الله - حتى قضوا عليه خوفاً من تخليده كتابة كما خلدوا القرآن والحديث ، وكانوا بهذين في غنى عن كل شيء ، لولا فلتات ضئيلة جداً ابقوا عليها لاستشهاد معين مقصود .

ولا شك ايضاً في ان قصائد الفخر التي تشرف القبيلة ، او بالأحرى مدائح شعرائها واهاجيمهم لأعدائها ، كانت اقوى على البقاء من غيرها . اما تلك القصائد العمومية التي تعتمد على اهميتها في التناول على الزمن ، فلم يبق منها الا ما هو مشهور ، وكثير التداول على الألسن . قال ابن سلام : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومآثرها ، استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم واشعارهم ، وارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة فزادوا في الاشعار » . (١)

ولقد اشرنا الى تناقل الرواة للشعر الجاهلي طيلة قرنين ، حيث كان لكل شاعر راوية ، وكثيراً ما يكون الراوية نفسه شاعراً فحلاً كأن يروي زهير (مثلاً) لأوس بن حجر ، والحطيئة لزهير ، وهذبة بن الحشرم القضاعي للحطيئة ، وجيل بثينة لهذبة ، وكثير عزّة لجيل ،

وقد مات كثير سنة ١٠٥ هـ^(١) .

هذا ، وكان من شأن اهتمامهم بالقرآن والحديث اضعاف رواية الشعر ، غير انه لما جمع القرآن وكان المسلمون قد انتشروا في الارض ، اصبح من الضروري ان يهتموا بالتفسير . وهذا - مع اهتمامهم بعلوم اللغة من نحو وصرف - ادى الى لجوئهم ثانية الى الشعر القديم فجمعت أشهر القصائد الجاهلية ... وراجت بضاعة الرواة مرة أخرى ... ومن هنا اخذ يظهر غش الرواة ودسهم معتمدين على معرفتهم التامة بالشعر ، ومقدرتهم على نظم ما يجري اكلته على علماء اللغة ، وهكذا قويت اسباب انتحال الشعر ، او على حد تعبير « نكلسن » : « كما زاد الطلب كذلك زاد العرض »^(٢) . ويكفي ان نشير الى راويتين افسدا كثيراً من الشعر ، وكثر كلام الناس في كذبها ، وهما حماد الراوية ، وخلف الأحمر .^(٣)

الفصل الثاني : نصيب هذه المعتقدات والأساطير من هذا الشعر

بعد هذا التحفظ الذي نبسطه امام القارئ ، والحذر مما وصل الى ايدينا من الشعر الجاهلي ، وما قيل انه شعر جاهلي ، نحاول ان نتصدى لما تردد صداه من المعتقدات والأساطير والخرافات في هذه الأشعار . وانه لجدير بالذكر ان الكثير من الأشعار المصنوعة نفسها ، إنما يدل - كثيراً او قليلاً - على صور من حياة العصر الذي عاش فيه محمد ، او العصر الذي سبق ايام النبوة . ولا شك في ان البعض من الرواة وغيرهم ممن وضعوا مثل هذه الأشعار ، قد كانوا على معرفة تامة بعصور ما قبل الاسلام . ولا ينكر احد ان منهم من كان ذا نباهة وحذافة ولباقة مكنته من إجادة التقليد حتى أعجز المتضلعين من علم اللغة والعروض

(١) Lyall XXXVI

(٢) Nicholson ص ١٣٣

(٣) اقرأ : « الرواة وانتحال الشعر » في « في الادب الجاهلي » ص ١٧٦-١٨١

عن تمييز أشعاره المصنوعة من الأشعار الأصلية !
ولا بد لنا من الإشارة أحياناً الى وضوح عملية الصنعة في بعض
الآبيات التي سنثبتها في هذا الفصل ، او إمكانية هذه الصنعة من
وجوه شتى .

ولعلنا لا نأتي بجديد حينما نذكر ان هذه الأشعار نفسها إنما اخترعت
في زمن متقدم ، فذكرتها أقدم التواريخ ، كالسيرة لابن إسحاق ،
وتاريخ الطبري ، ومروج الذهب ، والعقد ، والأغاني ، وكلها لم يتجاوز
القرن الرابع للهجرة ، وقد توفي ابن إسحاق في منتصف القرن الثاني .
ومن المجدي ، وقد يطول بنا هذا الفصل ، ان نقسبه الى ثلاثة
اقسام : (١) الأصنام والأنصاب (٢) تاريخ وأساطير (٣) غيلان وجن .

القسم الأول : الأصنام والأنصاب

أ - إنكارها : والشعراء مع الآلهة العربية القديمة فريقان : فريق
يؤيدها ويحلو عليها ، ويتمسك بها ويدود عنها . وفريق ينكرها وينادي
بمجزئها ، ويأمر بالنكول عن عبادتها ويهدمها وتحريقها .
ويلاحظ ان انصار الفريق الثاني اكثر عدداً ، وأشعارهم اوفر وأوسع
انتشاراً ، ولا سبيل هنا الى ترديد الأسباب ، وقد عرضنا لها في ظروف
كثيرة ، فلا غرابة ، إذأ ، بأن تنقص اشعار الفريق الأول بينما تأخذ
اشعار الفريق الثاني بالازدياد .

ولقد ذكرنا سابقاً ان المسلمين لم يكونوا وحدهم الذين أنكروا
الأوثان وعبادتها ، بل كان هنالك أفراد من الوثنيين انفسهم لم يستسيغوا
هذه العبادة ، بالإضافة الى المتخفين واصحاب الكتاب من يهود ونصارى .
ولكل شعراؤه ، قال ابن سلام : « وكان من الشعراء من يتأله في
جاهليته ، ويتعفف في شعره ، ولا يستبهر بالفواحش ، ولا يتهمك في
الهجاء » (١) . وقبل ابن الكلبي ذاكرأ زيد بن عمرو بن نفيل : « وكان

(١) طبقات الشعراء للجمعي ص ١٤ .

قد تأله في الجاهلية وترك عبادتها (يعني العزى) وعبادة غيرها من الأصنام » (١) . وزيد هذا هو الذي ينسبون إليه :

أرباباً واحداً أم الفرب
عزلت اللات والعزى جميعاً
كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدن ولا ابنتها
ولا صنبي بني عمرو أزور
ولا غنا أدن وكاف رباً
لنا في الدهر إذ حلمي صغير (٢)

واسمع رنة حسان وهو يدافع جيلسانه (وليس غيره) عن دعوة رسول الله :

أما قريش فإني لا أسألمهم
حتى ينيبوا عن الغيآت للرشد
ويتركوا اللات والعزى بعمرة
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم
وذلك شداد بن عارض الجشمي يقول حين مسحت معالم اللات ناهياً
تقيفاً عن العودة إليها :

لا تتصروا اللات أن الله مهلكها
وكيف نصركم من ليس ينتصر
أن التي حُرقت بالنار فاشتعلت
ولم تقا تل لدى أحجارها هدر
أن الرسول متى ينزل بساحتكم
يظعن وليس بها من أهلها بشر (٤)
ويهزم المشركون من أهل حنين فتقول امرأة من المسلمين :
غلبت خيل الله خيل اللات وخيله أحق بالثبات (٥)
وفي فتح المسلمين لمكة وتكسيهم أصنامها التي سكنت جوف الكعبة
يقول تميم بن اسد الخزاعي :

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب (٦)

(١) كتاب الأصنام : ص ٢١ .

(٢) السيرة : ص ١٤٥ .

(٣) نفس المصدر : ص ٨٣٨ .

(٤) كتاب الأصنام : ص ١٧ .

(٥) السيرة : ص ٨٤٩ .

(٦) نفس المصدر : ص ٨٢٥ .

وأراد فضالة بن عмир بن الملوخ ان يغتال النبي وهو يطوف بالبيت
عام الفتح ، فشعر به النبي ودنا منه وقال : - أفضالة ؟ !
- نعم فضالة يا رسول الله .

- ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ !

- لا شيء ! كنت اذكر الله ! !

فضحك النبي وقال له : استغفر الله !

ووضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : ما رفع
يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب الي منه ! وفي طريقه
الى اهله طلبت امرأة منه ان يجلس اليها كعادته يتحدثها فأبى وانبعث يقول :

قالت لهم الى الحديث فقلت لا ! ياأبى عليك الله والاسلام

او ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بيناً والشرك يعشى وجهه الاظلام^(١)

ويسمع رجل من مزينة بالنبي ، وكان سادن ضم اسمه منهم ، فيكسره
ويذهب لكي يعتنق الدين الجديد وهو يقول : -

ذهبت الى منهم لأذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنت افعل

فقلت لنفسي حين راجعت عقلها أهذا إله أياكم ليس يعقل

أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل^(٢)

ومثله المستوغر الذي كسر رضى وقال :

ولقد شددت على رضاء شدة فتركها تلاً تنازع اسحما

ودعوت عبد الله في مكروها ومثل عبد الله يغشى المحرما^(٣)

وكذلك قول عمرو بن الجموح ذاكرآ صنه وحامداً ربه على إيمانه

الجديد الذي انقذه من ظلمات القبر^(٤) . ومثل هذا في حديث الاله

(١) السيرة ص ٨٢٥ ، وراجع كتاب الأصنام ص ٣١ ، واخبار مكة ص ٧٦ .

(٢) كتاب الأصنام ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٠ ، وراجع البداية والنهاية ص ١٩٢ ج ٢ .

(٤) السيرة ص ٣٠٤ .

ذي الخصلة (١) وسعد (٢) وذي الكفين (٣) ، وقد مر بنا الكلام عنها في فصول سابقة .
وفي القصيدة الدالية :

ألم تفتض عيناك ليلة ارمدا وبت كما بات السليم مسهدا
يشير أعشى بني قيس الى عبادة الأنصاب والأوثان ، وينهى عنها فيقول :
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
وسبح على حين العشيات والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا (٤)
ب - التمسك بها : هذا ، والقسم بالآلهة من الأمور الكثيرة
الوقوع في شعر الوثنيين العرب . ولعله اشهر ظاهرة تشير الى صلتهم
القديمة بهذه الآلهة . وكانت اللات والعزى تتمتعان بنصيب وافر من هذه
الآيمان ، حتى ان قريشاً كانت وهي تطوف بالكعبة تحلف بها : واللات
والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى !

ولهذا لا استبعد ان كلمة « الله » الواردة في البيت التالي :
وذكرته بالله بيني وبينه وما بيننا من مدة لو تذكرنا
انما كانت « اللات » سابقاً ، فلحقها التحوير فيما بعد . وسياق البيت
الثاني الذي يتلوهُ يوافق هذا الظن . فالشاعر يقول :
وبالمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة النعمان حيث تنصرا (٥)
ومعروف ان المروة البيضاء هي ذو الخصلة .
ويهجو المتلمس عمرو بن المنذر لطرده له فيحلف باللات والأنصاب ان
لا ينجو منه ، قال :

اطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تثل (٦)

(١) السيرة ص ٥٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٣ .

(٣) كتاب الاصنام ص ٣٧ .

(٤) راجعها كاملة في السيرة ص ٣٨ - ٣٩ .

(٥) كتاب الاصنام ص ٣٥ .

(٦) نفس المصدر ص ١٦ .

ويحلف اوس بن حجر ايضاً باللات والعزى فيقول :

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهم اكبر^(١)

غير انني لا أظن ان شاعراً جاهلياً قديماً مثل اوس بن حجر تموج في صدره هذه العاطفة الدينية نحو الله ! - حتى ولو كان متخففاً او كما يظن شيخو - نصرانياً . وكذلك لا ارى في المصرع الاخير سياقاً منطقياً للبيت ، فليس بعيداً ان يكون البيت - وخصوصاً المصرع الأخير - « وبالله ان الله منهم اكبر » ؟ ! قد لعبت به اليد الاسلامية . وكان ابو جندب الهذلي يهوى امرأة فذكر في حديث له معها انها حلفت بالعزى . قال :

لقد حلفت جهداً يميناً غليظة بفرع التي احمت فروع سقام
وسقام هذا شعب حتمه قريش للعزى من وادي حراض ،
ويقسم درهم بن زيد الأوسي برب العزى :
اني ورب العزى السعيدة .

وكان للعزى منحدر يعترون عليه ، يقال له الغيب ، ولقد ذكره شعراً ابو خراش الهذلي ، ونهيكه الفزاري وقيس بن الجدادية الخزاعي^(٢)
وبنائة يقسم عبد العزى بن وداعة المزني فيقول (ويلسب لغيره) :
اني حلفت يمين صدق برة بنائة عند محل آل الخزرج^(٣)

ولم تكن هذه الاصنام الثلاثة الوحيدة التي كان يقسم بها بل هناك
اصنام عديدة مثل «نهم» و «عائم» و «ذي الخصلة» و «هبل»
و «الاقصر» . وعداها كثير . ففي الاقصر مثلاً يقسم زهير فيقول :
حلفت بأنصاب الاقصر جاهداً وما سحقت فيه المقادير والقول

ويذكره ربيع بن ضبع الفزاري في قوله :
فاني والذي نعم الاله له حول الاقصر تسليح وتهليل

(١) كتاب الاصنام ص ١٧ .

(٢) نفس المصدر ص ١٩ - ٢١ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٧ .

وكذلك الشنفرى يحلف بأثواب هذا الصنم :

وان امرءاً أجار عمرأ ورهطه علي وأثواب الأقيصر يعنف^(١)

وهناك غير القسم وجوه أخرى للدلالة على تمسكهم بهذه الآلهة ، ولعل في ارتدادهم الى عبادتها قبل موت النبي وبعده ، ظاهرة بينة على هذا التمسك . ولقد اشار الى ارتداده رجل (مقيس بن صباة) وفد مكة مسلماً ، وطلب من النبي دية اخيه الذي قتل خطأ ، فلما أمر له النبي بدية أخيه (هشام) وأقام عند النبي غير كثير ، عدا على قاتل أخيه فقتله وخرج من مكة مرتدأ ، وفي رجوعه كان يقول :

شفى النفس ان قد بات في القاع مسندأ يضرج ثوبيه دماء الأخادع

وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم فتعصيني وطاء المضاجع

حالت به وتري وادركت ثؤرتي وكنت الى الاوثان اول راجع^(٢)

ويرد عبد الله بن الزبعرى على احد الشعراء المسلمين معارضاً له بالوزن

والقفافية والغرض فيقول من ابيات :

ومن عجب الأيام والدهر كله له عجب من سابقات وحادث

لجيش أثنأ ذي عرام يقوده عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث

لنترك أضرأاً بمكة عكفاً مواريث موروث كريم لو ارث^(٣)

وبما يذكر - كما أشرنا سابقاً - ان الجاهليين كانوا يحملون آلهتهم

او رموزاً لها في المعارك يستنصرونها على الاعداء ، ولا استبعد ان

يكون قول ابي سفيان في أحد : أعل هبل ، انما كان خطاباً لرمز كانوا

يحملونه مع غيره - كاللات والعزى - في هذه المعركة مستنصرين به اله

مكة « هبل » ، هذا الاله الذي دخل عليه في جوف الكعبة عبد المطلب

حاملاً محمداً وهو ، بعد ، طفل صغير^(٤) .

(١) كتاب الأضنام ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) تاريخ الطبري ص ١٥١٦ ج ١ ، والكامل لابن الأثير ص ١٤٨ ج ٢ .

(٣) البيرة ص ٤١٧ - ٤١٨ .

(٤) البداية والنهاية ص ٢٦٤ ج ٢ .

وانني لأرى في قول بعضهم :

وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح (١)
تأييداً لفكرة حمل الآلهة في الحروب واستنصارها على الأعداء ، وما
وأيك في قول الكميث بن زيد :

وقد آلت قبائل لا تولي مناة ظهورها متحرفينا (٢)
الا يدل هذا على ما نذهب اليه من حمل اله القبيلة على حمل او
ضرب قبة له يحميها القائد او الشيخ في القتال ؟ وبعد ذلك الا يكون
هذا الرمز بدلاً من الراية التي ترفرف اليوم على مراكز القيادة في
الجيش المحارب ؟

وانظر كيف كانوا يلهبون الحماس الديني في نضال الرسول . قال
الحارث بن هشام بن المغيرة من قصيدة له (وتروى لغيره) في يوم بدر :
فيال لؤي ذبيوا عن حريمكم وآلهة لا تتركوها لذي فخر
توارثها آباؤكم وورثتم أواسيها والبيت ذا السقف والستر (٣)
ثم انظر كيف انهم في بدء زحفهم للقتال يجتمعون في مكة حول
الانصاب ويسيروا من عندها ، كما يقول ابن الزبير ، في يوم
الحنديق :

واذكر بلاء معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الانصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذي غياطل جحفل جيجاب (٤)
وكيف انهم اذا فشلوا في الحرب ينقلبون الى آلهتهم خامرين فيقول
ضرار بن الخطاب الفهري :
وفرت ثقيف الى لانها بمنقلب الخائب الخاسر (٥)

(١) كتاب الاصنام ص ١٠

(٢) السيرة ص ٥٥

(٣) نفس المصدر ص ١٧٠

(٤) نفس المصدر ص ٧٠٢

(٥) نفس المصدر ص ٣٢

ويبيكي أبو خراش الهذلي (دية السلمي) سادن العزى لما قتله خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى ، وقتل المرأة السوداء التي خرجت من جوفها ، وكان دية قد حدا أبا خراش نعلين جديين ، ولهذا يرثيه في أبيات منها :

ما لدية منذ اليوم لم أره وسط الشروب ولم يلهم ولم يطف
أمسى سقام خلا لا أنيس به إلا السباع ومر الريح بالغرف^(١)

ج - الطواف حول الانصاب والعتر عندها : والحديث في حد ذاته يتبع ما ذكرناه في الكلام عن الطواف والذبح ، وهنا سوف لا نعرض الا الى الناحية الشعرية منه .

والطواف والدوران يعطيان معنى واحداً ، غير ان الدوار يجيء ايضاً بمعنى الضم الذي يدار حوله ، أو اسماً لضم كانوا يدورون حوله في الجاهلية . ولقد جاء في كتاب الأصنام ان الدوار الطواف بالأنصاب^(٢) كما جاء بمعنى الضم قوله : « ان لبني شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه »^(٣) وفي المعنى الاول يقول عامر بن الطفيل وقد اتى اخواله (غنياً) فرأى في فتيات يطفن جمالاً فقال :

الا يا ليت اخوالي غنياً عليهم كلما أمسوا دوار^(٤)
ولعل عتري يشير الى هذا الدوار بقوله :

تركت بني الهجيم لهم دوار اذا تمضي جماعتهم تعود^(٥)
ويقول النابغة :

لا أعرفن ربوا جوداً مدامعها كأنهن نعاج حول دوار^(٦)

(١) كتاب الاصنام ص ٢٤

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ و ٤٢

(٣) المصدر نفسه ص ٥١

(٤) المصدر نفسه ص ٤٢

(٥) ديوان الحماسة لابي تمام ص ١٦٧ ج ١

(٦) جهرة اشعار العرب للقرشي ص ٨٤

وفي المعلقة يقول امرؤ القيس :

فمن لنا سرب كأن نجابه عذارى دوار في ملاء مذيل^(١)
واشار بعضهم الى عكوفهم على الصنم ، والتفافهم في خشوع . فقلله
جعفر بن خلّاس الكلبي ، وقد نفرت ناقته من عتارٍ قدمتها عنزة لسعير :
نفرت قلوحي من عتارٍ صرّغت حول السعير تزوره ابنا يقدم
وجموع يذكر مطعين جنابه ما ان يحير اليهم بتكلم^(٢)
وقال آخر يشير الى عكوف هذيل على سواع وعثرها عنده :
ترام حول قلهم عكوبا كما عكفت هذيل على سواع
تظل جنابه صرعى لديه عتارٍ من ذخائر كل راع^(٣)
وكانوا احيانا يندرون الى الصنم ناقة او شاة ، فاذا حان وقت
الوفاء اصطادوا ظبياً بدلاً من الشاة او الناقة وقدموها قربانا للاله ، وقد
اشار الى ذلك كعب بن زهير اشارة خفيفة فقال :
فما عثر الظباء بحبي كعب ولا الخمسون قصر طالبوها^(٤)
ولعل قول الحارث بن حنظلة الشكري اوضح من ذلك حيث يقول
في معلقته :

- عنتاً باطلاً وظلاماً كما تعثر عن حجرة الربيض الظباء^(٥)
وبما يلحق بالعتى للآلهة تقدمة الابناء وغيرهم من بني البشر قرايين لها
كما ذكرنا سابقاً . وقد ذكر امية بن ابي الصلت قصة الذبح الذي كاد
ان ينفذه ابراهيم بولده قال :
ابني اني نذرتك لله شحيطاً فاصبر فدى لك حالي
واشدّد الصدد لا أخيد عن السكين حيد الأسير ذي الأغلال

(١) المقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين ص ١٤٩

(٢) كتاب الاصنام ص ٤١

(٣) نفس المصدر ص ٥٧

(٤) ديوان الحماسة ص ٤١٣ ج ١

(٥) الحماسة للبحتري ص ٣٥٣

وله مدية تخايل في اللعم جذام حنية كالهلل
بينما يخلع السراويل عنه فكه ربه بكبش جلال (١)
ولما قيل لعبد المطلب - وقد نذر ولده عبد الله لهيل - افد !!
قام وهو يقول :

عاهدت ربي وانا موف عهده
أنخاف ربي ان تركت وعده
والله لا يحمد شيء حمده
ثم احضر من الأبل مئة ، كما ذكرنا في قصته . وضرب بالقداح
عليها وعلى عبد الله فخرجت على الأبل فكبر الناس وقالوا قد رضي
ربك ، فقال :

لأهم رب البلد المحرم
الطيب المبارك المعظم
أنت الذي اعنتني في زمزم
واعاد ضرب القداح فخرجت على الأبل فقال :
لأهم قد اعطيني سؤالي
أكثر بعد قلة عيالي
فاجعل فداء اليوم جل مالي
وما زال حتى ضرب الثالثة فخرجت على الأبل ، ففجرها ونادى
مناديه : الا فخذوا لحمها ، وانصرف عنها فوثب الناس يتناهبونها ، وبذلك
يقول مرة بن خلف الفهمي :

كما قسمت نهباً ديات ابن هاشم بيطحاء بسل حيث يعتصب البرك
وصارت الدية من بعدها - كما يقول اليعقوبي - على ما سن عبد
المطلب . (٢)

(١) تاريخ الطبري ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ج ١

(٢) تاريخ اليعقوبي ص ٢٩٢ ج ١

القسم الثاني : تاريخ وأساطير

كثيرة هي الأشعار التي تنسب الى غير قائلها في السيرة النبوية . وقد سبقنا الى التشهير بفساد الكثير من أشعارها ابن سلام الجعفي حيث قال : « وكان ممن هجّن الشعر وأفسده وحمل كل غناء ، محمد بن اسحاق مولى آل مخزّمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان من علماء الناس بالسير فقتل الناس عنه الاشعار ، وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر لما أوتى به فاحمله . ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال . ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ! أفلا يرجع الى نفسه من حمل هذا الشعر ومن ادّاه منذ الوف السنين والله يقول : وانه اهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى . وقال في عاد : فهل ترى لهم من باقية . وقال : وعاداً وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله » (١) .

ولقد أثار ابن هشام نفسه - جامع سيرة ابن اسحاق - الى تأحية الضعف في اسناد الشعر الى قائله ، فهو كثيراً ما ينكر عليه نسبة القصائد الى فلان وفلان .

والشعر كما نعرفه قديم جداً في رأي الكثيرين !! فهو لا يرجع الى عهد عبد المطلب وهاشم ، فيقصّده المهلهل بن ربيعة - وغيره - في ذكر الوقائع التي تلت وقعة اخيه كليب (٢) ، بل يتجاوز ذلك العصر الى عهد حمير والتبابعة ... بل يُرفع الى زمن طسم وجديس ... ثم يوغل في القدم حتى تقوله عاد وثمود ! ولذا فلماذا لا يقول آدم نفسه شعراً عربياً ؟ !! أليس هو القائل حين قتل ابنه قاييل هابيل :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لوت وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيح

(١) طبقات الشعراء ص ٤ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣ .

وجاورنا عدو ليس يفنى لعين لا يموت فنستريح
أهاويل ان قتلت فان قلبي عليك اليوم مكتئب قريح!!
ولماذا لا يحبيه عدوه اللدود ابليس على نفس الروي فيقول :
تنج عن الجنان وساكنها ففي الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء وقلبك من اذى الدنيا مريح
فما برحت مكايدي ومكري الى ان فاتك الثمن الريح
وتلولا رحمة الرحمن امسى بكفك من جنان الخلد ريح!!^(١)
ونترك هذا الشعر لأبينا آدم ، وخصمه ابليس دون تعليق ! ويكفي
ان العميد الدكتور طه حسين لا يجرؤ على ذكره وذكر ما يمثله خوفاً
من الظن انه هازل ولاعب !!

وينزلون بالشعر الى عاد ! وهذا - في زعمهم - معاوية بن بكر ،
ينزل عليه وفد عادٍ مستقيماً لعاد . فلما اخذه اللهو بظاهر مكة ونسي
الغاية التي وفد من اجلها ارتحل معاوية أشعاراً ودفع بها الى الجرادتين
(وهما قيتان لمعاوية كانتا تطربان الوفد في قصفه) ففتناها ، ولما سمع
الوفد هذه الأشعار الملحنة تنبه لما جاء اليه ، ونهض الى الحرم يدعو لعاد
التي كاد ان يفنيها القحط . اما الأشعار فهذه :

ألا يا قيل ويحك لم فهم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ، ان عاداً قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس يرجى به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمست نساؤهم عياما
وان الوحش تأتهم جهاراً ولا تحشى لعادي سهاماً
وانتم ها هنا في ما اشتبهتم نهاركم وليلكم التاماً
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما!!^(٢)

(١) جبهة اشعار العرب للقرشي ص ١١ ، ١٢ ..

(٢) تاريخ الطبري ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ج ١ .

ويعود الوفد من مكة فيسمع احده (مرثد بن عفير) خبراً لعاد
من رجل فيقول :

عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشاً ما تبلهم السماء
وسير وفدكم شهراً ليسقوا فأردفهم من العطش العاء
ويذكر في هذا الشعر كفر عاد ورسالة هود لهم واصنام عاد وانه
سوف يلحق آل هود اذا جن المساء ! ^(١) وقال رجل آخر منهم :
لو ان عاداً سمعت من هود واتبعت طريقه الرشيد
وقد دعا بالوعد والوعيد عاداً وبالتقريب والتبعيد
ما اصبحت عائرة الجدود صرعى على الانوف والحدود
ساقطة الاجساد بالوصيد ماذا جنى الوفد من الوقود
احدوثه للأبد الابد !! ^(٢)

وكما قالت عاد الشعر كذلك قالت ثمود ! فهذا احد المسلمين بصالح
(واسمه مهرش بن غنمة بن الذميل) لما هم عزيز ثمود (شهاب بن
خليفة) بالاسلام ، ورده نفر من قومه ، قال :

وكانت غصبة من آل عمرو الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعاً فهم بأن يجيب ، ولو اجابا
لاصبح صالح فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذوابا
ولكن الغواة من آل حمير تولوا بعد رشدهم ذئابا ^(٣)
وطسم وجديس لم تكونا بأقل من زميلتيها في قول الشعر . وهذه
هزيلة ، وقد مرت قصتها ، تقول حينما لم ينصفها سيد طسم :
اتننا الى طسم ليحكم بيننا فابرز حكماً في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لامتورعا ولا فيها عند الحكومة عالما

(١) تاريخ الطبري ص ٢٤١ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ص ٢٩٩ ج ٣ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ص ١٣٤ ج ١ .

قدمت فلم أقدر على متزحزح وأصبح زوجي خائن الرأي نادماً^(١)
 ويسمع عمليق بالشعر فيغضب ، ويأمر - كما ذكرنا - بأن لا تدخل
 عروس على زوجها حتى تحمل اليه قبل ذلك .. وكان حديث الشمس ،
 حيث خرجت من عنده ساقية ثوبها وهي تقول :

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس ؟ !

ثم تمر بقومها فتعرضهم على طسم بهذه الأبيات :

أصلح ما يؤتى الى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد الرمل ؟
 أصلح تمشي في الدماء فتاتكم صبيحة زفت في النساء الى البعل
 فإن اتم لم تغضبوا عند هذه فكونوا نساء لا تغضبوا عن الكحل
 فدوئكم طيب العروس فانما خلقت لأثواب العروس وللغسل
 فقبحاً وشيئاً للذي ليس دافعاً ويختال مشياً بيننا مشية الفحل
 فلو اننا كنا رجالاً وكنتم نساء لكننا لا نقر على الذل
 فموتوا كراماً واضرموا العدوك بحرب تلطى بالضرام من الحذل
 ولا تجزعوا للحرب يا قوم انما تقوم باقوام كرام على رجل
 فيهلك فيها كل نكس مواكل ويسلم فيها ذو النجاة والفضل^(٢)

وفي حديث زحف حسان على جديس انتصاراً لطسم تقول زرقاء

البيامة :

اني أرى شجراً من خلفه بشر وكيف يجتمع الاشجار والبشر
 نوروا بأجمعكم في وجه اولهم فان ذلك منكم ، فاعلموا ، ظفر^(٣)
 هذه الاشعار (ومثلها كثير) ان دلت على شيء فانما تدل على انها
 مصطنعة . ومن الهزل ان نحاول اثبات ذلك واختراعها اوضح من
 الشمس ، على اننا نردد هنا ما قلناه سابقاً ان وضعها قديم نسيباً ،
 ويشهد بذلك ثبوتها في اقدم المراجع الادبية والتاريخية . وهذا دليل على

(١) مروج الذهب ص ٢٧٧ ج ٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٨٧ .

ان الاساطير التي تشير اليها هذه الاشعار انما كانت مداولة في ذلك الزمن وما قبله ، اذ لا يمكن ان تكون قد ارتجلت ارتجالاً دون ان يكون لها اصل . ومن المعلوم ان القرآن اشار الى عاد وثمود ، وهذا يدل على ان العرب الجاهلين كانوا على علم بأساطير تلك القبائل . ولنا في شعر اواخر العصر الجاهلي تلميحات لهذه القصص ، فقد قال الاعشى :

قلت أرى رجلاً في كفه كتف او يخصف النعل لهفي اية صنعاً
فكذبوها بما قالت فصبحهم ذوآل حسان يزجي الموت والشرعاً
فاستزلوا اهل جو من مساكنهم وهدموا شاخص البنيان فاتصعا^(١)

وهذا عدّي بن زيد يذكر عاداً وارم :

ان الاسى قبلنا جم ونعلمه فيما اديل من الاجداد والامم
منهم رأينا عياناً او نخبره وما تحدث عن عاد وعن ارم^(٢)
ويقول ابن أشمط العبدي :

أمام ان الدهر أهلك صرفه ارمأً وعاداً
واحتط داوداً وأخرج من مساكنم اباداً^(٣)

وقال عمرو بن قيس :

لا تحسبن الدهر مخيلكم او دائماً لكم ولم يدم
لو دام ، دام لتبع وذوي الأصناع من عاد ومن ارم^(٤)
وقال حسان مادحاً قومه :

ملوكاً على الناس لم يملكو من الدهر يوماً كحل القسم
فانبوا بعباد واسياعها ثمود وبعض بقايا ارم^(٥)
وأشار ليبد الى لقمان ولبد آخر نسوره فقال :

(١) تاريخ الطبري ص ٧٧٣ ج ١

(٢) الخجاسة للبحري ص ٣٤١

(٣) نفس المصدر ص ١٢٩

(٤) نفس المصدر ص ١٨٢

(٥) البيرة ص ٩٤١

ولقد جرى لبـد فادرك جريه ريب الزمان وكان غير مثقل
لما رأى لبـد النـور تطايرت رفع القوادم كالفقير الاعزل (١)
وقال في معلقته :

امست خلاء وأمسى إهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبـد (٢)
وكان لقمان قد خيّر في حياته فاختار عمر سبعة أنسر .. حتى كان
آخرها لبـد . فلما مات حاول لقمان النهوض فاضطربت عروقه
وخرّ ميتاً (٣) .

وفي قصيدة بائية مطلعها : « طما بك قلب في الحسان طروب » يشير
علقة الى حديث ناقة صالح ، وكيف رغا سقبا فوقهم -- كما مر معنا --
حينما عقروها . قال :

رغا فوقهم سقب السماء فداخص بشكته لم يستلب وسليب (٤)
ولتأت الى اشعار جرهم :

قالوا توفي ثابت بن اسماعيل فولي البيت بعده جده لأمه مضاض بن
عمرو الجرهمي ، فكان سيد جرهم .

وكان على قطورا رجل منهم يقال له السيدع ، يعشر من دخل
مكة من أسفلها ، بينما كان عمرو يعشر من دخلها من أعلاها .

وقد تحكم الخلاف بينهما حتى التقوا (بفاضح) وهو مكان اقتتلوا
فيه اقتتالاً شديداً ، فقتل السيدع وفضحت قطورا فيقال ما سمي
بفاضح إلا بذلك !

ثم تداعوا للصالح فاصطلحوا في « المطابخ » وهو شعب بأعلى مكة ،
وأسلموا الأمر الى مضاض ، وبهذا يقول :

ونحن قتلنا سيد الحي غنة فاصبح فيها وهو حيران موجع

(١) الحامسة البحرى ص ١١٨ .

(٢) العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهلين ص ٥ والاكليل للهمداني ص ١٧ ج ٨ .

(٣) الاكليل ايضاً ص ٢١٥ .

(٤) العقد الثمين ص ١٠٧ وشرح ديوان علقة للشننري ص ٣٤ .

وما كان ينبغي ان يكون سواؤنا بها ملكاً حتى ائانا السميع
 اذاق وبالا حين حاول ملكنا وعالج منا غصة تتجرع
 فنحن عمرنا البيت كنا ولاته نحامي عنه من ائانا وندفع
 وما كان ينبغي ان يلي ذاك غيرنا ولم يك حي قبلنا ثم نمنع
 وكنا ملوكاً في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لا ترام وتوضع! (١)

فلما حازت خزاعة امر مكة وصاروا أهلها جاءهم بنو اسماعيل (وكانوا
 قد اعتزلوا الحرب بينها وبين جرم) فسألوهم السكنى معهم وجولهم
 فأذنوا لهم. أما جرم فقد بقيت عن مكة، وأما مضاض بن عمرو
 ابن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي، فلما رأى ذلك وقد أصابه
 من اللوعة والصبابة الى مكة ما أحزنه، ارسل الى خزاعة يستأذنها في
 الدخول عليهم والتزول في جوارهم فأبت، حتى انها هدرت كل دم
 جرهمي يقرب من الحرم!

وتفرت لمضاض أبيل... ولما طلبها دخلت الحرم، فظهر على ابي
 قيس يتفقدوها فأبصر الابل تنحر وتؤكل لا سبيل اليها. وخاف ان
 هبط الوادي ان يقتل فولى منصرفاً حزناً كثيراً (٢). وانشد يقول:

كأن لم يكن بين الجحون الى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
 ولم يتربع وسطه فجنوبه الى المنحنى من ذي الاريكة حاضر
 بلى نحن كنا أهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر
 وابدلنا ربي بها دار غريبة بها الذئب يعوي والعدو الخامر
 وبدلت منها اوجها لا أريدها وحير قد بدلتها واليحابر
 فان قتل الدنيا علينا بكل كل ويصبح شر بيننا وتشاجر
 فنحن ولادة البيت من بعد ثابت نطوف بذاك البيت والخيوط ظاهر
 وأنكح حدي خير شخص علمته فابناؤه منا ونحن الاصار
 واخرجنا منها المليك بقدرة كذلك يا للناس تجري المقادر

(١) اخبار مكة ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) راجع اخبار مكة ص ٢٦ - ٥٧.

فصرنا احاديثاً وكنا بغبطة
وسحت دموع العين تبكي لبلدة
وتبقى لبيت ليس يؤذى حمامه
وفيه وحوش لا ترام انيسة
ويا ليت شعري من باجباد بغداد
فبطن منى امسى كأن لم يكن به
فهل فرج آت بشيء نجبه
وهل جزع منجيك بما تحاذر (١)

« ولو صح هذا الشعر - كما يقول العبيد الدكتور طه حسين -
لكانت هذه اللغة القرشية التي نزل بها القرآن من القدم وبعيد العهد
بحيث لا نظن ولا نتصور » (٢) . ثم يقول : « وان هذا الشعر الذي
يضاف الى الذين عاصروا اسماعيل انما هو كشعر عاد وثمود وطسم
وجديس لا قيمة له ولا غناء فيه . صنعه القصاص صنعة وتكلفوه تكلفاً
رغبة في الفكاهة ، او تزين القصص او تفسير ما يتصل ببناء الكعبة ،
واختصام العرب حولها » (٣) . ويقول ايضاً : « فلو صح هذا الشعر
لكانت اللغة التي تعلمها اسماعيل بن ابراهيم من اصهاره الجرمين قبل
الاسلام بأكثر من خمسة عشر قرناً هي هذه اللغة التي تراها في هذا
الكلام سهلة لينة ، لا شدة فيها ، ولا عنف ، مستقيمة قواعد النحو
والصرف والعروض والقافية ، على ما كانت تستقيم عليه للقرشين ايام
النبي وبعد ظهور الاسلام » (٤) .

وهم لم يكتفوا بسكان مكة ! فقد قالت سبأ وحمير شعراً ، شعراً
عريباً ! لا بل ان سبأ نفسه قال شعراً ، وإذا لم تشأ فقد كان مسلماً
ايضاً ، ومن الذين يعلمون بظهور محمد في المستقبل . لقد قال رحمه الله :

(١) تراجع في السيرة من ٧٤ والاغاني من ١١٠ ج ١٣ ، والبداءة والنهاية من ١٥٨ ج ٢ ،
وتاريخ ابن خلدون من ٣٣٢ ج ٢ ، واخبار مكة من ٥٦ - ٥٧ .

(٢) في الادب الجاهلي من ١٨٩ .

(٣) نفس المصدر من ١٩٠ .

(٤) نفس المصدر من ١٩١ .

سيملك بعدنا ملكاً عظيماً نبي لا يرحص في الحرام الى قوله :

يسمى احداً يا ليت اني
فاعضده واحبوه بنصري
كل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه
ومن يلقاه ، يبلغه سلامي !^(١)

والحقيقة ان هذه ال : « يبلغه سلامي » لتعبير رائع !!

ويموت سباً ... فيريته ولده حمير باول مريثة :

عجبت ليومك ماذا فعل
وسلطان عزك كيف انتقل
فاسلمت ملكك لا طائعاً
وسلمت للأمر لما نزل !

قصيدة عامرة !! تبلغ الثلاثين ، وتشهد لخلقها بمعرفته العروضية !!^(٢).

ولتبّع الذي زحف على المدينة واخذ معه الحربين اللذين احبوا
بالنبي ! ؟ . اشعار عربية من طراز اشعار سبأ . قال لا فضّ فوه ! :

شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

وجاهدت بالسيف اعداءه وفرجت عن صدره كل غم^(٣)

اما شطرة البيت الثاني « لكنت وزيراً له وابن عم » ففي الحقيقة

انها من طراز ال : « يبلغه سلامي » السابقة .

والشعر الذي يضاف الى أسعد تبّع ليس بالقليل . ويكفي ان له

قصيدة في جده ذي القرنين تتجاوز الثلاثمائة بيت !!^(٤) وله قصيدة

يذكر بها هبوطه المدينة وملاقاته اليهوديين وما كان من شأنه في مكة

تبلغ ثلاثة وعشرين بيتاً !^(٥) واييات في كسوته البيت وارتحاله عنه^(٦) ..

(١) البداية والنهاية ص ١٥٨ ج ٢ .

(٢) الأكليل ص ٢٠٥ - ٢٠٧ ج ٨ .

(٣) البداية والنهاية ص ١٦٦ ج ٢ .

(٤) راجع بعضها في الأكليل ص ٢٢٤ ج ٨ .

(٥) راجعها في تاريخ الطبري ص ٩٠٨ ج ١ .

(٦) راجعها في اخبار مكة ص ١٧٤ .

ويضيفون الى حسان تبع :

ايها الناس ان رأيي يريني وهو الرأي طوفة في البلاد
بالعوالي وبالقنابل تردى بالبطاريق مشية العواد
وبجيش عزمم عربي جحفل يستجيب صوت المناادي
من تميم وخندف وايد والبهاليل حمير ومراد
فاذا سرت سارت الناس خلفي ومعني كالجبال في كل واد
سقي ثم سقي حمير بعدي كأس خمر اولى النهي والعماد^(١)

ويعلق العميد الدكتور طه حسين على هذه الأبيات بقوله :

« فما ترى من هذا الشعر ولا سيما حين تقيسه الى ما قدمناه لك في الكتاب الثاني من نصوص حميرية ، وتقارن بينه وبين هذه النصوص في اللفظ والنحو والصرف ؟ »^(٢) .

اما نحن فنقول ايضاً مع ابي عمرو بن العلاء رحمه الله : « ما لسان حمير واقاصي اليمن بلسانتنا ولا عربييتهم بعرييتنا »^(٣) . ولهذا فكل ما قيل بهذا الخصوص مصطنع لا ريب في ذلك ، على ان هذا لا يمنع الاعتقاد بأن مثل تلك الأساطير كان معروفاً في الجاهلية ومنها تمكنوا في الاسلام من صوغها او من الاشارة الى بعضها شعراً . ولقد أشار لبيد الى ارم وحمير فقال :

او لا ترى ان الحوادث اهلكت ارم واورامت حميرا بعظيم

وكذلك قال غتاية بن سفيان الكلبي :

ألم تر ان الدهر أدى بتيغ ولم ينج منه ذو الكتاب حسن

وظن عدي ان غمدان مانع فاسمعه اذ عاب الموت غمدان^(٤)

ولا سبيل الى الشك في ان الشعراء الجاهليين قد عرفوا سليمان

(١) الاغاني ص ٧ - ٢٠ .

(٢) في الادب الجاهلي ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٣) طبقات الشعراء ص ٤ - ٥ .

(٤) حاسة البحر ص ١١٩ - ١٢٠ .

وتسخيره الحيوان والجن والرياح لأغراضه ومنشأته . ولم تقف معرفتهم عند هذا الحد ، وإنما كانوا على علم بكثير من أحداث العهدين القديم والجديد ^(١) كحديث التكوين ، واسطورة الطوفان ، ورحلات ابراهيم الخليل ، وأعمال موسى وأخيه وشأنها مع فرعون .. ومن ثم تجيء المسيح وحديث العذراء واصحاب الكهف ، وغير ذلك كثير . ولا نشك ان هذه الأساطير إنما دخلت الى الجزيرة عن طريق اليهود والنصارى ، وكان لهم ، كما ذكرنا سابقاً ، مستعمرات ومراكز وبلدان عمروها في العصور الجاهلية سنين عديدة قبل الاسلام . وما يذكر سليمان وتسخيره الانس والجن والرياح قول الأعشى بعد وصفه بنات الدهر :

فذاك سليمان الذي سخرت له مع الانس والجن الرياح المذاكيا
فلو كان شيء خالداً غير ربنا لكان لها من سائر الناس واليا ^(٢)
وعلى ذكر سليمان والجن نشير الى نقل العفريت عرش بلقيس حينما وفدت زائرة سليمان في بيت المقدس : « لما طلب سليمان من الجن ان يحضروا عرش بلقيس ، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه (قال عفريت من الجن انما آتيتك به قبل ان تقوم من مقامك) » ^(٣) . ويأتي العرش بطريقة عين من اقاصي اليمن الى مشارف الشام . ولما جاءت بلقيس سليمان اراد ان يختبر فهمها (فلما جاءت قيل اهكذا عرسك قالت كأنه هو) ومن اين لها ان تعرف انه هو وقد غادرته مكانه في سبأ !!

ولا نطيل بهذه الاسطورة وإنما نرجع الى الشعر فنذكر فقط قول النابغة وهو يمدح النعمان ويذكر كيف سخر سليمان الجن في البناء . قال النابغة في « يا دار مية » :

(١) راجع النصراية وآدابها بين عرب الجاهلية (القسم الاول) ص ٢٥٤-٢٨٢ .

(٢) الحماسة للبحتري ص ١٢٨ .

(٣) البداية والنهاية ص ٢٣ > ٢٤ .

فذلك تبليغي النعمان ان له
ولا ارى فاعلاً في الناس يشبهه
ولا سليمان ... (وتروى)

الا سليمان اذ قال الملوك له
وخيس الجن اني قد اذنت لهم
فمن اطاعك فانقعه بطاعته
ومن عصاك فعاقبه معاقبة

وفي عام الفيل ، تلك الحادثة التي جرت قبيل الاسلام فأرّخ بها
العرب ، اشعار كثيرة . رووا لأبي الصلت (وتروى لامية ابنه)
قصيدة قال فيها :

ان آيات ربنا باقيات خلق الليل والنهار فكل
ثم يجلو النهار رب كريم
حيس الفيل بالمعس حتى
لازما خلقه الجران كما قطر
حوله من ملوك كندة ابطال
خلفوه ثم ابذعروا جميعاً
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور (١)

ولما وافى ابرهة الى مكة قال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب
الكعبة :

يا رب لا أرجو لهم سواك
يا رب فامنع منهم احكاما
ان عدو البيت من عاداك
امنهم ان يخربوا قراكا

(١) المقد الثمين ص ٧

(٢) السيرة ص ٤٠

وهناك آيات أخرى قالها قبل ان يصعد الى الجبل هرباً من
الاحباش (١) . وينسبون اليه آياتاً أخرى ، قال :

قلت والأشرم تردى خيله ان ذا الأشرم غر بالحرم
ان للبيت رباً مانعاً من يرده بأثام يسطم
رامه تبع فيما قد مضى وكذا خير والحي قدم
هالكت بالبغي فيه جرم بعد طسم وجديل وجم
نحن اهل الله في بلدته لم يزل ذاك على عهد ابرهم (٢)

ومن نسبوا اليه آياتاً ذكر فيها حادثة الفيل ابو القيس بن الأسلت
في قصيدة يعظم فيها حرمة البيت وينهى قريباً فيها عن الحرب وعن
قتال الرسول ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل . قال منها :

فقوموا فضلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخشاب
فعندكم منه بلاء ومصدق غداة أي يكسوم هادي الكتاب
كتيبته بالسبل تسي وزجله على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما اتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
قولوا سراعاً هارين ولم يؤب الى اهلهم الجيش غير عصائب (٣)

وقال عبد الله بن الزبيري في انهمام الاحباش ذاكراً مكة وحرما :

تسكلوا عن بطن مكة انها كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشعري ليالي حرمت اذ لا عزيز من الأنام يروها
سائل امير الجيش عنها ما رأى فلسوف بني الجاهلين عليها
ستون ألفاً لم يؤوبوا ارضهم بل لم يعيش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرم قبلهم والله من فوق العباد يقيها (٤)

وكما ذكرنا في اشعارهم حادثة الفيل ، كذلك كان للبيض منهم علم

(١) تاريخ الطبري ص ٩٤٠-٩٤١ ج ١

(٢) تاريخ ابن واضح البقوي ص ٢٩٤ ج ١

(٣) راجع السيرة ص ١٧٨-١٨٠

(٤) البداية والنهاية ص ١٧٥ ج ٢

بقصة سيف بن ذي يزن ، ذلك الأمير الذي يذكره التاريخ شاباً
مطماً يطلب ملك آبائه من الأحباش فلا يقدر عليه فيستعين عليهم
بقوى خارجية . روي لأبي الصلت (وتروي لابنه أمية أيضاً) قصيدة
أشار بها إلى ذهاب ابن ذي يزن إلى قصر الروم ، ومن هناك إلى
ملك فارس طالباً النجدة . قال :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن خيم في البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقلًا وقد شئت نعامته فلم يجد عنده النصر الذي قالأ
ثم انتنى نحو كسرى بعد سابعة من السنين لقد أبعدت قلقالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم تخالمهم فوق متن الأرض اجمالا
حملت اسداً على سود الكلاب فقد اضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلالا
واخطم بالمسك اذ شئت نعامتهم واسبل اليوم في برديك اسبالاً^(١)
وذكر انس بن زعيم الكنا في ذا يزن فقال :

وخاف الدهر قبلك ذا رعين وذا يزن وخاض بذي نواس^(٢)
ولعدي بن زيد الخيري ابيات يذكر بها صنعاء ، ويشير إلى قصة
ذهاب الفرس إلى اليمن لطرد الاحباش يقول فيها :

ماذا ترجي النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاذبها
ما بعد صنعاء كان يعمرها . ولالة ملك جزل مواهبها
إلى قوله :

سأقت إليها الاسباب جئت بني الأحرار فرسانها مواكبها
يوم ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلحن هاربها
بعد بني تبع نجاورة قد اطمأنت بها مرازبها^(٣)

(١) الحماسة للبحري ص ١٢ . ويوجد اختلاف بالآيات في أخبار مكة ص ٩٩ ، والسيرة

ص ٤٤ .

(٢) الحماسة للبحري ص ١٨٣ .

(٣) نفس المصدر ص ١٢٥ والسيرة ص ٤٥ .

ولسنا بحاجة الى التنويه بأن من بين الركائز التي تسود بعض هذه الاشعار ومن بين الضعف في تركيبها الشعري ، تشتم رائحة التكلف والصنعة ، على ان هذا لا يمنع ان يكون البعض الآخر حقيقياً أصيلاً لا يمت بأدنى سبب الى الانتحال والاختراع .

القسم الثالث : غيلان وجن

لو اردنا ان نثبت هنا الايات المتفرقة التي يستدل منها على ما كان عليه العرب من العادات القديمة والمعتقدات ، ونشرح معنى هذه الايات بالرجوع الى الحرافة التي تحملها وبسطها بالتفسير والايضاح لصاق بنا المقام المخصص لهذا الفصل ، وللتبثيل نذكر قول زهير :

فزّل عنها ووافى رأس مرقبة كمنصب العتر دمي رأسه النسك
ففي هذا البيت نحتاج الى الاسهاب في الحديث عن الانصاب وكيف كانت تذورها البدن ، وتنحدر عندها فتسيل دماؤها في نقرة تحت الاله كعغب العزى ومناحر غيرها ، ثم كيف كان الكاهن يأخذ الدماء ويصبها على رأس النصب ، متطرقين الى الفلسفة من هذا العمل الاخير ، وكيف ان الاله فيه يكون مكتفياً بروح الضحية او الدم الذي يهرق ، مشاركاً بذلك عباده بالضحية . وبذلك يكون كل بيت موضوعاً قائماً بذاته يحتاج الى بحث وتدقيق ، فعرض ونقد حتى نفي تلك العادة ، وذا المعتقد حقها من الدرس والتحصيل .

وكذلك القول في ترديدنا بيت ورقة بن نوفل :

كفى حزني كرى عليه كأنه « لقي » بين ايدي الطائفين حريم
فتفسير اللقي وحدها وما تحمله من معان ، وما ترجعنا اليه من معتقدات ، لجدير بأن يكون موضوعاً مستقلاً . اذ اتنا نحتاج الى الطواف حول الاصنام ، ومنى ثم حول البيت لنبحث عن الاسباب التي ادت الى طواف بعض الرجال والنساء عراة حول الكعبة ، وعن الدوافع التي جعلت من قريش « حمياً » ، أهو الشعور الديني الخالص ، اما العامل

الاقتصادي المستر بأثواب الدين ؟ كل ذلك يتمثل الى أعيننا حينما نتع على « اللقى » ، تلك الاثواب التي كان يرميها الطائفون ، ويطوفون عراة ان لم يحصلوا على ثياب من « الحس » فتبقى لا ينتفع بها ، ولا يمسها أحد حتى تبلى من الشمس والأمطار والرياح ووطء الاقدام . وكذلك القول في بيت شداد بن الاسود :

نخبرنا الرسول بأن سنحيى وكيف حياة اصداء وهام (١) ؟
ومثله قول رجل من بني اسد :

اقم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي او يجيب صداكما (٢)
او قول المرقم المعروف بابن الواقفة :

لا يمنعك من بغاء الخير تعقيد التأمم
ولا التثاؤم بالعطاس ولا التيمن بالتماس (٣)

ومثله قول ربيعة بن مقروم :

اصبح ربي في الامر يرشدني اذا نويت المسير والطلب
لا سانح من سوانح الطير يثنيني ولا ناعب اذا نعبا (٤)

او قول طرفة :

اذا ما اردت الامر فامض لوجهه وخل الهوينى جانباً متنائياً
ولم يمنعك الطير مما اردته فقد خط في الالواح ما كنت لأقيا (٥)
وكذلك قول عمير بن قيس فاجراً بالنساء على العرب .

ألسنا الناسئين على معد شهرور الحل نجعلها حراماً ؟ (٦)
والقول في الكهانة ، والعرافة ، وزجر الطير ، والطرق بالخصى ،

(١) السيرة ص ٥٣١

(٢) ديوان الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٣٦٩

(٣) الحماسة للبحتري ص ٢٥٥

(٤) نفس المصدر ص ٢٥٧

(٥) نفس المصدر ص ٢٥٨

(٦) السيرة ص ٣١

وجز النواصي ، والوشم ، والحزرات ، والرقى ، والصدى والهامة ،
كثير .

اما وان كنا سوف لا نتعرض لهذه المنتثرات في بطون الكتب ،
والكثير منها مجموع في « بلوغ الارب في معرفة احوال العرب » فاننا
سنذكر شيئاً مما جاء في الغيلان والجن وغيرها من الشياطين التي كانت
توحى على السنة الشعراء ما يقولون !

ولقد ذكرنا الشيء الكثير من معتقدات العرب في الجن ، فلا بد «
إذا ، من ان نسمع شيئاً آخر من اشعار العرب في هذه المخلوقات العجيبة .
وبما يجدر ذكره ان « سمث » - على ما يظهر - يخالف من يعتقد
بأن فكرة الجن انما هي نتيجة احتكاك الاعراب بغيرهم من الامم
المجاورة ، فهو يرى ان هذه التخيلات كانت قد تولدت في بلاد العرب
نفسها بعد انفصال العرب عن سواهم من الساميين ^(١) . ولا عجب في ما
يذهب اليه « سمث » ، فما الاعتقاد بالجن إلا نتيجة خوف الاعراب
واضطرابهم وتوحشهم في القفار والقيعان . وقد سبقنا الجاحظ الى مثل
هذه الآراء ، فهو يقول في كتاب الحيوان : - « واذا استوحش
الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه
وانتقضت اخلاطه ، فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم على
الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل . ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك
شعراً تناسدوه واحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك ايماناً ، ونشأ عليه
الناسى ، وربى به الطفل ، فصار احدهم حين يتوسط الفياقي ، وتشتمل
عليه الغيطان في الليالي الخنادس ، عند اول وحشة او فزعة ، وعند
صياح بوم ، ومجاوبة صدى . يقول في ذلك من الشعر على حسب الصفة
فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة .

« وما زادهم في هذا الباب واغراهم به ومد لهم فيه انهم ليس يلقون

بهذه الاشعار وبهذه الاخبار إلا اعرانياً مثلهم ، وإلا غيباً لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق أو الشك ، ولم يسلك سبل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط . وأما أن يلقوا راوية شعر ، أو صاحب خبر ، فالراوية عندهم كلما كان الإعرابي اكذب في شعره كان اظرف عندهم ، وصارت روايته اغلب ومضاحك احاديثه اكثر ، فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية القول أو قتلها أو مراقبتها أو تزويجها ، وآخر يزعم أنه رافق في مفازة غمراً فكان يطأعه ويؤاكله « (١) »

ولهذا يلاحظ أننا لا يمكننا أن نأخذ عن الجن صورة واضحة في اشعار العرب ، ولعل الأقول أشهر هذه المخلوقات المتشيطنة في تلك الاشعار ، وقد اشتهرت باغتيالها وتلوئها حتى أصبح الدهر عندهم غولاً ، والمنية غولاً ، والحوادث غولاً ، والسيف غولاً . وبما جاء في هذه المعاني قول أمية بن أبي الصلت :

فاجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهر ان للدهر غولاً (٢)

وقال أعمش ابني قيس :

لما ميتة ان متها غير عاجز بعار اذا ما غالت النفس غولها (٣)

وقال طريف بن أبي وهب العبسي في رثاء ابنه :

وفي الارض للاقوام قبلك غول (٤)

وقال عدي بن زيد في رسالة ارسلها من سجن النعمان الى ابنه عمرو بن عدي :

ألم يحزنك أن اباك عان وانت مغيب غالتك غول (٥)

وقال امرؤ القيس

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) الحماسة للبحتري ص ٢٥ .

(٤) ديوان الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٤٥٠ .

(٥) تاريخ ابن واضح البقولي ج ١ ص ٢٤٤ .

ألم يخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتقم الرجالاً (١)

وقال خال زهير بشامة بن الغدير :

ولا تقعدوا وبكم منة كفى بالحوادث للمرء غولا (٢)

وقال جرّان العود :

فقلت ما لمول الحي قد خفيت أكل طرفي أم غالتهم الغول ؟

وقال :

كالرمح أرقل في الكفين واطردت منه القنّاة وفيها لهذم غول (٣)

وقال كعب بن زهير في « بانت سعاد » التي وفدها على الرسول

ثائباً مسلماً ، يصف خلته بتلون الغول :

فما تقوم على حال تقوم بها كما تلون في اثوابها الغول (٤)

ولقد شبهوا المرأة إذا كانت دميئة بالغول والسعلاة . قالوا إن

السعلاة هي أخت الغيلان ، واستسعلت المرأة أي صارت سعلاة أي

صارت صحابة وبذيئة ! قال بعضهم :

لقد رأيت عجباً مذامساً عجائزاً مثل السعالي خمساً

يأكلن ما اصنع همساً همساً لا ترك الله لهنّ ضرماً (٥)

وجمع جرّان العود بين الغول والسعلاة في بيت يشبه به زوجته

من قصيدة يذكر فيها همه بزواجه فيقول :

لقد كان لي عن ضربتين عدمتي وعمّا الاقي منها متزعزع

هما الغول والسعلاة خلقي منها محدش ما بين التراقي مجرّح (٦)

وقال الاعشى :

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤١

(٢) الحماسة للبحتري ص ٢٨ .

(٣) ديوان جرّان العود ص ٣٦ و ٤١ .

(٤) تراجع القصيدة في السيرة ٨٨٩ - ٨٩٢ .

(٥) بلوغ الأرب ج ٢ ص ٣٤٨ .

(٦) ديوان جرّان العود ص ٤ .

ورجال قتلى مجنبي اريك ونساء كأنهن السعالي (١)

اما الاشترا النخعي فقد شبه الخيل بالسعالي فقال :

ان لم أشتق على ابن حرب غارة لم تخل يوماً من نهاب الانفس

خيلاً كأمثال السعالي شرباً تعدو ببيض في الكرية شوًس (٢)

ويقال ان عبيد بن أيوب كان من لصوص العرب ، وكان جوالاً في

مجهول الارض . ولهذا يروون له اشعاراً في الجن والغيلان والسعالي كثيرة ،

فمن اقواله بذلك :

فلله در الغول اي رفيقة لصاحب قفر خائف متفر

ارئت بلحن بعد لحن واوقدت حوالي نيراناً تلوح وتزهر

وقال :

علام ترى ليلى تعذب بالمنى اخا قفرات كان بالذئب يأنس

وصار خليل الغول بعد عداوة حفيماً وربته الفقار البسابس

وقال :

تقول وقد ألمت بالأنس لمة مخضبة الاطراف خرس الخلاخل

اهذا خليل الغول والذئب والذي يهم بزبات الحبال الكواهل

وقال :

اقل بنو الأحسان حتى أغرمت على من يثير الجن وهي هجود (٣)

وقال :

وساحرة عيني لو ان عينها رأت ما ألقىه من المول جنت

أبيت وسعلاة وغول بقفرة اذا الليل وارى الجن فيها أرنت (٤)

وفي عزيف الجن يقول جرّان العود :

حملن جرّان العود حتى وضعنه بعلياء في ارجائها الجن تعزف (٥)

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٤٩ .

(٢) ديوان الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٥٠ - ٥١ .

(٤) بلوغ الارب ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٥) ديوان جرّان العود ص ١٩ .

ولعل ثابت بن جابر أو تأبط شرّاً^(١) أشهر ، من قال الشعر في الغيلان من الاعراب ، حتى انه استق اسمه من كونه يلاقي الغيلان ويقتلها ويتأبط رؤوسها ويأتي بها الى الحي !! ولقد « كان تأبط شرّاً يعدو على رجله » وكان قاتكاً شديداً فيأتي ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحي بطن - في بلاد هذيل - فلقيته الغول^(٢) . فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها ، فلما أصبح حملها تحت ابطه وجاء اصحابه ، فقالوا له لقد تأبطت شرّاً^(٣) .
وفي هذه الحادثة يقول :

الا من مبلغ فتيات فهم بما لا قيت عند رحي بطن
واني قد لقيت الغول تهوي بسبب كالصحيفة صحصاح
فقلت لها كلانا نضو اين اخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوى لها كفي بمصقول ياني
فاضربها بلا دهش فخرت صريعاً للدين وللجرات
فقلت عد فقلت لها رويداً مكانك انني ثبت الجنان
فلم انفك متكئاً عليها لانظر مصبغاً ماذا دهاني
اذا عينان في رأس قبيح كراس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء او شنان^(٤)

وقال ايضاً يصف الغول ، ويذكر انه راودها عن نفسها فتبعت عليه فقتلها :

وادم قد جبت جلبابه كما اجنابت الكاعب الحيلة
على اثر نار ينور بها فبت لها مدبراً مقبلاً^(٥)

(١) راجع اخباره في الاغانى ج ١٨ ص ٢٠٩ - ٢١٨ .

(٢) الاغانى ج ١٨ ص ٢١٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٢١٠ .

(٤) نفس المصدر ٢١٠ .

(٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٤ .

فاصبحت والغول لي جارة فيا جارتنا انت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت علي وحاولت ان افعل^(١)
وفي الآلوسي :

فكان من الرأي ان تقتلا
فجللتها مرهقاً صارماً ابان المرافقي والمفصلا
فصار بقحف ابنة الجن ذو سقاسق قد اجلق المحملا
فمن بك يسأل عن جارتني فان لها باللوي منزلا
غطاءة ارض لها حلتان من ورق الطلق لم تعزلا
وكنت اذا ما هممت اهتبلت واحري اذا قلت ان افعل^(٢)

ويرى « سمث » بتأبط شراً رجلاً تاريخياً ، كما يرى ايضاً ان هذه
الحادثة ممكنة الوقوع ، غير انه يلاحظ من الابيات التي وصف تأبط
شراً بها عدوه ان هذا العدو الذي ظنوه غولاً انما كان احدى الهررة
الضارية ^(٣) .

اما الاعتقاد في الغيلان فلا يزال حياً الى اليوم ، وهو في الاماكن
الموحشة ، والصحارى والقفار - كما كان سابقاً - اكثر منه في المساكن
العامة المأهولة . ولقد قال Doughty ان اعرابياً رسم له الغول ^(٤) في
الحجر وحلف له انه رآها ، وان صوتها صوت المرأة تنادي اطفالها ،
والغريب ان الاعتقاد القائل بتشكيل الغيلان بكل الصور إلا الرجل
تبقى رجل - بعير ، لا يزال اثره باقياً ، وقد ظهر هذا الاثر جلياً بالرسم
الذي اثبته Doughty للغول في كتابه « Travels in Arabia Deserta » .
هذا ، واما ما قيل في الجن وعلى لسانها فكثير ايضاً . وذكرها
الاعراب في اشعارهم ، مشيرين الى صلاتها وعلاقتها ببني البشر ، والى

(١) الاغاني ج ١٨ ص ٢١٠

(٢) بلوغ الارب ج ٢ ص ٣٤٤

(٣) ص ١٢٨ - ١٢٩ Religion of the Semites

(٤) انظر الصورة في ج ١ ص ١٥٤ Travels in Arabia Deserta

وكوبها مطايا غريبة من الحيوانات .

ولقد شبهوا الحسناوات بالجنيات ، واطن ان مثار هذا التشبيه هو
الفطنة والسحر المنبعث من حسن العواني ووسامتهن كما شبهوا الرجال
بالجن ، وخصوصاً اذا قاموا باعمال جبارة عنيفة .

قال وضاح بن اسماعيل بن عبد كلال :

فانك لو رأيت الحيل تعدو عوابس يتخذن النقع ذبلا

رأيت علي متون الحيل جنا تغير مغاماً وتقيت نبلا (١)

وقال النابغة :

وهم زحفوا لفسان بزحف رجب السرب ارعن مرجعن

بكل مجرب كاللث يسو على اوصال ذبال رفن

وضم كالفداح مسومات عليها معشر اشباه جن (٢)

وقال ابو دهل الجهمي في تشبيه حسناء بالجنية .

اقول والركب قد مالت عمائمهم وقد سقى القوم كأس النعسة السهر

يا ليت اني بأتوايي وراحلي عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر

ان كان ذا قدراً يعطيك نافلة منا ويجر منا ، ما انصف القدر

جنية او لها جن يعلمها رمي القلوب بقوس ما لها وتر (٣)

اما صدى اعتقادهم بعزيف الجن وانهم يسمعون اصواتها فقد اشرنا

اليه في بيت جران العود :

حملن جران العود حتى وضعنه بعلياء في ارجائها الجن تعزف

وفي هذا المعنى قال الراعي :

وداوية غبراء اكثرت اهلهما عزيف وبوم آخر الليل صائح

وجاء لذي الرمة :

ورمل لعزف الجن في عقداته هزير كتضراب المغنين في الطبل

(١) ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٦٦

(٢) العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين ص ٣١

(٣) ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥

وقال :

فلاة لصوت الجن في منكراتها هرب وللأبواب فيها نوائح^(١)
وكنا أشرنا الى اعتقادهم بقتل الجن علقمة بن صفوان ، وامية بن
حرب ، وسعد بن عبادة وقول الجن بذلك شعراً^(٢) . ومن قول الأعراب
ان الجن تظهر لهم وتكلمهم الخ .. آيات لشمر بن الحارث الضبي قال :

ونار قد حضأت بعيد وهن بدار لا اريد بها مقاما

سوى تجليل راحلة وعين كاللها مخافة ان تناما

أتواناري فقلت منون؟ قالوا سراة الجن! قلت عموا ظلاما

وقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نخسد الانس الطعاما^(٣)

وبهذا المعنى قال جذع بن سنان :

أتوا ناري فقلت منون أتم؟ فقالوا الجن . قلت عموا صباحا

نزلت بشعب وادي الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا

اتيتهم وللأقدار حتم تلاقي المرء صبغاً او رواحا

اتيتهم غريباً مستضيئاً رأوا قتلي اذا فعلوا جناحا

أتوني سافرين فقلت اهلاً رأيت وجوههم وسما صباحا

فحزت لهم وقلت ألا هلموا كلوا بما طهيت لكم سماحا^(٤)

وقال على لسان الجن بعض الأعراب ذاكرأ مطاياهم التي يركبونها

اسفارهم :

وكل المطايا قد ركبت فلم اجد الذ واشهى من مطايا الثعالب

ومن غظوان صيفة شمزية تحب برحليها امام الركائب

ومن جرد سرح اليدين معرج يقوم برحلي بين ايدي المواكب

ومن فارة تزداد عتقا وجدة تبرح بالحوص العتاق النجائب

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٥٤ .

(٢) تراجع في كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) نفس المصدر ص ٦٠ .

(٤) بلوغ الأرب ج ٢ ص ٣٥٢ .

وعن كل قتلاء الذراعين حرة مدربة من عافيات الارانب
ومن وول يعتام فضل زمانه . اضر به طول السرى في السباب^(١)
وذكرهم على ألسنة الجن اشعاراً يسوقنا الى حديث الشياطين الذين
كانوا ينطقون فحول الشعراء بالشعر . ومن طريف ما روى المعري في
رسالة الغفران ان شيخه التقى بجني اسمه الحيتور احد بني الشيصبات
فسأله ، كمعادته في رحلته السماوية ، عن اشعار الجن ، فقال : « وهل
يعرف البشر من التظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة
الارض؟! وانما لهم خمسة عشر جنساً من الموزون قل ما يعدوها القائلون ،
وان لنا لآلاف اوزان ما سمع بها الانس !! وانما كانت تخطر بهم
اطفال منا عارفون فتفت اليهم مقدار الضوارة من أراك نعمان^(٢) . »
فالجن ، اذاً ، كانت تقول الشعر وتلقيه على ألسنة الشعراء ، كما
كانت تلقن القيان هوميروس فصيح الاشعار . والقيان هن المغنيات .
كن في اعتقاد اليونان بنات زفس ، ويقمن معه يطربن الآلهة . وكان
الشعراء منهم يستوحون في انشادهم ، ويستمد المطربون عونهم في التلحين
والتوقيع . فهن ربات الشعر واللحن والانشاد ، يخاطبن هوميروس بصيغة
الجمع تارة ، وبالمفرد تارة اخرى . وقد يقول الآلهة ويعني بها احدهن
ولا يخفى ان كلمة « موسيقى » انما هي مشتقة من « موسا » وهو اسم
القينة باليونانية^(٣) .

فالشاعر في الجاهليتين اليونانية والعربية كان يملك قوى علوية يستمد
منها فن الشعر . ولهذا قالت قريش عن محمد أنه شاعر - كما ذكرنا ،
وكما جاء في القرآن - وان لم يأت بشعر ، وانما ظناً منهم انه ذو
اتصال مباشر بأرواح علوية اعتبروها شياطين وتوابع ، وهي في عرف

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٧٤

(٢) رسالة الغفران للمعري ج ١ ص ٦٠٤ .

(٣) الباذة هوميروس للبستاني . راجع الصفحات ١٦٩ و ٢٠٣ و ٢٨٨ .

الغير ، ملائكة . وعلى كل فهي وحي خفي وصلة وثيقة بين النبي والله ،
 او بين الشاعر وما وراء الطبيعة . ولقد جاء في الكتاب الكريم :
 « هل انبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم » (١) .
 هذا ، وزعمت الاعراب ان مع كل فعل من الشعراء شيطاناً من
 هذه الشياطين . فقد قال حسان :

ولي صاحب من بني الشيصان فطوراً اقول وطوراً هو (٢) .
 وقال الاعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جهنماً بعداً للغوي المذمم
 وقال راجز :

اني وان كنت صغير السن وكان في العين نبو عني
 فان شيطاني امير الجن يذهب بي في الشعر كل فن (٣)
 واقتخر اقدم بان شيطانه ذكر فقال :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه اثني وشيطاني ذكر (٤)
 وكثيراً ما تحكم الجن على الشعراء فتفضل واحداً على الآخر . حدثت
 بعضهم قال :

« بينا انا اسير في طريقي ببلقعة من الارض لا انيس بها إذ رفعت
 لي نار فدفعت اليها ، فاذا بجنية واذا بقناهما شيخ كبير ومعه صبية
 صفار . فسلمت ثم انحنت راحلتي آنساً به . تلك الساعة ، فقلت هل من
 ميت ؟ قال نعم في الرحب والسعة ! ثم القى الي طنفسة رحل فقعدت
 عليها . ثم قال : ممن الرجل ؟ فقلت حميري سامي . قال نعم ! اهل الشرف
 القديم . ثم تحدثنا طويلاً الى ان قلت : اتروي من اشعار العرب شيئاً ؟

(١) القرآن الكريم س ٢٦ آية ٢٢٢

(٢) بلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٣٦٥

(٣) رسالة القرآن ج ٢ ص ٤٧٨-٤٧٩

(٤) نبات الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٧٠

قال نعم ، سل عن ايا شئت . قلت فأنشدني للتأبغة . قال اتحب ان
انشدك من شعري انا ؟ قلت نعم . فاندفع ينشد لامرئ القيس والتأبغة
وعبيد . ثم اندفع ينشد للأعشى . فقلت لقد سمعت بهذا الشعر منذ
زمان طويل ، قال للأعشى ؟ قلت نعم ، قال : فأنا صاحبه ، قلت
فما اسمك ؟ قال مسحل السكران بن جندل ! فعرفت انه من الجن ،
فبت ليلة الله بها عليم ، ثم قلت له : من اشعر العرب ؟ قال ارو قول
لافظ بن لاحظ ، وهباب ، وهبيد ، وهاذر بن ماهر ! قلت هذه
اسماء لا اعرفها ، قال اجل ، اما لافظ فصاحب امرئ القيس ،
واما هبيد فصاحب عبيد بن الابرس وبشر ، واما هاذر فصاحب زياد
الذياني ، وهو الذي استنبغه ، ثم اسفر لي الصبح فضيت وتركته ، (١) .
ونحتم الحديث بقصة طريفة عن الأعشى ، وقد خرج يريد قيس بن
معديكرب بحضرموت ، فبينما هو في مسيره أضل الطريق ، فالتجأ الى
خباء وقعت عليه عينه :

-- ما شأنك ؟

- انا الأعشى . أقصد قيس بن معديكرب .

- حياك الله : أظنك امتدحته بشعر ؟

- نعم . واندفع ينشد :

رحلت سمية غدوة اجمالها غضباً عليك فما تقول بدا لها ؟!

- حسبك . أهذه لك ؟ - نعم .

- ومن سمية التي تنسب بها ؟

- لا أعرفها ، وانما هو اسم أُلقي في روعي .

فيتنادي صاحب الخباء : يا سمية اخرجي ! واذا بجارية خماسية قد
خرجت وقالت : ماذا تريد يا أبت ؟ قال انشدي عمك قصيدتي التي
امتدحت بها قيس بن معديكرب ، ونسبت بك في أولها . فأنشدته

(١) جهرة اشعار العرب للقرشي ص ٢٢ - ٢٣ .

وأنت على آخرها .

ثم التفت للأعشى ، وقال :

- هل قلت شيئاً غير ذلك ؟

- نعم . قصيدة هجوت بها ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر .

ودع هريرة أن الراكب امرئحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟!

- حسبك . من هريرة هذه ؟

- لا أعرفها . وسيلها سبيل التي قبلها .

فنادى الرجل : يا هريرة ! فإذا جارية قريبة السن من الأولى ،

فقال لها : أنشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر .
فأنشدتها ، لم تنقص منها حرفاً واحداً .

وهنا يجتار الأعشى ، وتغشاه رعدة .

ويرى الشيخ ما نزل به ، فيقول له : ليفرخ روعك يا أبا بصير .

أنا هاجسك مسهل الذي يلقي على لسانك الشعر ! فتسكن نفس الأعشى ،
ويدله على الطريق فيضي في سبيله ^(١) .

هذا ، ولم يكن لشعراء الجاهلية شياطينهم فحسب ، وإنما كانت

لشعراء الاسلام أيضاً كالفرزدق ، وجبر ، وبشار ، وغيرهم من الفحول .

(١) بلوغ الأرب ج ٢ ص ٣٦٢ - ٣٦٨ .

كَلِمَة فِي الْمَصَادِر

وبعد ان أتينا على آخر فصل من فصول الكتاب يجدر بنا ان نلقي نظرة عجيلى على المصادر التي استقينها منها . وهي كثيرة . تشتمل على عدد كبير من الكتب التأويجية والأدبية ، ولا تقتصر على هذين البابين ، وإنما تتعداهما الى بعض الكتب الدينية ، وكتب السير ، والأحاديث والتفاسير .

وكثيراً ما رجعنا الى المعاجم اللغوية . واحتجنا الى تحقيق بعض الأماكن ، وما يتعلق بها من أخبار ، فاستشرنا عدداً من الكتب الجغرافية القديمة . وهناك ما لا يمت بصلة الى هذا او ذاك من الكتب « كالحیوان » مثلاً ، و « عجائب المخلوقات » وان كان في الأول كثير من النقد والادب والتاريخ .

ومن المآخذ ما هو فكري او علمي ، وكثيراً ما يكون فيها كتب استشارة او تحقيق .

والذي يلفت النظر انه لا يوجد كتاب يقتصر بأبحاثه على شبه دراستنا غير كتابين : « الاصنام » للكلي ، وقد اختصه بألمة العرب . و « آكام المرجان في احكام الجان » للشبلي ، وقد اختصه - كما يظهر من اسمه - بالجن . اما ما عدهما فكتب عامة ، على الباحث ان يغوص في مجارها مراراً وتكراراً حتى يحصل على صدقة او محارة تكون غالباً لدى التحقيق فارعة لا تنفع فيها !

من هنا تتبدىء بالباحث المتاعب ومشقات البحث ، فهو مضطر ان يقرأ كتاباً بكامله يظن ان فيه الخير ، فيتجاوز في قراءته المئات من الصفحات الصفراء القائمة حتى يقع على بضعة سطور .

ولا تقف هذه الحالة عند الكتب القديمة ، وانما تعترضنا ايضاً في الكتب الحديثة والموسوعات ، حيث نقرأ فيها الفصول العديدة ونحن نعلم اننا سوف لا نخرج منها إلا بالنزر اليسير من المواد التي يمكن ان تساعدنا في تكوين الفكر .

اما ان يكون هناك بحث عام ، او كتاب اقتصر على موضوعنا بعينه ، فلم تقع عيننا عليه بعد ، ولهذا فلا عجب من قولنا انها محاولة جريئة جديدة نرجو ان يقبض الله لها من يعاود الكرة حتى يتعبد السبيل للحجي هذا النوع من الدراسة ، فيتمكن بعضهم من البلوغ الى آفاق لم يكن بوسعنا اليوم ان نتناول اليها .

وكم كنا نود ان يتسع بنا المجال فنحلل اشهر المراجع التي استندنا اليها في دراستنا هذه ، على ان ذلك لا يمنعا من ان نخص بعضها بالذكر « كالقرآن الكريم » في الدرجة الاولى ، ثم كتاب الأزرقى « اخبار مكة و » كتاب الاصنام « لأبي المنذر هشام الكلبي . ويأتي بعدها مباشرة « السيرة » لابن اسحاق ، و « تفسير الطبري » و « تاريخه » و « مروج الذهب » للسعودي . ومن ثم نقفز رأساً الى ياقوت في كتابه القيم « معجم البلدان » .

ولا بد ان تشير بصورة خاصة ايضاً الى « كتاب الحيوان » للجاحظ و « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزويني ثم كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميري . وهنا يجب ان لا نغفل كتاباً آخر حقه وان تأخر عن كل ما ذكرنا ، وهو : « آكام المرجان في احكام الجنان » لبدر الدين الشيلي .

ومن الكتب التي يشهد لصاحبها بالفن القصصي ، والتي يمكن ان

تدرجها هنا ، كتاب للكسائي اسمه « قصص الانبياء » .

اما من هو هذا الكسائي . أهو اللغوي المشهور « علي بن حمزة » اشهر نخبة الكوفة الذي توفي سنة ١٨٩ هـ ، ام هو آخر (محمد بن عبدالله) معروف بنفس الملقب ومجهول التاريخ ، فلم يثبت في ذلك قول . على ان الاشهر انه ليس علي بن حمزة المعروف .

هذا ، ولا بأس من درج الاغاني بين هذه الكتب التي نخصها بالذكر . اما من الكتب الحديثة فنضع في رأس قائمتها كتاباً لوهوزن « Wellhausen » اسمه (Reste Arabischen Heidentums) « بقايا الوثنية العربية » ، وقد صدر في برلين عام ١٨٩٧ .

وفي رأس الكتب الحديثة ايضاً يبرز كتابان آخران للكاتب الانجليزي « W. Robertson Smith » وهما :

1. Religion of the Semites

2. Kinship and Marriage in Early Arabia

ويلحق بهذين اثنان آخران الأول لـ O' Leary واسمه Arabia Before Muhammad والثاني لـ S. H. Langdon وهو الحلقة الخامسة من سلسلة كتب في ميثولوجيا العالم ويختص بالساميين : Semitic Mythology . هذا ، ولا تقل عن هذه الكتب قيمة ، مجموعة مقالات ذات فائدة جلي ، وهي منبثة في الموسوعات المشهورة كالموسوعتين البريطانية والاسلامية وموسوعة الدين والاخلاق .

ولما كانت الكتب الاخرى لا تخلو من فوائد جمة ، فلهذا رأينا ان نثبت كل ما امكنا الاطلاع عليه جارين في الكتب القديمة مع عصور مؤلفيها على الترتيب .

وللاحظ قبل ذلك ان هناك كتباً ادبية ودواوين اشعار قديمة اجهدنا النفس في قراءتها دون ان نشير اليها هنا ، إما لعدم جدارتها بان تدرج بين غيرها من المصادر ، وإما لان الاستفادة منها غير مباشرة . ولا ننكر ايضاً وجود ماأخذ كثيرة يمكن ان نفيدنا في مثل دراستنا

هذه لم نطلع عليها إما لعجزنا عن الوصول إليها أو لجهلنا بوجودها ،
 وأما لانتنا اكتفينا بغيرها ظناً منا أنها تغني عنها . ومن الواضح أخيراً .
 أن للوقت اثره المجدي في منتوج الانسان .
 وهنا ثبت المصادر :

المصادر العربية

القسم الاول

- الكتاب المقدس ، اي كتب العهد القديم ، والعهد الجديد ،
 بيروت ١٩١٥ .
 القرآن الكريم .
 العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين - غريفرولد ١٨٦٩ .
 محمد بن اسحاق (ت ١٥١ هـ) السيرة - رواية ابن هشام (ت
 ٢١٣ هـ) جوتنجن ١٨٦٠ .
 الضبي (ت ١٦٨ هـ) ، امثال العرب - قسطنطينية ١٣٠٠ .
 القرشي ، ابو الخطاب (ت ١٧٠ هـ) ، جهرة أشعار العرب -
 مصر ١٩٢٦ .
 الكسائي ، علي بن حمزة (ت ١٨٩ هـ) ، قصص الانبياء (ويقال
 انه للكسائي محمد بن عبدالله ؟) - مطبعة بريل ليدن ١٩٢٢ .
 الكلبي ، ابو المنذر هشام (ت ٢٠٤ هـ) ، كتاب الاصنام - الطبعة
 الثانية ، مطبعة دار الكتب مصر ١٩٢٤ .
 الازرق (ت ٢١٩ هـ) ، اخبار مكة - ليزك ١٨٥٨ .
 ابو تمام (ت ٢٣١ هـ) ، ديوان الحماسة - الطبعة الثانية ، مصر
 ١٣٣٥ .
 ابن سلام الجعفي (ت ٢٣٢ هـ) ، طبقات الشعراء - مطبعة بريل
 ليدن ١٩١٣ .

- ابن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، مسند ابن حنبل - المطبعة الميمنية
مصر ١٣١٣ .
- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) : (١) البيان والتبيين - الطبعة الثانية
القاهرة ١٩٣٢ ، (٢) - الحيوان ، مصر ١٩٠٦ .
- مسلم (ت ٢٦١ هـ) ، صحيح مسلم ، مصر ١٩٢٩ - ١٩٣٤ .
- البخاري (ت ٢٦٥ هـ) صحيح البخاري - مصر ١٣٤٧ .
- السكري ، ابو سعد (ت ٢٧٥ هـ) . ديوان جرات العود دار
الكتب ، مصر ١٩٣١ .
- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) :
- (١) كتاب المعارف . جوتنجن ١٨٥٠ .
 - (٢) الشعر والشعراء . مطبعة بريل ليدن ١٩٠٢ .
 - (٣) عيون الاخبار - دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٥ .
 - (٤) ادب الكاتب - مصر ١٣٥٥ .
 - (٥) الميسر والقداح - القاهرة ١٣٤٢ .
- اليقوي (ت ٢٧٨ هـ) ، تاريخ ابن واضح اليقوي - مطبعة بريل
ليدن ١٨٨٣ .
- الدينوري ، ابو حنيفة (ت ٢٨٢ هـ) ، الاخبار الطوال . مصر
١٣٣٠ .
- البحتري (ت ٢٨٤ هـ) ، الحماسة مصر ١٩٢٩ .
- المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، الكامل - مصر ١٣٠٨ .
- الطبري (ت ٣١٠ هـ) :
- (١) تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة بريل ليدن ١٨٨٤ .
 - (٢) تفسير الطبري ، المطبعة الميمنية - مصر ١٣١٠ .
 - ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) . العقد الفريد - مصر ١٩٣٥ .
 - الهمداني (ت ٣٣٤ هـ) :

- (١) صفة جزيرة العرب - مطبعة بريل، لندن ١٨٨٤ .
- (٢) الاكليل - الجزء الثامن - بغداد ١٩٣١ .
- المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) :
- (١) مروج الذهب . باريس ١٨٦١ .
- (٢) التنبيه والاشراف . مصر ١٩٣٨ .
- الاصهباني ، ابو الفرج (ت ٣٥٦ هـ) ، الاغاني . بولاق ١٢٨٥ ، إلا
الجزء الحادي والعشرين فقد طبع في لندن ١٣٠٥ .
- القالي ، أبو علي (ت ٣٥٦ هـ) ، الأمالي . المطبعة الاميرية - مصر ١٣٢٤ .
- النجيري ، ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله (معاصر لكافور ؟) كتاب
ايمان العرب في الجاهلية . القاهرة ١٣٤٣ .
- الاصطخري (نبغ في ٣٤٠ هـ) ، مسالك الممالك - لندن ١٩٢٧ .
- ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) ، الفهرست . مصر ١٣٤٨ .
- البيروني ، ابو الريحان محمد (ت ٤٣٠ هـ) ، الآثار الباقية عن القرون
الحالية - ليزك ١٨٧٨ .
- المعري ، ابو العلاء (ت ٤٤٩ هـ) ، رسالة الغفران . نشرة الكيلاني
الاولى - مطبعة المعارف ، مصر .
- ابن رشيقي (ت ٤٦٣ هـ) ، العدة في صناعة الشعر ونقده . مصر ١٩٢٥ .
- الفيروزابادي (ت ٤٧٦ هـ) ، القاموس . مصر ١٢٨١ .
- الشتنمري (ت ٤٧٦ هـ) ، شرح ديوان علقمة . الجزائر ١٩٢٥ .
- الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ، نيل الأرب في شرح معاني العرب .
مصر ١٣٢٨ .
- الراغب الاصهباني (ت ٥٠٢ هـ) ، محاضرات الادباء . مصر ١٣٢٦ .
- الميداني (ت ٥١٨ هـ) ، الامثال . وهو نظم الاحدب المسمى
« فرائد الآل في جمع الامثال » . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٣١٢ .
- الزحشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) :

- (١) إعجب العجب في شرح لامية العرب ، الاستانة ١٣٠٠ .
- (٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - بولاق ١٢٨٠ .
- الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل - على هامش الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) - الطبعة الاولى ١٣٢٠ .
- ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، تليس ابليس (او نقد العلم والعلماء) مصر ١٣٤٠ .
- ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان - ليزك ١٨٦٦ .
- ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٦٦ .
- القزويني (ت ٦٨٢ هـ) عجائب المخلوقات . جوتنجن ١٨٤٩ .
- ابن العبري (ت ٦٨٥ هـ) ، تاريخ مختصر الدول . بيروت ١٨٩٠ .
- البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ، انوار التنزيل واسرار التأويل . ليزك ١٨٤٦ - ١٨٤٨ .
- ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب . مصر ١٣٠٠ - ١٣٠٧ .
- ابو الفدا (ت ٧٣٢ هـ) ، تاريخ ابي الفدا . قسطنطينية ١٢٨٦ .
- التويري (ت ٧٣٢ هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب . دار الكتب ١٩٢٩ .
- الشبلي ، بدر الدين (ت ٧٦٩ هـ) ، آكام المرجان في احكام الجان .
- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، مصر ١٣٤٨ .
- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) :
- (١) مقدمة ابن خلدون . الطبعة الثالثة بيروت ١٩٠٠ .
- (٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ . بولاق ١٢٨٤ .
- الدميري (ت ٨٠٨ هـ) ، حياة الحيوان للكبرى . مصر ١٣٠٥ .
- النيسابوري ، نظام الدين (القرن التاسع ؟) : تفسير القرآن جورغاب الفرقان - على هامش تفسير الطبري .

١. الابشهي (ت ٨٥٠ هـ) ، المستطرف في كل فن مستظرف . مصر ١٣٠٦ .
 طاش كبري زادة (ت ٩٦٨ هـ) ، مفتاح السعادة . حيدر آباد
 ١٣٢٨ - ١٣٢٩ .
 الديار بكري ، حسين (ت ٩٨٢ هـ) ، تاريخ الخميس في احوال
 أنفس نفيس مصر ١٣٠٢ .
 النهروالي (ت ٩٩٠ هـ) ، الاعلام بأعلام البيت الحرام . ليزك ١٨٥٧ .
 الحلبي ، علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤ هـ) ، السيرة الحلبية .
 مصر ١٢٩٢ .
 حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) كشف الظنون - نشرة فلوجل ، ليزك
 ولندن ١٨٣٥ - ١٨٥٨ .
 البغداددي (ت ١٠٩٣) ، خزنة الادب . بولاق ١٢٩٩ .
 البيهقي ، جعفر بن محمد (ت ١١٨٢ هـ) ، مواسم الأدب وآثار
 العجم والأعرب . مصر ١٣٢٦
 الزبيدي (ت ١٢٠٥) ، تاج العروس - مصر ١٣٠٦

القسم الثاني

- بطرس البستاني : دائرة المعارف ، بيروت ١٨٧٦ .
 محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، الطبعة الثانية ١٩٢٣
 بطرس البستاني : محيط المحيط ، بيروت ١٨٧٠ .
 هارفي بورتر ، النهج القويم في التاريخ القديم ، بيروت ١٨٨٤ .
 سليمان البستاني : الياذة هوميروس ، مصر ١٩٠٤ .
 الأب لويس شيخو اليسوعي : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية .
 القسم الاول ، بيروت ١٩١٢ .
 زيدان ،

(١) العرب قبل الاسلام ، مطبعة الهلال - مصر ١٩٠٨ .

- (٢) انساب العرب القدماء ، مطبعة الهلال مصر - ١٩٢١ .
 (٣) تاريخ التمدن الاسلامي ، مطبعة الهلال - مصر ١٩٠٢ - ١٩٠٦ .
 (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال - مصر ١٩١١ .
 نلينو : علم الفلك . تاريخه عند العرب في القرون الوسطى - مصر

١٩١١

صروف « يعقوب » : بسائط علم الفلك وصور السماء ، مطبعة المقتطف

- مصر ١٩٢٣

الجارم « محمد نعمان » : ادب العرب في الجاهلية - مصر ١٩٢٣
 الألوسي « محمود شكري » : بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ،
 الطبعة الثانية ، مصر ١٩٣٤

براستد « هنري » : العصور القديمة ، المطبعة الاميركية ، بيروت ١٩٢٦
 ا. ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية و صدر
 الاسلام - مطبعة الاعتماد ، مصر ١٩٢٧ .

ضومط (جبر) : فلسفة اللغة العربية وتطورها ، مطبعة المقتطف ١٩٢٩
 الحضري (الشيخ محمد) : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية الجزء
 الأول ، الطبعة الثالثة - مصر .

الدكتور طه حسين : في الأدب الجاهلي - الطبعة الثالثة ١٩٣٣ القاهرة
 احمد امين : فجر الاسلام - الجزء الأول ، في الحياة العقلية : الطبعة
 الثانية - مصر .

هيكل (الدكتور محمد حسين) :

(١) حياة محمد - القاهرة ١٣٥٤ .

(٢) في منزل الوحي - دار الكتب ، القاهرة ١٣٥٦ .

الافغاني (سعيد) : اسواق العرب في الجاهلية والاسلام دمشق ١٩٢٧ .

معلوف (شفيق) : عبقر . مطبعة مجلة الشرق ١٩٣٦ .

مجلة المقتبس : ١٩١٠ .

مجلة المشرق : ١٩٣٦ - ١٩٣٧ .
جمعة (محمد محمود) : النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب
والامم السامية - ١٩٤٩ .

المصادر الأجنبية

- George Sale : The Koran, London
J. H. Burckhardt : Travels in Arabia, London 1829
Smith : Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Boston 1859
C. R. Conder : Syrian Stone-Lore, New-York 1887
Ch. J. Lyall : Translation of Ancient Arabian Poetry, London 1930
Ch. M. Doughty : Travels in Arabia Deserta, Cambridge 1888
W. R. Smith : 1) Kinshep and Marriage in Early Arabia, London 1907
2) Religion of the Semites, London 1894
Lewis Spence : Myths and Legends of Babylonia and Assyria (1916), 3rd Ed 1928
Hackin and Others : Asiatic Mythology, Edinburgh
Olmstead : History of Assyria, New-York 1923
Sir William Muir : The Life of Muhammad, Edinburgh 1923
Ameer Ali : The Spirit of Islam, Londod 1923
O'Leary : Arabia Before Muhammad, London 1927
H. Lammens : Islam : Beliefs and Institutions — Translated from the French by Sir E. Denson Ross, London 1929
R. A. Nicholson : A Literary History of The Arabs, Cambridge 1930
Carl Clemen : Religions of the World, Plimpton Press, Norwood, Mass 1931
S. H. Langdon : The Mythology of All the World V. 5 (Semitic), Plimpton Press, Norwood Mass 1931
J. A. Montgomery : Arabia and the Bible, Pennselvania Press 1934
Ph. Hitti : History of the Arabs, London 1937
Oxford -Dictionary
Encyclopaedia of Islam
Encyclopaedia of Religion and Ethics
The Jewish Encyclopaedia
Encyclopaedia of the Social Sciences

١٤٥٠١٣١٠١١٧٠١١٦٠٢١	ابن عباس	٣٧٠٣٤٠٢٩٠٢٧-٢٥٠٢٣	ابراهيم
٢٠٥٠٢٠١٠١٨٢٠١٥٠		١٢٥٠١٢٣٠١١٢٠١١١٠١٠٤	
٢٣٣٠١٩٤٠١٦٤	ابن عبد ربه	١٤٦٠١٣٢٠١٣٠٠١٢٨٠١٢٦	
٣٠	ابن عبد تاليل	١٦٨٠١٦١٠١٥٣٠١٥٠٠١٤٧	
٨٠	ابن العربي	٢٦٦٠٢٦٤٠٢٥٢٠١٧١	
١٢٢٠١٢١٠١١٧٠٨٢٠٣٠٠٢٩	ابن قتيبة	٢١٢	أبرق الحنان
١٧٤٠١٧٢٠١٦٤٠١٤٦٠١٤٣		١٣٤٠٣٥٠٣٤٠٣١	أبرهة (الأشم)
١٨١٠١٧٩		١٩١٠١٩٠	
٢١٧٠٢٠٧٠٢٠٤٠١٦٤	ابن كثير	٢٣٣	الأبشيبي
٥٧٠٤٩٠٤٧٠٤١٠٣٩٠٣٧	ابن الكلي	١٣٧	الأبلة
٧٦٠٧٢٠٧١٥٠٦٧-٦٤٠٦٢٠٥٨		٢٢٥٠٢٣٠-٢١٧٠٢٦٠٢١	ابليس
١٤٣-١٤١٠١٣٩٠١٣٤٠١١٤		٢٢٠	(أسماء أولاده)
٢٨٣٠٢٨٢٠٢٤٤٠١٥٨٠١٥٥		١٨٩٠١٦٤٠٣٧	ابن الأثير
٢٣٧	ابن كنتم	١١٠٠٤٠٣٣٠٣١٠٢٧٠٢٦	ابن اسحاق
٣١	ابن مريم	١٦٨٠١٦٤٠١٤٤٠١٣٦٠١٣٠	
١٢٢٠١٢١	ابن مقل	٢٨٣٠٢٥٤٠٢٤٤٠١٩٠	
٢٢٣٠٩٤	ابن منظور	٢٥٨	ابن أخط الميدي
٢٥٣	ابن هاشم	٢٠٩	ابن تيمية
١٦٠٠٦٤٠٥٩٠٤٢٠٤٠٠٢١	ابن هشام	٧٠	ابن الحارث الجفني
٢٥٤٠٢٣٥٠٢٣٣٠١٦٤		١٦٥	ابن حزم
١٢٠	ابن هند	٢٥١٠٢٤٨٠١٤٠	ابن خراش الهذلي
١٦٤٠٣٠	ابن واضح	٢٣٤٠٢٣١٠١٦٥٠١٦٤	ابن خلدون
٧٢	أبو أجيحة	٢٠٤	ابن ذر
٢٨١	أبو بصير	٨٤٠٨٢	ابن رشيق
٢٣٠٢٢	أبو بكر	٢٢٣	ابن زهير
٤٣	أبو تجارة	٢٤٥٠٢٤٤٠٢٤٢٠٢٤٠	ابن سلام
٢٨١	أبو ثابت	٢٠٩	ابن سيناء
٢٤٨	أبو جندب الهذلي	١٠٤	ابن الطفيل (عامر)
٢٧٦	أبو دهل الجحي	٩٨	ابن طوق

الأحفاف ١٧٢	أبو رغال ١٩٠
الأحف ٧٧	أبو سعيد الحديري ١٣٣
الأخشف ٧٧	أبو سفيان ٢٤١، ٧٦، ٧٤، ٧٢، ٦٨، ٦٦
الأخطل ٥٧	٢٤٩
ادريس ٥١	أبو شرح بن يصب ١٨٧
آدم ٢٠، ٤٤، ١٢٧، ١٥٠، ٢١٠	أبو الصلت ٢٦٥
٢١٧-٢٢٤، ٢٢٣، ٢٥٤	أبو طالب ١٣٩
٢٥٥	أبو طاهر القرمطي ١٣٢
أدولف جرومن ١٨٣	أبو عبيدة ١١٧، ١٠٣
ادي أشير ٢١٣	أبو علي ١٠٣
الأديب (حجة) ١٢، ١١	أبو عمرو بن عبد البر ٢١٦
أرباط ٣١	أبو الفداء ١٦٤
الأردن ٢٤، ١١، ٩، ٧	أبو الفرج ١٦٤، ١٢٠، ٩٨، ٧٠، ٤٩
الأردنية (وزارة المعارف)	٢٢٧
أرسطو ٢٠٧، ١٩٦، ١٧	أبو قيس ٢٦٠، ١٣١
أرم ذات الهاد ١٧٤، ١٧١	أبو القيس بن الاسلم ٢٦٦
أرمينية ١٢٨	أبو كبشة ١٠٠
آرلود ١٨٣	أبو كرب ٢٩
أروس ٦٤	أبو لهب ٧٢
أرميسا ١٨٢، ٩٥	أبو لو ١٦
الأزرقى ١٠٤، ٧٧، ٦١، ٥٥، ٤٣، ٢٦	أبو مرة ٢٢٤، ٢٢٣، ٢١٩
٢٨٣، ١٤٩، ١٤٤	أبو هريرة ٢٢٤، ٦٢، ٢١
أساف ١٤٥، ٥٥، ٥٤	الأبيض (البحر) ٢٩
استار ٧٦	ايفاليوس ٦٠
الاستعدادية (الكلية)، بيروت ٨	أين (به) ١٧٥، ١٧٤
استرايون ١٦٧، ١٦٣، ٩٤، ٦٠	الأنداء ١٤٨
اسحاق الانطاقي ٧٦، ٧٥	أثيني ٦٩١
اسرافيل ٢٠٥، ٢٠٣	أجا ١٣٧، ٥٥
اسمد تبع ٢٦٢	أحد ٢٤٩، ٢٤٢، ٢٤١، ٧٦، ٧٢
الأسكندرية ٢٩	أحمد ٢٦٢
اسماء بنت أبي بكر ٣٤	الأحمر (البحر) ٥١، ٤٨
	أحر عاد ١٧٧

أمية بن أبي الصلت ٢٠٠،١٩٨،١٤٤،٣٤

٢٧٠،٢٦٥،٢٥٢،٢٠١

أمية بن حرب ٢٧٧

أميركا ٨

الأمير كبة في بيروت (الجامعة) ١٠،٨،٦

١٤،١٢

(الولايات المتحدة) ١١،٨

(وزارة الخارجية) ٨

أمين (أحمد) ١٧

أناتيس ٨٨

الأنبار ٥٣

انس بن زليم الكناي ٢٦٧

انتاس الكرملي ٢١٣

انوبيس ١٠٧

اور ٩٥،٩٣،٢٤

اورشليم ٢٣٣،٢٨

اوس بن حجر ٢٤٨،٢٤٢،١١٨

اوسن ٨

اوروبا ١١

اوروتال ٩٤

اولستد ١٣٩

اوليري ٢٨٤،٧٥،٣٠

ايسخلس ١٦٣

ايليا ١٣٤

— ب —

بابل ٩٥،٩٣،٩٠—٨٨،٧٩

بادخت ٨٨

بارق ١٨٩،١٣٧،٣٩

الباغوة (كنيسة) ١٣٤

البحرين ١٨١،١٧٩،٣٠

البخاري ١٦٢،١١٦

بختنصر ٧٩

اسماعيل ١١٢،١١١،٤٨،٤٧،٢٧—٢٤

١٥٦،١٤٦،١٣٠،١٢٦—١٢٤

١٨١،١٧١،١٦٨،١٦٦،١٦١

٢٠٦

الأسود بن جعفر ٣٩

الأسود بن غفار ١٨١،١٨٠

الأسود بن منصور ١٩٠

الأسود النشلي ١٣٧

الأسود بن يعفر ١٣٦

الأشتر النخعي ٢٧٣

الأشرم ٢٦٦

الأشهل ٥٦

الأصفر ١٤٨

الأعشى ٢٦٤،٢٥٨،٢٤٧،١٣٥،٣٨

٢٨١—٢٧٩،٢٧٢،٢٧٠

أفتيهوس ٧٦

أفريقيا ٩٩

أفريقية الشرقية ١٦٥

الأنبي النحاسية ٥٦

الأفوة الأودي ٢٣٩

أقوى (جبل) ١٣٦

الأقصر ٢٤٩،٢٤٨،١٥٧،١٥٥

الآلات ٦٩

الآلهات ٦٩

الآلومي ٢٧٥،١١٧،١١٦،٦٤،٤٠

ألينا ٦٩

اليلات ٦٩،٦٧

أم عمرو ١١٣

أم القرى ١٢٦

امرؤ الشمس ١٤٢،٩٣

امرؤ القيس ٢٥٣،٢٣٧،٢١٣،٦٣

٢٨٠،٢٧١

أمير علي ١٢٣،٨٦

الجزيرة ٩٧، ٩٦، ٩٣، ٦٩، ٥٣
١١٩، ١١٧، ١١٣، ١١١
١٦٥، ١٤٨، ١٤٧، ١٣٣
٢٦٤، ٢١٣

٣٧، ٢٨
٦٠
٧٠، ٦٨

ث -

٩٧ (الجزيرة) (اواسط)
٢٤١، ١٧١، ٩٣ (الجزيرة (بطن)
١٩٢ جساس
٢٥٢ جعفر بن خلاس
٥٨ جليات
٦٥١ جم
١٠٨ الجبل الاسود
٢٤٢ جبل بئنة
١٨١، ١٧٩ جو
٩ الجواهري (محمد)
١٢٨ الجودي
١٠٢، ١٠١، ٩٨، ٩٧ الجوزاء
١٨١ الجوف
٢٢١ الجوهري
٢٧٩ جهنم
٢١٢ جيم

ج -

٢٢١، ٢١١، ١٥٤، ١١٧ الجاحظ
٢٣١، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٢
٢٨٣، ٢٧٠، ٢٣٩، ٢٣٦
١٠٨، ١٠٤، ٦٤، ٤٠ الجارم
٥٨ جالوت
٩٧ الجبار
١٥٠، ١٢٦، ٧٣، ٢٦ جبريل
٢١٠، ٢٠٥ - ٢٠٣
٦٣ جد
٥٨، ٥٣ - ٥١، ٤٧ جدة
١٠٢ الجدي
٢٧٧ جذع بن سنان
٢٥٥، ١٧٣ الجرادقان
٢٧٣، ٢٧٢، ١٦٠، ٢٣ جبران المود
٢٧٦
٥٢ جرش
٥٠، ٤٨ جروهمن
٦٣، ٦٢ جزي (هادم)
٢٨١ (الشاهر) جزي
٧١ الجزع

ح -

٩٩ الحادي
٨٦ حادي النجم
٤٩ الحارث
٦٦ الحارث بن ابي شمير القسافي
٢٥٢ الحارث بن حزة البشكري
١١٠ الحارث بن مالك البني
٢٥٠ الحارث بن هشام بن الفيرة
٥٩ الحارث بن يشكر
٤٨ حارثة بن عمرو

حارثة بن عمرو ٤٨

الجشة ٧٣٥٥٨

الحجاز ٤٥٠٣٠٠٢٨٠٢٦٠٢٤٠٢٣

١٤٠٠١٢٢٠١١٦٠٦٨٠٥٨٠٤٨

١٧٦٠١٧١٠١٦٦٠١٦٠

الحجر ١٧٧٠١٧٦٠٦٩٠٦٧٠٦٥

الحجون ٢٦٠٢٧

الحدبية ١٢٠

حراض (وادي) ٢٤٨٠١٤٠٠٧١

حرام بن جابر ١٥٩

الحرام (بلد الله) ١٩١

حران ٩٥٠٩٣٠٢٤

حرب بن امية ٢٢٧

الحرم ١٢٧٠١٢٥٠٤٨٠٤٧٠٢٧٠٢٤

١٩١٠١٦٢٠١٦١٠١٣٩٠١٢٨

٢٦٦٠٢٦٠

حسان بن تبع ٢٦٣٠٢٥٧٠١٨١٠١٨٠

حسان (الشاعر) ٢٧٩٠٢٥٨٠٢٤٥٠٧١

الحسن ٣٦

الحصين ١٠٤

حضر موت ٢٨٠٠١٧٢

الحضرمية ١٦٧

الحطيفة ٢٤٢

الحكمة (الهة) ٦٩

الحكيم (توفيق) ٩

حامد الراوية ٢٤٣

حموراني ٩٢

حمير ٢٦١٠١٦٨٠١٦٧

الحميرية ١٦٨

حنين ١١٠

حواء ٢٢٤٠٢١٩٠٢١٨٠١٢٧

الحوت (آل) ٥

الحوت (جميل سعد الدين) ٩

الحوت (محمود سليم) ١٣-١١٠٨٠٥٠١

الحوت (نوال) ٩

حوران ٦٩

الحوماني ٩

حيان بن سلمي ١٠٣

الحيرة ١٨٩٠١٣٥٠١٣٤٠٧٥

حيفا ٩

- خ -

خالد ١١٩٠١١٨٠٧٥٠٧٤٠٦٩

خالد بن سنان ١١٩٠١١٨

خالد بن الوليد ٢٥١٠٧١٠٦٣٠٢٢

خالدي (الدكتور مصطفى) ١٣٠١

خراسان ١٨٢

خرافة ٢٢٧٠٢٢٦

الخزاعي ١٠٥٠٥٤

الخطيب (فؤاد) ٩

الخصيب (الهلال) ١١

خلف الاحمر ٢٤٣

الخليل ٩

الخليل (بن احمد) ٢٣٧

خليل الرحمن ٢٦

خليل الله ١٢٨

الخذق ٢٥٠٠٢٤١

الخورنق ١٨٩٠١٨٧٠١٣٧٠٣٩٠١٧

خيبر ١٤٥٠٢٨

خيوان ٥٢

- د -

الدبران ١٠٠-٩٧٠٨٦

دبية السلمي ٢٥١٠٧٥

دحية بن خليفة الكلبي ٢٠٤٠٢٠٣

ذو الكفنين ٢٤٧،٦٣
ذو الحجاز ١٤٩-١٤٧
ذو نهر ١٩٠
ذو لواس ٢٦٧،٩٢،٥٧،٣١،٣٠

- و -

رئام ١٣٦،١٣٤،١٢٤،٣٠
الراشد عمر بن الخطاب ٢٤٠،١٣٣،١١٠
الراعي ٢٧٦،٩٩
الراغب الاصفهاني ٢٢٥،٢١٤
الرافدين (بلاد) ٧٩،٢٤
الربة (اللات) ٦٩،٣٦،٢٠
الربضات ٢١٣
الربع الخالي ١٦٦
ربيعة بن حارثة ٤٩
ربيع بن ضبع الفزاري ٢٤٨،١٥٧
ربيعة بن مقروم ٢٦٩
رحى بطن ٢٧٤
الرسول ١٠٠،١٠٩،٥٧،٣٣،٦٦،٢٣-٢٠
١٣٤،١١٥-١١٣،١١٠،١٠٨
٢٤٥،٢٤١،٢٢٥،٢٠٣،١٤٠
٢٧٢،٢٦٦،٢٥٠
رسول الله ١١٠،٩١،٦٩،٥٩،٢٣،٢١،٢٠
١٤٦،١٣٣،١٣٢،١٢٩،١١٨
٢٤١،٢٣٥،٢٢٧،٢٢٦،٢٠٣
٢٤٦،٢٤٥
رضاء ٢٤٦،١٣٧،١٣٤،٦٣
رضي ٢٤٦،١٣٧،١٢٤
الرفاعي (عبد النعم) ٨
ركانة بن عبد يزيد ٢٣٥
الرمل ١٧٢
رمل يبرين ٢١٢
رهاط ٥٢

دوم بن زيد الأوسي ٢٤٨
الدفاع (جريدة) ٧
الدميري ٢٢٣-٢٢١،٢١٩،٢١٨،٢٠٩
٢٨٣،٢٣٣،٢٣٠،٢٢٨
الدهناء ٢١٢،١٧٢
الدو ٢١٢،١٧٢
دوتي ٢٧٥،١١١
دوزيس ٦٠
دومة الجندل ٢٥٣،١٥٢،١٤٧،١٤٢،٩٤
الديار بكري ٢٣٣
الديان بن عبد المذان الحارثي ٢٣٢
الدينوري ٢٣٣
ديودورس الصقلي ١٧٧،١٦٣
ديونيسوس ١٦
- ذ -
ذات أنواط ١١٠
ذات السلام ٦٣
ذات عرق ٧١
الذبياني (الثابتة) ٢٧٠،٢٦٤،٢٥١،٦٤
الذراع ٦٠١
ذو الأريكة ٢٦٠
ذو الخلفة ١٣٥-١٣٣،٦٣-٦١،٥٩
٢٤٨،٢٤٧،١٤٠
ذو الرجل ٦٣
ذو رعين ٢٦٧
ذو الرقة ٢٧٦
ذو سمار ٢١٣،٢١٢
ذو الشرفات ١٨٩،١٣٧،١٣٦
ذو الثرى ١٤٠،٧٧،٦٣-٥٩
ذو قار ١٩٥،١٩٤،١٩٢
ذو القرنين ٢٦٢،٢٣٠
ذو الكمبات ١٣٧،١٣٦،٣٩

٢٤ سارة
 ١٨٧، ١٧١ سام
 ١١ سام (الم)
 ١٨٣، ١٦٨، ١٦٧، ٩٢، ٥٧، ٥٢ سبأ
 ٢٦٢، ٢٢٩
 ١٦٨، ١٦٧ السبابة
 ١٨٤، ١٦٧ سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
 ١٨٩، ١٣٧، ٣٩ السدير
 ١٩٣، ١٩٢ سراب
 ٢٣٣ سطح
 ٢٢٣ سعاد
 ٢٤٧، ١٩٢، ٦٣، سعد
 ٦٦ سعد بن زيد الأشثلي
 ٢٧٧، ٢٢٧ سعد بن عبادة
 ٢٥٢ سعيد
 ٧٢ سعيد بن العاص
 ٢٢ سعيد بن عبيد الأشثلي
 ١٣٧ السعيدة
 ١٧٠، ١٣٥ السقاح
 ١١٦ سفيان
 ٢٥١، ٢٤٨، ١٤٠، ٧١ سقام
 ٦٠ سلح
 ١١٩ سلطان
 ٥٥ سلى
 ١٨٧، ١٨٤، ٩٢، ٨٩، ٢٨ سايمان
 ٢٦٥-٢٦٣، ٢١٢-٢١٠، ٢٠
 ١٣٨، ١١٦، ١١١، ١٠٩، ٨٧ سمث
 ٢٢٤، ١٦٨، ١٥٧، ١٥٤، ١٤٩
 ٢٨٤، ٢٧٥، ٢٧٠
 ٢٠٦ سمعائيل
 ٢٨٠ سمية
 ٢٦٠، ٢٥٩ السميع

٢٠٦ روباتيل
 ١٨١، ١٨٠ رياح بن مرة
 ٢٣٠ ريحانة بنت السكن
 ٩ ريشة (عمر أبو)
 - ز -
 ٢٣٦، ٢٣٤، ٢٣١ زاده
 ١٠٤ الزرقان بن بدر
 ٦٣، ٦٢، ٣٨ الزبيدي
 ١٥٦ الزجاج
 ٩٧، ٨١ زحل
 ٢٥٧، ٢٣٣، ١٨١، ١٨٠ زرقاء اليامة
 ١ زريق (قسططين)
 ١٦ زروستر
 ٢٧٨ زفس
 ٢١٤، ١٥٠، ١٠٠، ٩٥، ٥٨ الزخشري
 ١٢٥، ١٠٧، ٥٦، ٥٤، ٢٥ زمزم
 ١٥٦، ١٤٤، ١٢٦
 ٨١، ٧٦، ٧٥، ٧٠، ٦٩ الزهرة
 ١٨٧، ٩١-٨٧
 ٢٦٨، ٢٥٥، ٢٤٨، ٢٤٢ زهير
 ٢٧٢
 ١٣٤ زهير بن حباب الكلي
 ٢٨٠، ٢١٥ زياد الديباني (النايفة)
 ١٩٤ زيد بن عدي
 ٢٤٥، ٢٤٤، ١٩٨، ٧٢، ٣٤ زيد بن عمرو
 ٧٠، ٦٨ زيد اللات
 ٦٦ زيد مناة
 ٧٧، ٦٤، ٥٨، ٥٧، ٥٤، ٤١ زيدان
 ٢٣٢، ٢٣٠، ١٨٩، ١٦٧، ١٠٩
 - س -
 ٥١، ٥٠ سابور ذو الاكتاف
 ١٦٥ ساحل الأحمر (البحر) والفارسي

الشعري العبور ١٠١
 الشعري الفصاء ١٠١
 الشعري الثانية ١١١
 شق ٢٣٣
 شمر بن الحارث الضبي ٢٧٧
 الشمس ٩٧-٩١٠٨٧٠٨٢٠٨١٠٦٧٠٦٠
 الشمس ٢٥٧٠١٨١٠١٨٠
 الشفري ٢٤٩٠١٦٠٠١٥٩٠١٠١
 شيوخ هور كرونج ١٢٥
 شهاب خليفة ٢٥٦
 الشهر ستاني ٨٠٠٥١٥٠
 شيخو ٧٠٠٦٩٠٦٣٠٦٠٠٤٠٠٣٠
 ٢٤٨٠١٥٢٠٩٣

- ص -

صاعديايل ٢٠٦
 صالح ٢٥٦٠١٧٨-١٧٦٠٣١
 ٢٥٩
 صدا ١٧٣٠٤٤
 الاصطخري ١٧٨٠١٧٧
 الصفا ١٠٥٦٠١٢٥٠١١١٠٢٧٠٢٦
 ٢٦٠٠١٥٧
 صلخد ٦٩
 صلصايل ٢٠٦
 الصغير (الأخطل) ٩
 الصهان ٢١٢
 سمودا ١٧٣٠٤٤
 صنعاء ٢٦٧٠١٩١٠١٩٠٠١٨١٠١٣٤
 الصوريين ٢٠٣

- ض -

الضبي ١٢٠
 ضرار بن الخطاب الفهري ٢٥٠

سنداد ١٨٩٠١٣٧٠١٢٤٠٣٩
 سنار ١٩٠٠١٨٩
 سهيل ١٠٢٠١٠٠١٠٩٨
 السهيلي ٢٢٢٠١٠٨٠١٠٤٠٣٨
 سواد العراق ٧٩
 سواع ١٥١٠١٤٢٠٥٧٠٥٢٠٥١
 سوريا ٩٣٠٨٨٠١١٤٩
 سيف بن ذي يزن ٢٦٧
 سيف حضر موت ١٦٥
 سيل ١٧٨
 سيناء ٩٥
 سيناء (جبل) ١٥٠
 سيناء (شبه جزيرة) ٧٦٠٦٧

- ش -

الشام ٥٢٠٥١٤٧٠٣١٠٣٠٠٢٤٠١٥
 ١١٧٦٠١٣٨٠١٢٦٠٧٦٠٧١
 ٢٦٤٠١٨١٠١٧٧
 شاول ٥٨
 الشبلي ٢٨٢٠٢٢٨٠٢٢٣٠٢١٦٠٢١٤
 ٢٨٣
 شوه ١٦٧
 الشعر ١٤٧
 شداد بن الأسود الليثي ٢٦٩٠١١٣
 شداد بن عاد ١٧٥
 شداد بن عارض ٢٤٥
 شداد وشديد ١٧٤
 الشرقية (افريقيا) ١٥٠
 الشرقية (دائرة الدراسات العربية) ٨
 الشروب ٢٥١
 الشعري ١٠١٠١٠٠
 الشعريان ١٠١٠١٠٠٠٩٨٠٩٧

٢٠ العباس بن عبد المطلب

٥٦ عبد الأسد

٥٦ عبد الأشهل

١٤١ عبد البيت

١٠٠ عبد الثريا

١٤٢ عبد الدار

٦٠ عبد ذي الشرى

٩٣ عبد الشارق

١٩٧،٩٤،٩٣ عبد شمس

٧٦ عبد العزى

٢٤٨ عبد العزى بن وديمة المزني

١٩٧ عبد قيس

١٤١ عبد الكعبة

٢٨٤،٤٤٦،١٩٧،١٣٥،٩٥ عبد الله

٧ عبد الله (جلالة الملك)

٨ عبد الله (سو الامير)

٢٦٦،٢٥٠،٢٤٩ عبد الله بن الزبيرى

١١٨ عبد الله بن خالد بن سنان

٢٨٤،٢٥٣،١٤٥ عبد الله بن عبد المطلب

٩١،٩٠ عبد الله بن عمر

١٧٥ عبد الله بن قلابه

٩٣ عبد المحرق

١٣٥ عبد المسيح

١٤٤،١٠٧،٥٦،٣٥،٣٤ عبد المطلب

٢٥٣،٢٤٩،١٩١،١٥٣،١٤٥

٢٦٥،٢٥٤

٦٦ عبد مناة

١٩٧ عبد مناف

١٠٠ عبد نجم

٢١٣،٢١٢،١٥ عبد عقر

٥٨ عبيد

٢٨٠ عبيد بن الأبرص

ط -

١٣٣،١٢٢،٧١،٦٩-٦٧ العلاف

١٩٠،١٤٨،١٤٧،١٣٩

٦٨،٣٦،١٩ الطاغية (اللات)

٥٨ طالوت

١٦٤،١٠٤،١٠٠،٩٥،٥٠ الطبري

١٧٨،١٧٣-١٧١،١٦٨،١٦٦

٢٣٣،٢١٧

١٢٢ الطرماح

٢٦٩،٢٣٧ طرفة

٢٧١ طريف بن أبي وهب المبسي

٢٣٣ طريفة

٦٣،٥٩،٢٢ الطفيل بن عمرو

٩٨ طفيل الغنوي

٢٦١،٢٥٥،٢٤٠-٢٣٧ طه حسين

٢٦٣

٦٠ طور سيناء

١٨١ طي (جبلا)

٢٣٣ طيطلس

ظ -

١٣٤ ظالم بن سعيد بن وبيعة

١٨٦،١٨٥ ظريفة (بنت الحير الجعورية)

ظ -

ع -

١٥٩،١٤٦،١٤٠،١٣١،١٥٥ عائشة

٢٢٦،٢٢٥،٢٠١

٢٤٨ عائش

١٧٢ عاج

٧ العالبة (كليات بغداد)

٧٠٥ عالية (كلية الملكة)

٢٥١،١٣٩،١٠٣ عامر بن الطفيل

١٤٢ عامر بن عوف بن عذرة

العربية (الجزيرة) ٥٣، ٦٨، ٦٩، ٩٣، ٩٦، ٩٨

٩٨، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١١٩، ١٢١

١٣٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧

٢١٣، ٢٦٤

عرفة ٥٩، ١٢٠، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١

١٥٤، ١٦١

المزى ٣٤، ٤٢، ٥٧، ٦٥، ٦٦، ٦٨

٧٠، ٧٦، ٨٧، ٩٧، ٩٩، ١٠٨

١١٠، ١١٢، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٤

١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤

٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٨

عزى العرب ٩١

عزرائيل ٢٠٥، ٢١٩

المسير ٦١

عشار ٨٨

عشترت ٧٨، ٨٨

عطارد ٨١، ٩٨

المطاردي (ابو رجاء) ٤١

عقيرة ١٨٠

المقاد (عباس محمود) ٩٠

عكاظ ١٤٧-١٤٩

العلايلي (عبدالله) ٩

علقمة ٦٦، ١٨٨، ٢٥٩

علقمة بن صفوان ٢٢٧، ٢٧٧

علي بن ابي طالب ٢٢، ٦٦

علي بن حنظلة ٢٨٤

عمار بن ياسر ٢٢٨

عثمان ١٧٢، ١٨١

عثمان ٩٧

عمر ٩٥، ١٦٢، ٢٤٩

عمر بن الخطاب ٢٠، ٢٢، ٢٤٨، ٢١٥

٢٢٧، ٢٣٠

عبيد بن ايوب ٢٧٣

عبد الله بن جحش بن رثاب ٣٤

عئاب بن مالك ١٤٢

عنايه بن سفيان الكامي ٢٦٣

عتر عتا ٧٦

عتر العزى ٧٦

عثمان ١٨٩

عثمان بن الحويرث ٣٤

العجل الذهبي ٥٦

عدن ١٧٤

عدنان ١٦٣، ١٦٦، ١٠٨، ١٧١، ١٨٣

عدي ٢٦٣

عدي بن زيد ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٨، ٢٥٨

٢٦٧، ٢٧١

المنذراء ٢٦٤

عراف نجد (الابلق الاسدي) ٢٣٤

عراف اليمامة (رباح بن عجلة) ٢٣٤

عرفات ١٥٠

عرفة ٢٦، ٢٧

العراق ١١٩، ١٥٠، ١٣٠، ٢٠٠، ٧٠

٧١، ٧٦، ٧٩، ٨٧، ٨٨، ٩٣، ١٥٣

١١٧، ١٨٩

المرافية (محطة الاذاعة) ١٠

المرافية (وزارة المعارف) ٧٦

العرب (بلاد) ٧٠، ٧٥، ٩٣، ١١١

١٢٣، ١٣٧، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٦

١٧١، ٢١١

العرب (جزيرة) ١٣٧، ١٦٥، ١٨١

العرب (جنوب جزيرة) ٩١

العربية (البلاد) ٥٩، ٦١، ٩٧

العربية (بطان الجزيرة) ١٠١

غزالا مكة ١٠٧٠٥٦٠٥٥
 غزالا الكعبة ٥٦
 الغزالي ٢٠٢
 غزة ٩
 غلازور ١٨٣
 غمدان ٢٦٧٠٢٦٣٠١٨٩-١٨٧
 الغمير ٧١
 غم (صنم) ٢٤٥
 - ف -
 فارس ١٨٢٠١٥
 الفارسي (ساحل البحر الاحمر و) ١٦٥
 فاضح ٢٥٩
 فتاة اليامة ١٨٠
 فكدك ٢٨
 الفراء ٣٨
 الفرات ١٦٥٠٥٣
 فرجيل ٨٨
 الفرزدق ٢٨١
 فرعون ٢٦٤٠٢٠٠
 الفزاري (نبيكة) ٢٤٨
 الفسطاط ١١٩
 فضالة بن عبيد بن الملوخ ٢٤٦٠٢٠١
 الفليس ١٤٢٠١٣٧٠٦٦
 فلسطين ١٧٧٠٩٣٠٨٨٠٥٦٠٥٥٠٩٠٧
 فلسطين (ادارة المعارف) ٧
 فلسطين (غور) ١٨٢
 فلسطين (اللواء الجنوبي) ٧
 فنسك ١٣٠٠٧٧
 فنيقية ٨٨
 فهيرة بنت عمرو بن الحارث ٤٩
 الفبروز آبادي ١١٦٠٥٧
 فيميون ٣١

عمر بن عبد العزيز ١٣٧
 عمران ١٨٤
 عمرو ١٩٢
 عمرو بن الجحوج ٢٤٦
 عمرو بن الحارث بن مضاض ٥٦
 عمرو بن حبيب ١٠٨
 عمرو بن ربيعة بن كعب المستوغر ١٣٧
 عمرو بن العاص ٢٢
 عمرو بن عامر ١٨٦٠١٨٥
 عمرو بن عدي ٢٧١
 عمرو بن العلاء ٢٦٣٠٢٤٠
 عمرو بن قتيبة ٢٥٨
 عمرو بن لحي ٤٥٤٠٥٢-٤٩٠٤٧٠٢٧
 ٢٢٥٠١٠٥٠١٠٤٠٧٨٠٦٢٠٥٨
 عمرو بن المنذر ٢٤٧
 عمرو بن هند ١٩٣٠١٢٠
 عمرو بن يربوع ٢٣٠٠٢٢٩
 عمرو اللات ٧٠
 عمليق ٢٥٧٠٢٨٠٠١٧٩
 عمير بن قيس ٢٦٩
 العلوم (كلية الآداب و) ٧
 عنبرة ٢٥١٠٢٣٨٠٢٣٧
 عنبة ٦
 عوج بن عنق (عناق) ١٨٣٠١٨٢
 العوجاء ٥٤
 العوف ٥٧
 عوف بن عذرة بن زيد اللات ٢٤٢
 عيسى ٣١
 الميوق ٩٨
 عيون موسى ٦٠
 - غ -
 الغيب ٢٤٨

٢٥٤٠٥٨٠٥١	قاييل
٥٨	قارون
٢٠٩٠٢٠٢	القاسي
١٠	القاهرة
٥٨	قابين
١٢٦	القبلة
١٦٨٠١٦٧	القتانية
١٧٠٠١٦٨-١٦٦٠١٦٣	قحطان
١٨٣٠١٧١	
١٧٧	قدار بن قديرة
٢٨٠٩٠٧	القدس
٧	القدس (محطة الاذاعة)
٦٥	القديد
١٦٧	قرنا
١٧٧٠١٧٦٠٢٨	القرى (وادي)
١٥٠٠١١٦	قرح
٢٠٧٠٢٠٤١٢٠٢٨٤٠٨٣	الغزويني
٤٢٢٠٢٢١٠٢١٧٠٢٠٩	
٢٨٣٠٢٣٣	
٣٢	قس بن ساعدة
٥٠	قمطنطين
٥٠	قسططنطينة
١٢٩٠٥١٠٥٠	قصي
٨٠	القطب الشمالي
٢٥٦	قطورا
١٩٠٠١٣٤٠١٢٤٠٣١	القائس
٩٨-٩٥٠٩٣٠٩٣٠٨١	القمر
١٠٤	قر نجله
٤٩	قمة بنت مضاض
٥٨	قورح
٣٧٨-	القبان

٢٤٨	فيس بن الجدادية الخزاعي
٢٨٠	فيس بن معد يكرب
ك	
٨٠٠٧٩	كارا ديفو
٧٦	كبر
٥٩	كبكب
٢٤٣٠٢٤٢٠٧١	كثير عزة
٩	كرم (كرم ملحم)
٣٨	كرونكو
٢٨٤	الكسائي
٢٦٧٠١٩٤٠٦٣	كسرى
٢٠٧	كعب الأحبار
٢٧٢٠٢٥٢	كعب بن زهير
٧٢	كعب بن مالك
١١٩	كعب بن يسار
٣٩	كعبات
٤٠-٣٨٠٣٢٠٢٧٠٢٢٠٢١	الكعبة
٧٨-٧٦٠٧٢٠٥٦-٥٣٠٤٩٠٤٧	
١٣١-١٢٧٠١٢٤٠١٢٣٠١١٢	
١٤٢٠١٤٦٠١٣٩٠١٣٦-١٣٣	
١٩٠٠١٧١٠١٥٧٠١٤٥٠١٤٤	
٢٦٥٠٢٦١٠٢٤٩٠٢٤٧٠٢٤٥	
١٣٥٠٦١	الكعبة الشامية
١٣٣	كعبة شداد الایادي
١٣٤	كعبة غطفان
١٣٥-١٣٣٠١٢٤	كعبة نجران
٦١	كعبة الیامة
١٦٥٠٦١	الكعبة الیانية
٢٥٤٠١٩٢	كليب
١٣٨	كليب وائل
٢٠٦	كلكاثل
١١٨٠٧٤	الكميت

ماروت ٢٠٧٤٢٠٦٩١٩٠٤٨٩

٢٢٩٤٢١٨

مارية بن كلب ٨٦

المازني (ابراهيم عبد القادر) ٩

مالك بن أنس ٢٢٩

مالك بن كاثوم ١٠٦

الأمور الحازني ٢٣٢

ماني ٦٥

مأيا ٨٨

مبايض ١٣٧

المتلس ٢٤٧٤٣٧

المرجة ٢٠١

محنة ١٤٧-١٤٩

عجبة النعمان ٢٤٧

المحرق ١٢٠٤١٩

محمد ٩٥٠٧٤٧٣٤٦٨٢١٢٠٤١٨

٢٢٢٣٢٠٤١٩٢١٦٨٤١١٠

٢٤٤٣٢٣٨٢٣٥٢٢٧-٢٢٥

٢٨٤٢٧٨٤٢٦١٢٤٩٢٤٦

(نسبة) ١٦٨

محمد بن علي ١٣٢

المخدج ٩٩

مدائن صالح ٦٠

المدينة ١٢٢٠١٠٨٦٦٦٥٤٢٩

٢٦٢٤١٤٥٤١٣٣

مر الظهران (وادي) ٦٢

مرة بن خلف النهي ٢٥٣

مرة بن همام بن شيان ٨٦

مرشد (بن شداد) ١٧٥

مرشد بن عفير ٢٥٦

مرجوليوت ١٩٧

الكعب بن زيد ٢٥٠

كندر ١٧٨

كوسين دي برسيفال ١٧٩

كبلان ١٦٨١٦٧

كوكب الحسن ٧٦٧٥

الكوفة ١٩٤

ل

اللات ١١٠٤٩٧٤٧٥-٦٥٣٤٤١٩

١١٤١٤١٣٦٤١٣٣٤١٢٢٤١٣

٢٤٥٤٢٤١٤١٩٧٤١٩٠٤١٤٢

٢٤٩-٢٤٧

لات حران ٦٩

لات صلخد ٦٩

اللات المطلي ٦٩

لافظ بن لاحظ ٢٨٠

لامنس ١١٥٤٧٤٤٥٤٣٤٢٤٠

٢٤١٤٢٣٢٤١

لبنان ١١٤٩

اللبانية (العاصمة) ٩

ليد ٢٥٨٢١٢

لقمان بن عاد ١٨٤

لنجدون ٢٨٤٢١٩٤٩١

لوميفر ٨٧

ليارد ٩٣

ليال ٢٤١٤٢٣٩

ليتو ١٦

م

مأرب ١٨٥-١٨٣٤١٦٧٤٨٤١٧

مأرب (سد) ٥٠٤٤٩

مؤاب ٧٧٤٥٢

٢٦٥،١٩٠ النفس
 ١٧٣ مغيث (وادي)
 ٢٣٥ المغيرة
 ٦٩،٦٨،٢٢ المغيرة بن شمعة
 ٢٦٤،٧٩ المقدس (بيت)
 ١١ المقدس (البلد)
 ٢٤٩ مقيس بن حياثة
 ٢٩،٢٧،٢٥،٢٤،٢٢-٢٠ مكة
 ٥٦،٥٣-٤٨،٤٧،٤٤،١٣،٥٣،٣٤
 ٧٦،٧١،٦٥،٦٢،٦١،٥٩،٥٨
 ١٢٤،١٢٣،١١٢،١٠٤،٧٨،٧٧
 ١٣٤،١٣٣،١٣٠،١٢٩،١٢٥
 ١٥٦،١٥١،١٤٩-١٤٦،١٤٠
 ١٧٤،١٧٣،١٧١،١٦١،١٥٨
 ٢٤١،١٩١،١٩٠،١٨١،١٧٧
 ٢٥٩،٢٥٦،٢٥٠،٢٤٩،٢٤٥
 ٢٦٦،٢٦٤،٢٦٢
 ١٢٧ مكة الحرام
 ١٤٠،٧١،٦١ مكة (حرم)
 ١٠٧ مكة (حمام)
 ٢٠٨،٢٠٧ مكدونلد
 ٦٠ مكسيموس الصوري
 ١٢٨-١٢٥ مكورابا
 ٥٩ ملبح الهذلي
 ١٦٠،١٥٥،١٥٤،١٥١،٢٦ منى
 ٢٦٠
 ٧٧،٧٥-٧٠،٦٨-٦٥،٦٣ مناة
 ١٣٦،١٣٤،١٣٣،١٢٢،٩٧
 ٢٥٠،٢٤٨،٢٤٧،١٥٥
 ٦٥ مناتا
 ٦٣ مناف
 ١٥٣،٢٥ المنذر

٢٢٧ مرداس بن أبي عامر السلمي
 ٩ مردم بك (خليل)
 ١٠١،٦٨ المرزم
 ٩٨ المرزبان
 ٢٦٩ المرقم
 ١٤٧،١٥٦،١٢٦،١١١،٢٦ المروة
 ٣٤٧ المروة البيضاء
 ١٨٧،٦١ المربخ
 ٢٠٤ مريم
 ١٣٧ مزاحم
 ١٥٠،١١٦،١١٢،٢٧،٢٦ المزدلفة
 ١٥٤
 ٢٤٦ المستوغر
 ٢٨١-٢٧٩ مسحل
 ٢٢١،٢١٨،٢٦٧،١٦٤،٥٠ المسودي
 ٢٨٣،٢٣٣
 ٢٦٤،١٦٥،١٥٣،١٢٤،٩٣ المسيح
 ٧٠ مشارق الشام
 ٩٧،٨٩،٨١ المشتري
 ٦٥ المشعل
 ١١٩،١٠٧،٥٨،١٥٥،١١٩ مصر
 ١٨٢،١٨١
 ١٢٤،٤٧ مضاض بن عمرو الجرهمي
 ٢٦١-٢٥٩
 ١٦٨ مضر
 ٢٥٩ المطابخ
 ١٠٧ مطعم الطير
 ١٧٧ معاوية
 ٢٥٥،٢٧٣ معاوية بن بكر
 ٢٧٨ العمري
 ٢١٣ العلوف
 ١٦٨،٦٧ المعينة

٢٤٤٦، ٢٤٤٢، ٢٤٤١، ٢٣٥٠، ٢٢٧

٢٤٩

١٩٠٠، ١٣٤ الفجاشي

٤٥ نجد

١٣٥٠، ١٢٤٠، ١١٠٠، ٣٢-٣٠ نجران

٢٣٥

٩ النجفي (احمد الصافي)

٩٩٠٩٨ النجم

٧٦ نجمة الصبح

٧٦ نجمة السها

١٣٤ نخلة

٩ نخلة (امين)

٧٤ نخلة (بطن)

٧١ نخلة الشامية

١٧٠٠، ١٦٨ تزار

٥٧ النمر

٥٧، ٥٢ لمر

٥٧ نشر

١٠٢ نمنش

٨٥ نمنش (بنات)

٢٠٨، ١٩٤، ١٩٠، ١٨٩، ٥٩ النمنان

٢٧١، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٥٩، ٢٥٨

١٨٩ النمنان بن امرئ القيس

١٧٣١ النمنان (صاحب ليد)

١٦٠ نمنش بن ثعلبة

١٩١، ١٩٠ نمنش بن حبيب

٥٨ نمنش

٢٤٣، ٢٣٩، ٢٨ نمنش

٢٠٦ نمنش

٦٦، ٦٠، ٥٧، ٤٠، ٣٨، ١٩ نمنش

١١٩، ١١٦، ١٠٠، ٩٣، ٨٧، ٦٧ نمنش

٢٢٨، ٢١٩ نمنش

٨٧ نمنش

٧٠ المنذر الرابع

٣٠٦ منكر

٦٥ منون

٢٥٦ منون بن غنم بن الذميل

١٩٣ المهمل

٢٥٤ المهمل بن ربيعة

٢٣٣ الموبدان

٨ الموجب (وادي)

٢٧٨ موسا

١٨٢، ١١٠، ١٠٧، ٥٦، ٣٦ موسى

٢٦٤، ٢٠٠، ١٩٩، ١٨٣

١٩ موسى بن عتبة

٧١ الموضمين

٢٦٧، ٢٦٤ مية

٩٤ مية بنت أم عتبة

٢٠٦ ميخائيل

١٦٦ ميسوبوتا

٢٠٥ ميكايل

- ن -

١٤٥٠٥٥٠٥٤ نائلة

٢٦٠، ٢٥٩ ثابت بن اسماعيل

٢٧٦، ٢٦٤، ٢٥١، ١٦٤ النابغة الذبياني

٩ نابلس

٩١ نافع

٤٨، ٢٨ نبوخذ نصر

٤٦، ٤١، ٣٤، ٣٣، ٢٢-٢٠ النبي

٧٦-٧٣، ٧٠، ٦٨، ٦١، ٥٢، ٥٠

١١٩، ١١١، ١٠٨، ١٠٣، ٩٥، ٩١

١٥٥، ١٥٠، ١٣٢، ١٣١، ١٢٤

١٧٠، ١٦٨، ١٦٢، ١٥٩، ١٥٦

٢٠، ١٢٠، ١٩٧، ١٩٤، ١٨٨

٢٢٤، ٢٢٠، ٢١٧، ٤٠، ٤٢، ٣

٢٨١	هريرة	٢٥	التمروود
٢٥٦٠١٧٩	هزيلة	٢٤٨٠٢٤٦	هم
١٠٢	مس	٥٢	لوز (جبل)
٢٤٩	هشام بن حبابه	٥٧٠٥٣٠٥١٠٤٤٠٤٣٠٢٤	لوح
١٣٦٠١٣٤	هذان (بلد)	١٧٨٠١٧٢٠١٦٧٠١٢٨٠١٠٣	
١٦٤٠١٣٧٠١٣٤٠١٣٣	الهمذاني	٢١٩	النووي
٢١٢٠١٨٩٠١٨٧٠١٨٤٠١٧٤		٢٣٠٠١١٧	النوري
٥٣٠١٥	الهند	١٥٧٠١٥٢	نيلوس
١٥٠	هوسبا	— ه —	
٢٥٦٠١٧٨٠١٧٣٠٤٤	هود	٢٥٥٠٢٥٤	هايل
٢٧٨٠٨٨٠٦٤٠١٧	هومر (هوميروس)	١٥٦٠١٢٦٠١٢٥٠٢٥٠٢٤	هاجر
٨٦٠١٦	هوجل	٢١٨٠٢٠٧٠٢٠٦٠٩٠٠٨٩	هاروت
٢٨٠	هاب	٢٢٩	
٥٣	هيت	٥٨	هارون الرشيد
١٨٩	الهيثم بن عدي	٤٨٠	هازر بن ماهر
٢١٤	هيرا	٢٥٤	هاشم
١٦٣٠٩٤٠٦٩٠٦٧	هيرودس	١٨٣	هاليفي
— ٩ —		١٩٥	هاليه
٢٨	وادي القرى	١٩٤	هاليه بن قبيصة
٢١٣٠٢١٢٠١٧٢	وبار	١٩٥٠١٩٤	هالي بن مسعود
١٠	الوثقى (جمعة العروة)	١٧٣٠٤٤	هبا
١٣٩	وج (وادي ثقيف)	٧٨٠٧٧	هبل
٢٣٠	وجدي	٦٥٠٥٦٠٥٤٠٥٣٠٥٠٠٤٢	هيل
١٤٢٠٧٢٠٦٤٠٦٣٠٥٧٠٥٢	وذ	٢٤٨٠٢٤١٠١٤٥٠٧٧٠٧٥	
٢٦٨٠٣٤	ورقة بن نوفل	٢٥٣٠٢٤٩	
٢٧٦	وضاح بن اسماعيل بن عبد كلال	١٢٨٠	هبيد
٩	الوطنية (مدرسة التمريض)	١٤٧٠١٣٢	هجر
٨٧٠٧٤٠٦٧٠٦٤٠٤٢	ولهوزن	٢٤٢	هبة بن الحشرم القضاي
٢٨٤٠١٤٩٠١٤١٠١٣٠٠١١٩		٢٨	هذيان
١٣٩٠٧٤٠٧٣	الوليد بن القيرة	٤٤	هرا
٢١٧٠٢١١	وهب بن منبه	١٦	هرمس
٧٠	وهلات	٢٦٧	هرقل

— ي —

يافا

٥٥٠١٢٠٩٧-٥

ياقوت

٦٥٠٦٤٠٦٣٠٥٩٠٥٧٠٤٨

١٢٥٠١١٩٠١١٦٠١١٠٠٧٦٠٦٧

١٥٠٠١٤٠٠١٣٥٠١٣٤٠١٣٢

١٨٤٠١٨١٠١٧٥٠١٧٢٠١٦٤

٢٨٣٠٢١٣٠١٨٩

يبرين

١٧٢

يغرب

٢٥٠٠١٥٥٠٢٩٠٢٨

يردى بن مهلايل

٥١

يردجرد الأثيم

١٨٩

يزيد

١٣٥

يزيد بن مسهر

٢٨١

يشجب

١٦٧

الشرح بن يحيى

١٨٩

اليغوب

٥٨

يعرب

١٦٧

يمقوب

٦٤

اليمقوني

١٢٢٠١١٩٠١٧٦٤٠٠٢٩

٢٤٠٠١٦٤٠١٥٨٠١٤٣٠١٢٦

٢٥٣

يموق

٥٧٠٥٢

يقوت

٢٥٠٠٥٨٠٥٧٠٥٢٠٥١

يقطن

١٦٧

اليامة

٢١٣٠٨١-٧٩

اليمن

٤٨٠٤٥٠٣١-٢٨٠٢٦٠١٥

١٣٤٠١٠٢٠٦١٠٥٤٠٥٢٠٥٠

١٧٢-١٧٠٠١٦٦٠١٥٥٠١٣٥

١٨٧-١٨٥٠١٨٢٠١٧٥٠١٧٤

٢٦٣٠٢٣٠٠٢١٣٠١٩٠٠١٨٩

٢٦٧٠٢٦٤

ينبع

٥٢

يهوه

٥٦

يوحنا المعمدان

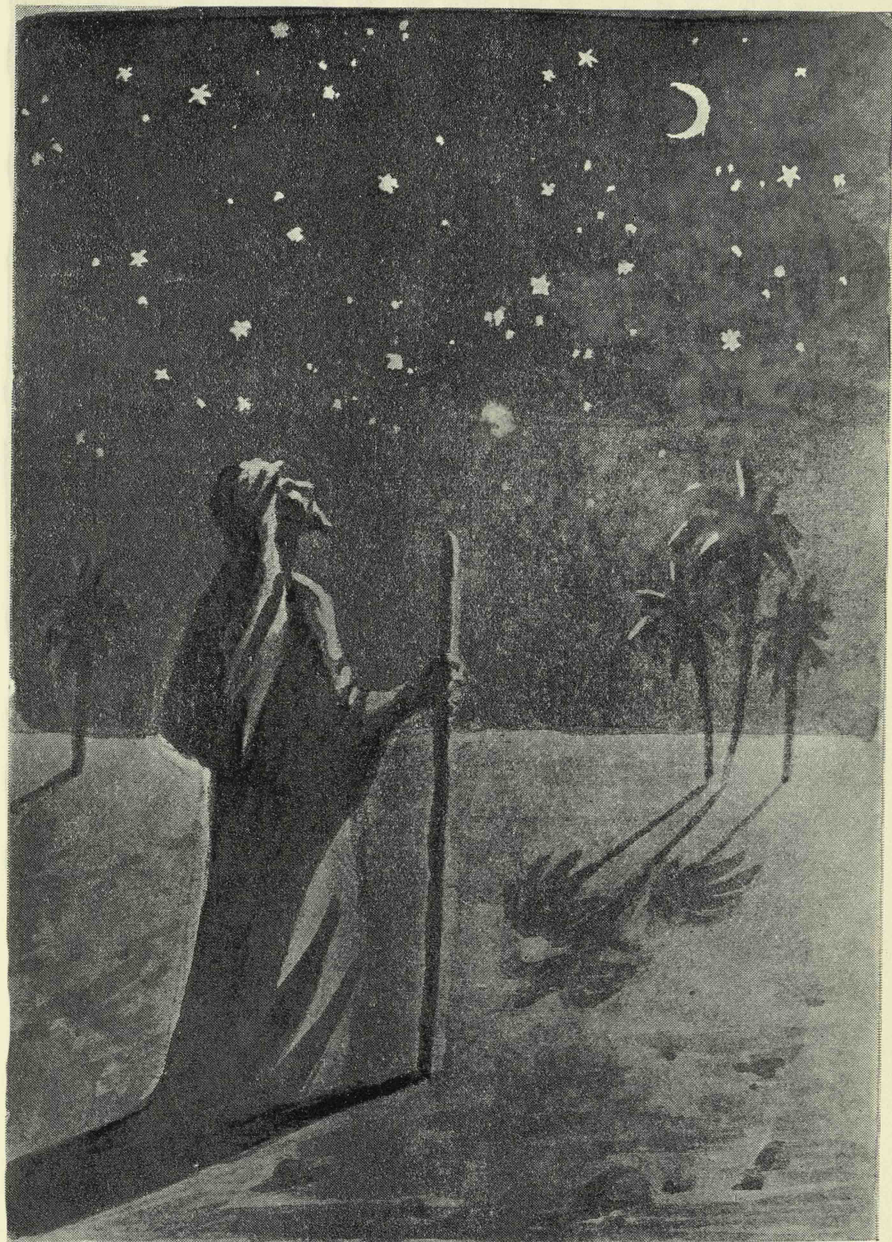
٧٩

يوسف

٢٠٣

يونثون

٢١٤



« بريشة : مصطفى فروخ »

« وبالنجم هم يهتدون »

المجئيات

صفحة

٣

الأهداء

٥

تعريف وتمهيد

١٤

في طريق الميثولوجيا عند العرب

١٤

المقدمة

الباب الأول

رفض عبادة الأحمجار في الجزيرة العربية

١٨

الفصل الأول : في الإسلام

٢٣

الفصل الثاني : قبل الإسلام

٢٣

أولاً : الحنيفة

٢٨

ثانياً : اليهودية والنصرانية

٣٢

ثالثاً : المانثيون وغيرهم

الباب الثاني آلهة العرب

٣٦	الفصل الأول : صنم . وثن . نصب
٤٠	الفصل الثاني : كثرة الآلهة
٤٣	الفصل الثالث : وثنية الجزيرة
٥١	الفصل الرابع : أصنام عمرو بن لحي
٥٤	الفصل الخامس : آلهة مختلفة
٥٤	اسم شخص ١٠ → إساف ونائلة
٥٥	غز لا مكة
٥٦	آلهة على شاكله الحيوان
٥٧	أصنام نوح
٥٨	اليعسوب
٥٩	آلهة الأماكن :
٥٩	ذو الشرى
٦١	ذو الخلصة
٦٣	ذو الكفين وذو الرجل
٦٣	ود
٦٤	الفصل السادس : أشهر الآلهة :
٦٥	مناة
٦٧	اللات
٧٠	العزى
٧٣	حديث الغرائق
٧٦	هبل

الباب الثالث

عبادة النجوم

الفصل الأول : الصابئة - معرفة العرب بالنجوم

٧٩

الصابئة

٨٢

معرفة العرب بالنجوم

٨٦

الفصل الثاني : الزهرة

الفصل الثالث : الشمس والقمر

٩١

الشمس

٩٥

القمر

الفصل الرابع : الدبران والثريا والشعريان

٩٧

الدبران والثريا

١٠٠

الشعريان

الباب الرابع

عبادات العرب الأخرى

الفصل الأول : تقديس الانسان والحيوان والنبات

١٠٣

تقديس الانسان

١٠٥

تقديس الحيوان

١٠٩

تقديس النبات

الفصل الثاني : القول في جملة معتقدات

١١١

عود على بدء

١١٣

انكار الرسل

١١٣	انكار البعث
١١٤	عبادة الجن والملائكة
١١٥	الظواهر الطبيعية
١١٧	النار

الباب الخامس

المقامات الدينية

	الفصل الأول تحفظ وتمهيد - مكة والكعبة -
	الركن والمقام - حججات العرب - الحمى - السدنة - القداح
١٢١	تحفظ وتمهيد
١٢٤	مكة والكعبة
١٣٠	الركن والمقام
١٣٣	حججات العرب
١٣٨	الحمى
١٤٠	السدنة
١٤٢	القداح
	الفصل الثاني الحج الجاهلي - الأسواق - الوقوف -
	الذبح - تقصير الشعور - العبرة والسعي - الطواف والتلبية
	النسيء والحنس .
١٤٦	الحج الجاهلي
١٤٨	الأسواق
١٤٩	الوقوف
١٥١	الذبح
١٥٤	تقصير الشعور

١٥٥

العمرة والسعي

١٥٧

الطواف والتلبية

١٥٩

النسيء والخمس

/

الباب السادس

أساطير الأولين

الفصل الأول قحطان وعدنان

١٦٣

تمهيد

١٦٥

القحطانيون والعدنانيون

١٧٠

الاختلاف بين الشعبين

١٧١

الفصل الثاني أساطير العرب البائدة

١٧٢

عاد

١٧٤

ارم ذات العمام

١٧٥

ثمود

١٧٧

الحجر

١٧٨

طسم وجديس

١٨١

جرهم والعمالق

١٨٢

عوج بن عناق

١٨٣

الفصل الثالث أساطير العرب الباقية

١٨٣

مأرب

١٨٤

القصة

١٨٧

القصور: غمذان

١٨٩

الخورساق

١٩٠

عام الفيل

الباب السابع

ما وراء الطبيعة

١٩٦	الفصل الأول : الله والملائكة
١٩٦	الله
٢٠٠	الملائكة
٢٠٨	الفصل الثاني : الجن
٢٠٨	قديم الاعتقاد بالجن
٢٠٩	ماهي الجن
٢١٠	جن سليمان
٢١١	مواطن الجن في بلاد العرب
٢١٣	عبقر
٢١٤	انتقال قري الجن
٢١٤	مطايا الجن
٢١٦	اصناف الجن
٢١٧	ابليس
٢١٩	ثورته
٢١٩	اصل الكلمة
٢٢٠	فتنة للبشر
٢٢٠	اولاد ابليس
٢٢٠	مصايد : النساء
٢٢١	الغيلان والسعالي

٢٢٣	تشكل الغيلان والشياطين
٢٢٣	صياح الديكة
٢٢٤	معارك الجن
٢٢٤	ابليس وجمعه بين الذكورة والأنوثة
٢٢٤	زوجة ابليس
٢٢٥	التوابع والقرناء
٢٢٥	الخوف من الجن وعبادتها
٢٢٧	الفرام بين الثقلين
٢٢٩	النتاج المشترك
٢٣٠	صلة الجن بالكهان والأوثان
٢٣٢	الكهان
٢٣٣	مقن وسطيح
٢٣٤	المراقبة وغيرها
٢٣٤	السحر
٢٣٦	الساحر الجاهلي

الباب الثامن

صدى المعتقدات والأساطير في الشعر



٢٤٣

الفصل الأول
الفصل الثاني
حقيقة الشعر الجاهلي
نصيب هذه المعتقدات والأساطير
من هذا الشعر

القسم الأول : الاصنام والأنصاب

٢٤٤

أ - انكارها

ب- التمسك بها ٢٤٧

ج- الطواف حول الانصاب

والعتر عندها ٢٥١

٢٥٤

القسم الثاني تاريخ واساطير

٢٦٨

القسم الثالث: غيلان وجن

٢٨٢

كلمة في المصادر

٢٨٥

المصادر العربية

٢٨٥

القسم الأول

٢٨٩

القسم الثاني

٢٩١

المصادر الأجنبية

٣٩٢

قائمة الجدية
باسماء الأغلام والأماكن والأرباب

٣١٠

المحتويات